

الأُنوار النعمانية

في الدعوة الربانية

من كلام الدكتور/ نعمان أبو الليل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

ومن علماء التبليغ بالأردن

بقلم

محمد علي محمد إمام

الجزء الأول

سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة

١٥

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشؤون الفنية

كتاب الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية

إعداد / محمد على محمد إمام . .ميت غمر

(الجزء الأول)

الطبعة الأولى ٢٠١١

عدد الصفحات (٥٠٨ صفحة)

المقاس (١٨ × ٢٤ سم)

رقم الإيداع : (١٣٣٣٦)

تاريخ الإيداع : ٢٠١١ / ٧ / ١٢

الترقيم الدولي : ٧ - ١٦٥ - ٧١٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ I.S.B.N.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



تقديم

نحمده ونصلى على رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) وبعد:

إخواني في الله لقد طلب مني أخي في الله الشيخ محمد إمام أن أكتب له تقديمًا لكتابه الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية من أقوال الدكتور نعمان أبو الليل ، فكتبت هذه السطور تقديمًا لهذا الكتاب الطيب المبارك الذي قد تناول الفقه الأعظم (علم الدعوة إلى الله) فهو أول علم وأطول علم له هدايات امتلأ بها القرآن .

وعلم الدعوة هو الفقه الأكبر، وهو الشغل الشاغل لقدوة الأمة وأسوتها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أول يوم في بعثته (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*** **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**) (١).

اقرأ ما يقرأ عليك من الوحي المقدس، اقرأه على الناس، مذكراً لهم بما نسوه، أو انشغلوا عنه.

عاشت البشرية طيلة عشر قرون من لدن آدم إلى نوح عليه السلام على الإسلام ثم اجتالتهم الشياطين، فأنحرفوا عن منهج الله، فبعث الله نوحاً عليه السلام ليردهم إلى توحيد الله عز وجل، وبعث قبله إدريس عليه السلام إلى أمة مسلمة خالصة لا تعرف الأصنام ولا الشرك، وهكذا يعلم هذه الأمة المسلمة أن مسئوليتكم للصالح والطالح، للمسلمين وغير المسلمين.

ندعو المسلمين للإيمان، والمشركين للتوحيد، وأهل الكتاب لإتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل { **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ**

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١).

كيف ندعو إلى الله؟

هذا السؤال لم يكن في ذهن المسلمين الأوائل ولا من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم، بل كانت إجابتهم رأسمآلهم وثروتهم التي يسعون إليها تنميتها وزيادتها. فكانت جماعة المهاجرين والأنصار، في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم جسدا واحدا، ويتناوبون فيما بينهم في الغزوة والرباط في المسجد النبوي، لاستقبال الوفود، ويتشاورون لنشر الهداية في العالم، ويرسلون الجماعات والسرايا لترسيخ هذا الدين العظيم في نفوس الناس، ومن خرج منهم يخلفونه بخير، وهذا هو الفقه الأكبر الذي يعلمه كل صحابي وتابعي.

وكان بعضهم يغيب عنه بعض مسائل ((الفقه الأصغر)) وما كان أحد يتكبر أن يتعلم ممن دونه، كما حدث مع أبي بكر رضي الله عنه، في حديث ميراث الجدة، فتعلم ممن هو في سن ولده (٢).

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٥٧.

(٢) عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ ذُوَيْبٍ قَالَتْ: جَاءَتْ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَتْهُ مِيرَاثَهَا، فَقَالَ: مَا لَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْتُ لَكَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَارْجِعِي حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ، فَسَأَلَ النَّاسَ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهَا السُّدُسَ، فَقَالَ: هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْ الْجَدَّةُ الْأُخْرَى إِلَى عُمَرَ فَسَأَلَتْهُ مِيرَاثَهَا، فَقَالَ: مَا لَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ هُوَ ذَاكَ السُّدُسُ، فَإِنْ اجْتَمَعْتُمَا فَهُوَ بَيْنَكُمَا، وَأَيُّمَا خَلَّتْ بِهِ فَهُوَ لَهَا. رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

فليس عندهم الأعلم هو الأحفظ، ولم يستشيري فيهم ما استشري في بني إسرائيل) من أعلم هذه المنطقة؟ من أعلم هذه الأرض؟.

السؤال الذي عتب الله فيه على موسى عليه السلام، وأمره بالذهاب إلى العبد الصالح.

لما غابت البعوث الدعوية والتعليمية التي كانت في العهد النبوي ، فلما غابت عن أرض الواقع اعتقد كثير من المسلمين أن الأحق بالكلام عن الإسلام عموماً هم المتخرجون من المدارس والجامعات الإسلامية فقط، وأصبحت الجامعات الإسلامية دراسات وامتحانات فقط، وسقطت من ذاكرة الأمة تلك السنة النبوية التي تجمع شتات المسلمين على جميع المستويات، إقليمياً وعالمياً.. وجند إبليس أقوالاً وأقلاماً ((خطباء وكتاب)) جندوا أنفسهم لإبعاد المسلمين عن إحياء تلك السنة النبوية . والذي لا يُنكر أن المدارس الرسمية والشعبية نجحت في كثير من البحوث والدروس ولكنها أهملت البعوث.

بينما قمة العبودية في السير خلف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يسير إلى الطائف على قدميه داعياً إلى الله القبائل التي يمر عليها.

فكن مرابطاً مهاجراً مع رسول الله وأصحابه، وإن لم تكن محاضراً فتمتع بسنة المشي في سبيل الله، وقدم ماء وجهك من أجل وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

فتصبح مؤمناً حقاً بأسماء الله وصفاته حينما تستخدم كل ما تملك وتترك كل ما تُحب في رحلة إيمانية تُفرح بها الملائكة الكرام الذين يسرون خلف سرايا الدعوة

وَعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: جَاءَتِ الْجَدَّتَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ السُّدُسَ لِلَّتِي مِنْ قِبَلِ النَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَمَا إِنَّكَ تَتْرُكُ النَّبِيَّ لَوْ مَاتَتْ وَهُوَ حَيٌّ كَأَنَّهَا يَرِثُ؟ فَجَعَلَ السُّدُسَ بَيْنَهُمَا رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ.

إلى الله ، فكان الصحابة يمشون بين يديه في الغزوات وهو خلفهم، ويقول: ((خَلُّوا
ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ)) (١).

قال عبد الله بن عمرو، قال لكعب أخبرني عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وأُمَّتِهِ ، قَالَ: " أَجِدُهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ أَحْمَدَ وَأُمَّتَهُ حَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، يُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ،
نِدَاؤُهُمْ فِي جَوْ السَّمَاءِ، لَهُمْ دَوِيٌّ فِي صَلَاتِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ عَلَى الصَّخْرِ، يَصْفُونَ فِي
الصَّلَاةِ كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَيَصْفُونَ فِي الْقِتَالِ كَصُفُوفِهِمْ فِي الصَّلَاةِ، إِذَا غَزَوْا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ بِرِمَاحِ شَدَّادٍ، إِذَا حَضَرُوا الصَّفَّ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُظِلًّا وَأَشَارَ بِيَدِهِ كَمَا تُظِلُّ النَّسُورُ عَلَى وَكُورِهَا، لَا
يَتَأَخَّرُونَ زَحْفًا أَبَدًا حَتَّى يَحْضُرَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " (٢).

وهكذا كل الأنبياء أثناء سيرهم وحركتهم وهجرتهم، كما قال الله تعالى: { فَأَسْرَ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعْتَ أَدْبَارَهُمْ (٣) وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ }
(٤).

نخشى على من أنكر سنة من سنن رسول الله ، أو جزءاً من جهده، أن يكون
من الكذبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
كن داعياً وإن لم تكن خطيباً، فالدعوة سبقت الخطابة بثلاثة عشر سنة،
فالنبي صلى الله عليه وسلم خطب الجمعة بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة، ولكن من

(١) مسند أحمد « باقي مسند المكثرين » مسند جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه _ ١٤٨٥٧.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم « كعب الأخبار (٧٧٠٨).

(٣) أي ظهورهم.

(٤) سورة الحجر _ الآية ٦٥.

أول يوم يدعو إلى الله، فالدعوة تسبق الخطابة وتُصاحبها، ولا تتوقف الدعوة ليلاً ولا نهاراً {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا} (١).

وكل ما يحلم به المخلصون من مجددي الدين في القرون التالية للقرون الفاضلة الثلاثة الأولى التي اشتهرت بالبحوث والدروس، كانوا يرابطون بأمر الخلافة، فينبغي ألا ينقطع التناوب على المرابطة بسقوط الخلافة.

كل ما نحلم به من إيمانيات يمكننا الوصول إليه بتكرار سرية القراء، وسرية خالد بن الوليد إلى همدان (سنة أشهر) فبذلك ندخل إلى الجهد والتضحية من باب المدرسة الأولى الأم، نتقلب في حلوة الإيمان عملياً وإن كان بعضنا لا يقرأ ولا يكتب. هيا بنا لنطوف على الناس في العالم كله في أماكنهم ندعوهم إلى الله فرداً فرداً، بيتاً بيتاً، ويتم التعارف بيننا.

ما أجمل المدارس الإسلامية غذا قامت بإحياء (سرية القراء) حتى لا تقع في الفخ الذي وقع فيه بنو إسرائيل.

ولذلك ندعو الأمة الإسلامية للتأمل في ذلك الفقه الأكبر ، حول المفاهيم الدعوية التي سقطت من مفاهيم الأمة، بل من ذاكرة معظم الدعاة إلى الله إلا من رحم ربي. ومن خلال هذا الكتاب القيم الذي يأصل عمل الدعوة إلى الله من خلال قصص الأنبياء في القرآن الكريم وسيرة النبي وأصحابه الكرام، نفهم هذا الفقه العظيم فقه الدعوة إلى الله.

فجزى الله أخونا الشيخ محمد إمام على هذا الجهد المبارك خير الجزاء وأن يجعله في صحيفة حسناته، وأن ينفعه وينفعنا الله بهذا الكتاب القيم وجميع المسلمين والدعاة إلى الله.

الشيخ / علي سعد أبو الخير

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي لا ينبغي الحمدُ إلا له، وأسأله سبحانه وتعالى أن يُصليَ ويسلمَ علي سيدنا محمد وآله وبعد :

أخي الحبيب الداعي إلى الله: وها نحن نواصل سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة بثوبها الجديد.. ونحن مع الجزء الخامس عشر من السلسلة والذي سميته: الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية (الجزء الأول).

إخواني وأحبابي في الله ! وقد جمعتها من كلام الشيخ الدكتور نعمان أبو الليل والتي تشبه كلام الحكماء ، فما وجدنا مثل هذه الكلمات في كتب التفسير ولا غيرها، ولا نحسبه إلا وقد صدق فيه قول الرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا زَهَدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنْبَتَ اللهُ الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ ، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ ، وَبَصَّرَهُ عَيْنَ الدُّنْيَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالِمًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ البَيْمَانِ (١).

ولا أراني وأنا أسطر هذه الكلمات إلا وأنتي أمام حبر من أحبار الأمة لا أستطيع أن أوفيه حقه، أسأل الله أن يوفيه حقه يوم القيامة.

وقد حصل علي الدكتوراه في تفسير القرآن، وقام بالتدريس في العديد من الجامعات الإسلامية، في المملكة العربية السعودية، وباكستان، وكلية الشريعة بقطر. وكنت أسكن بمدينة إربد الأردنية عدة سنوات ، منذ عام ١٩٨٤ : إلى نهاية عام ١٩٨٧ م، وكنت أذهب يوم الخميس إلى المسجد الغربي بمدينة إربد لحضور الاجتماع الأسبوعي ، فكثيرا ما كان الدكتور/ نعمان ، يبين ويوضح عمل الدعوة إلي

الله ﷺ، فكنت عندما أسمعه أتذكر هذا الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ الشَّيْءِ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يَقُولُ: غُصُّ غَوَاصُ (١) .

وكنت أكتب وراءه كل كلمة يقولها ، وكذلك حضرت له بعض اللقاءات بمسجد مدينة الحجاج بعمان .. وجمعت بعض كلامه الذي ألقاه في اجتماعات التبليغ بباكستان، وبنجلاديش، وقمت بمزج كلامه القديم بالحديث، وحذفت الكلام المتكرر، مع مراعاة عدم اختلال النص.

وأضفت إليه بعض الشروح القليلة من كتب التفسير المعتمدة، وأشرت إليها في الحواشي.

وإذا احتاج النص إلي بعض قصص الصحابة في الدعوة أتيت بها كذلك من كتب السير وأشرت إليها في الحواشي.

وقمت بكتابة الأحاديث النبوية من مصادرها الصحيحة.

ومما دفعني لتسجيل كلام هذا العالم الجليل ، خشية أن يضيع كلام علماء المدرسة التبليغية، كما ضاع كلام كثير من علماء الأمة ، فقد ذكر الإمام الذهبي في كتابه الممتع سير أعلام النبلاء ، في ترجمة الإمام الليث بن سعد، عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: سمعت الشافعي يقول: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وقال الإمام المنذري رحمه الله: وناسخ العلم النافع: له أجره وأجر من قرأه أو كتبه أو عمل به ما بقي خطه، وناسخ ما فيه إثم: عليه وزره ووزر ما عمل به ما بقي خطه.

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل» فضائلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ _ رقم الحديث (١٦٨٢).

فعسى الله ﷻ أن ينفعنا بكل كلمة نكتبها في هذا الكتاب، وأن ينفع بها كل من يقرأها إلي يوم القيامة.. وأن يرزقنا جهد حبيبته، علي منهاج حبيبته، حسب مرضاته، آمين.

أخوكم في الله /محمد علي محمد إمام

مقارنة

بين فقه الدعوة وفقه القتال

قال الله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلَهُ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٢).

وعن أنسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَسْنَتِكُمْ " رواه أبو داود والنسائي والدارمي (٣).

يقول الإمام العز بن عبد السلام (رحمه الله) : يشرفُ البذلُ بشرفِ المبدول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله.. ولما كانت الأتفس والأموال مبدولةً في الجهاد، جعلَ اللهُ مَنْ بذلَ نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها ؛ لشرفِ ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله، وإعزاز الدين وصون الدماء المسلمين^(٤).

مراحل تشريع القتال: كان النبي ﷺ مأموراً طيلة الحياة المكية ، بالعتفو والصفح ، وكف اليد عن المشركين، كما قال تعالى : ﴿ فَاَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

(١) سورة التوبة - الآية ٤١ .

(٢) سورة الحج - الآية ٧٨ .

(٣) مشكاة المصابيح - كتاب الجهاد ٢ / ١١٢٤ . .

(٤) كتاب أحكام الجهاد وفضائله .

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

وعن ابن عباس ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا فِي عَزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذْنَةً ، فَقَالَ: إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ فَلَا تُقَاتِلُوا ، فَلَمَّا حَوَّلَهُ اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِالْقِتَالِ فَكَفُّوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (٣) (٤).

ثم أذن الله للمسلمين في الجهاد دون أن يفرضه عليهم، قال تعالى : ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٥) وهي أول آية نزلت في القتال كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (٦).

ثم فرض الله عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، وذلك في المرحلة التي قال الله فيها: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاوَوْكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (٧).

(١) سورة البقرة - الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الجاثية - الآية ١٤ .

(٣) سورة النساء آية ٧٧ .

(٤) السنن الكبرى للنسائي « كِتَابُ الْجِهَادِ » وَجُوبُ الْجِهَادِ _ رقم الحديث (٤١٧٨) (٣/٦) .

والحاكم (٣٠٧/٢) وصححه .

(٥) سورة الحج - الآية ٣٩ .

(٦) أخرجه النسائي (٢/٦) .

(٧) سورة النساء - الآيتان ٩٠ ، ٩١ .

وكانت خاتمة المراحل مرحلة قتال المشركين كافة : من قاتلنا منهم ، ومن كف عنا، وغزوهم في بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهذه المرحلة هي التي استقر عندها حكم الجهاد، ومات عليها رسول الله ﷺ ، وفي هذه المرحلة نزلت آية السيف وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢).

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أو صاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً وقال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولما تغلوا ولما تغدروا ولما تمتلوا ولما تقتلوا وليداً فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال أيها أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم وادعهم إلى الإسلام والتحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين وإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم ما يجري على الأعراب ليس لهم في الغنيمه والفية شيء إلا أن يجاهدوا فإن أبوا فاستعين بالله عليهم وقتلهم.... الخ رواه مسلم (٣) ،

(١) سورة التوبة - الآية ٥ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٢٩ .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣١) وأبو داود (٢٦١٢) والترمذي (١٦١٧) وابن ماجه (٢٨٥٨) من حديث بريدة (مشكاة المصابيح - باب الكتاب إلى الكفار ودعائهم إلى الإسلام - ٢ / ١١٥٠) .

وفي هذا الحديث حثّ على استحضار النية وتثبيت العزيمة في القتال، وإرشاد لآداب الغزو في الإسلام.

وقد لخص الإمام ابن القيم (رحمه الله) تلك المراحل في قوله: وكان محرماً، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين (١)

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): معنى الجهاد إعلاء كلمة الله عز وجل .. أما القتال فهو آخر مرحلة في الجهاد مثل العملية الجراحية ، أو مثل الحشائش الضارة في الأرض والفلاح يقوم بتقطيعها حتى لا تؤثر في الزرع ، ولو كان الجهاد هو القتال فما تفسير الآية المكية التي في سورة الفرقان حيث يقول الله ﷻ ﴿ فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ (٢) .

فهل كان في مكة رفع سيف؟! ولكن الدين رحمة للناس نجتهد عليهم بجهد الدعوة إلى الله ﷻ ليسلموا ثم يدخلوا الجنة (٣).

مقارنة بين الدعوة والقتال:

أولاً: القتال بدون دعوة مثل الصلاة بدون وضوء: فعن ابن عباس (رضي الله عنهما): ما قاتل رسول الله ﷺ قوما حتى دعاهم (٤).

ثانياً: شروط القتال في الإسلام ضد الكفار:

(١) زاد المعاد : (٥٨/٢) .

(٢) سورة الفرقان - الآية ٥٢ .

(٣) كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله - باب هل هناك فرق بين لفظ الجهاد ولفظ الدعوة ص - ١٦٤ .

(٤) رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد، وعبد الرازق في مصنفه، وأحمد في مسنده والطبراني في معجمه، والبيهقي في سننه، وابن النجار (حياة الصحابة - باب الدعوة إلى الله في القتال ٨٦/١ .

(١) النية : أن تكون كلمة الله ﷻ هي العليا : عن أبي موسى الأشعري أن رجلاً أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله أعالى فهو في سبيل الله (١) " متفق عليه (٢) .

(٢) تحقيق الإسلام في حياة المسلمين: ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يخرجون للناس، ويقولون لهم كونوا مثلنا.

(٣) عدم وجوه شبه إسلام في الكفار: قال تعالى: ﴿ هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣).

فمنع الله ﷻ الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم من دخول مكة بالقوة، لوجود مؤمنين ومؤمنات وسط الكفار، أسلموا سرا.

(٤) استنفاد كل طرق الدعوة: كما في قصة نوح (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

(١) الفضائل المذكورة في الجهاد خاصة في من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي " لا إله إلا الله "، ولا يقبل الله من الأعمال إلا ما أريد به وجهه.

فيجب بهذا الإخلاص في الجهاد لله تعالى ، وهو يدل على أن المسلمين ليس يغزون بناءً على شيء من تلك النوايا، ولا يقصدون الاستيلاء على الكفار وبلادهم لأسباب دنيوية ، وإنما يريدون الهداية للبشرية كلها .

(٢) رياض الصالحين _ باب الإخلاص ص ٤٤ .

(٣) سورة الفتح _ الآية ٢٥ .

اسْتَكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ﴿١﴾ يعنى العمل بكل الآيات التي نسختها آية السيف.

٥ (الوقوف ضد عمل الدعوة: أي الوقوف أمام المسلمين، الذين يتحركون لنشر الإسلام، ويمنعون الدعاة من دعوتهم.

٦ رفض الكفار دفع الجزية: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا وَقَالَ اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيَدًا فَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالِ أَيُّهَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّحَوَّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُوا كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِي عَلَى الْأَعْرَابِ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ حِصْنَ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَاجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ لِأَنَّكُمْ إِنْ تَخَفَرُوا ذِمَّتْكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَخَفَرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلُوهُمْ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا أَوْ نَحْوَ هَذَا " رواه مسلم (٢). فيدفعون الجزية ويكونوا في حماية المسلمين.

(١) سورة نوح _ الآيات من ٥ : ٩ .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١) وأبو داود (٢٦١٢) والترمذي (١٦١٧) وابن ماجه (٢٨٥٨) من حديث بريدة (مشكاة المصابيح - باب الكتاب إلى الكفار ودعائهم إلى الإسلام - ٢ / ١١٥٠).

وتتطلب هذه الحماية وجود المسلمين بين ظهراي المشركين، فيرى صفات المسلمين وأخلاقهم (العفة، الأمانة، الصدق، الحلم، الرحمة، .. الخ) فيتأثروا بأخلاق المسلمين .. فيدخلوا في دينهم.. لما يروا في دينهم من الصفات.. والأعمال التي يرونها لصالح حياتهم.

ولذلك كثير من الناس دخلوا في الإسلام بعدما فرض عليهم الجزية ، بعد أن رأوا أخلاق وصفات المسلمين .. وكأن الجزية صورة عملية للدعوة ، فإذا رفضوا كلا الأمرين (الدعوة ، الجزية) حينئذ يقول الله ﷻ ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)(٢).

(٧) وجود إمام للمسلمين يعلن الحرب على الكفار:

أن يكون الجهاد تحت قيادة إمام مسلم و بقيادته، حتى يتدبروا أمرهم بينهم وأن يكون هناك قائد ينظم حركة الجهاد و مطلع على فنونه ، فلا يجوز للمجاهدين أن يجاهدوا بدون إمام لهم حتى وإن قل عددهم أو كثر، مثلما لا يجوز للمسلمين الصلاة في جماعة بدون إمام، ومثلما لا يجوز للمسلمين العيش بدون حاكم أو إمام حتى وإن قل عددهم أو كثر عددهم.

ثالثاً: لو سقط شرط واحد من شروط القتال يُعتبر القتال غير شرعي.

رابعاً: قال المفسرون: أن آية السيف نسخت ١٢٤ آية من القرآن المكي ، ولكن في الحقيقة نسخت ٩٠ سورة مكية(٣) وتسمى هذه السورة بقرآن الدعوة.

(١) سورة التوبة - الآيتان ١٤ ، ١٥

(٢) نقلنا من كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله ص ١٦٧.

(٣) اختلفت عبارات العلماء في تحقيق هذه المراحل ، فادعي بعضهم أن كل مرحلة جديدة نسخت حكم ما قبلها فالمراحل الثلاثة الأولى منسوخة اليوم ، وإنما الباقية اليوم هي المرحلة الأخيرة وهي الرابعة فقط . . . وخالفهم آخرون ، فقالوا: إن المراحل الأولى ليست منسوخة ، وإنما هي مرتبطة

خامسا: بعض المقارنات بين القتال والدعوة :

(١) معنى الجهاد في سورة الفرقان المكية: قال تعالى: ﴿ فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (١) نزلت في الدعوة.. وهي جهاد الفترة المكية.. والقتال في الفترة المدنية بعد الهجرة.. ولفظ الجهاد لم يذكر في القرآن المكي إلا ثلاث مرات وهم: (الآية ١١٠ من سورة النحل .. والآية ٥٢ من سورة الفرقان.. والآية ٦٩ من سورة

بظروف مخصوصة ، كلما عادت، عادت أحكامها، ومن مقدمة من قال ذلك العلامة بدر الدين الزركشي (رحمه الله) فإنه قال: إنه ليس في مراحل الجهاد نسخ ، بل يعمل بكل مرحلة عند الحالة المشابهة للحالة التي شرعت فيها، ويقول في كتابه البرهان في علوم القرآن (٤١/١) : قسم بعضهم النسخ من وجه آخر إلى ثلاثة أضرب: الثالث: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والمغفرة للذين لا يرجون لقاء الله ونحوه ، من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخها إيجاب ذلك ، هذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسا كما قال تعالى: (أو ننسها) فالمنسا هو الأمر بالقتال إلى أن يقوي المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر علي الأذي . وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة التخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك، بل هي من المنسا، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبدا .

والحقيقة أن هذا الاختلاف لا يرجع إلى فرق عملي، وإنما هو اختلاف اصطلاح ، فكلهم يقول: إن هذه الأحكام منوطة بظروف مخصوصة فأحكام الصبر والعفو محكمة في حالة الضعف والعجز، وإباحة القتال في حالة هي فوق الحالة الأولى ، ووجوب قتال الدفع هو حالة فوقها ، ووجوب الابتداء عندما حصل علي المسلمون علي قوة يقدرون معها علي ذلك ، ولكن الطائفة الأولى تسميها قسما من النسخ، والزركشي يسميه إنساء ولا يرضي بتسميته نسخا(كتاب أوليس في سبيل الله إلا من يقتل؟ ص ٣٣).

وهذا الكلام في غاية العظمة وقد أوردته لأنه يوضح كلام الشيخ نعمان ، حيث أنه بدأ الكلام بأثر ابن عباس الدال علي أن القتال لم يترك فيه الدعوة ، وفي اليرموك قام خالد بن الوليد بدعوة جرجة إلي الله حتى أسلم أثناء القتال ، وفي القادسية دعوة ربيعي لرستم قائد الفرس قبل بدء القتال بثلاثة أيام . فالدعوة لم تنسخ بحال من الأحوال.

(١) سورة الفرقان - الآية ٥٢ .

العنكبوت) والسور المكية عددها من ٨٦ : ٩٠ سورة، ولفظ القتال ذكر في السور المكية في آية واحدة في سورة المزمل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن تَحْضُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ (٢) .

أما السور المدنية مثل: البقرة وآل عمران والنساء والأطفال وبراءة والحشر وغيرها تتحدث عن القتال.

فالمرحلة المكية التي ذكر فيها القرآن، القتال ثلاث مرات، يوجد فيها جهد مكتسب، مثل: قيام الليل.. قراءة القرآن.. الذكر.. العفو والصفح.. كظم الغيظ.. الصبر.. الأخلاق الحسنة.. المحافظة على الصلوات.. وعلاوة على ذلك الدعوة إلى الله ﷻ.. وبذلك يهب الله ﷻ لنا الجهد.

فالجهد ليس المقصود، ولكن المقصود إحياء الدين ونشر الأعمال، في مرحلة التربية والإصلاح، وعندما تمت التربية واليقين على الله ﷻ وصفاته عند الصحابة الكرام، أذن لهم بالقتال.

(١) سورة المزمل - الآية ٢٠ .

(٢) يقول ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: أي علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعداء في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهي من أكبر دلائل النبوة، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ أي قوموا بما تيسر.

ومعروف أن من أساسيات العلم: أنه لا يستغني بجهد، عن جهد آخر، مثل: لا يجوز الاستغناء عن جهد الطهارة، بجهد الصلاة، أو بجهد الصيام عن الصلاة.

(٢) دعوة الرسول ﷺ وقاتله رحمة: لأن بعثته ﷺ رحمة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) لأنه ﷺ بديل بنزول العذاب الجماعي .

فسورة التوبة بدون البسمة وفيها: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾^(٣) .

وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٥) ، وفي آخر السورة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٦) فدعوته ﷺ رحمة، وأيضا قتاله رحمة.

(١) سورة الأنبياء - الآية ١٠٧ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٥ .

(٣) سورة التوبة - الآية ١٢ .

(٤) سورة التوبة - الآيتان ١٤ ، ١٥ .

(٥) سورة التوبة - الآية ٣٦ .

(٦) سورة التوبة - الآية ١٢٨ .

٣) والقتال لحل مشكلة دعوية: فالكافر الذي نقاتله هو رفض رحمة الله ﷻ.. رفض الحق بنفسه.. ولكن عندما يمنع وصول رحمة الله ﷻ لغيره، نقاتله حتى يمكن توصيل الرحمة لمن خلفه .

كونوا مثلنا (أي اسلموا مثلنا)، أو دفع الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون.. أو نقاتلكم.. يعنى يبدأ القتال بالدعوة وينتهي بالدعوة أيضا.. أي الدعوة الأصل.

٤) القتال حاجه والدعوة مقصد: وإليك بعض الأمثلة لتوضيح ذلك:

أ_ مثل الطبيب : يقطع رجل المريض لمصلحة باقي الجسم ، قال تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾^(١) فقتل جزء صغير من الكفار لمصلحة باقي الكفار.

ب _ مثل المدرس: يستعمل العصا ليضرب بها الطلبة حتى يهتموا بتحصيل العلم .. ولكن من رآه فقط في حالة الضرب ، وسئل عن المدرس ؟ فيقول : هو الذي يضرب الطلبة بالعصا..؟ ومعروف قصة خالد بن الوليد ؓ مع جرجة قائد الروم ودعوته وسط المعركة .. واستشهاده بعد إسلامه.. وإليك قصة إسلام جرجة: عَن سَيْفِ، عَن أَبِي عُمَانَ يَزِيدَ بْنِ أَسِيدِ الْغَسَّانِيِّ ، عَن عُبَادَةَ ، وَخَالِدِ، قَالَا: شَهِدَ الْيَرْمُوكَ أَلْفَ رَجُلٍ مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيهِمْ نَحْوُ مِائَةِ مِّنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، قَالَا : وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ يَسِيرُ فَيَقِفُ عَلَى الْكُرَادِيْسِ، فَيَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ إِنَّكُمْ ذَاةُ الْعَرَبِ، وَأَنْصَارُ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّهُمْ ذَاةُ الرُّومِ وَأَنْصَارُ الشَّرْكِ ، اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكَ ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ عَلَى عِبَادِكَ . قَالَا: وَقَالَ رَجُلٌ لِخَالِدٍ : مَا أَكْثَرَ الرُّومَ وَأَقْلَّ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَقْلَ الرُّومَ وَأَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّمَا تَكْتُرُ الْجُنُودَ بِالنَّصْرِ وَتَقْلُ بِالْخِذْلَانِ لَا بَعْدَ الرِّجَالِ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الْأَشْقَرَ بَرَاءٌ مِنْ تَوْجِيهِ، وَأَنَّهُمْ أَضْعَفُوا فِي الْعَدَدِ ، وَكَانَ فَرَسُهُ قَدْ حَفِيَ فِي مَسِيرِهِ ، قَالَا: فَأَمَرَ خَالِدٌ عِكْرِمَةَ وَالْقَعْقَاعَ

(١) سورة آل عمران - الآية ١٢٧ .

، وكانا علىٰ مُجَنَّبَتِي الْقَلْبِ، فَأَنْشَبَا الْفِتَالَ، وَارْتَجَزَ الْفُعْقَاعُ، وَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أَلْقَاكَ فِي الطَّرَادِ قَبْلَ اعْتِرَامِ الْجَحْفَلِ الْوَرَادِ وَأَنْتَ فِي حَلْبَتِكَ الْوَرَادِ وَقَالَ عِكْرِمَةُ: قَدْ عَلِمْتُ بِهِكُنَّةَ الْجَوَارِي أَنِّي عَلَىٰ مَكْرَمَةٍ أُحَامِي فَنَشَبَ الْفِتَالَ، وَالْتَحَمَ النَّاسُ، وَتَطَارَدَ الْفَرَسَانُ، فَإِنَّهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَخَذَتْهُ الْخِيُولُ وَسَأَلُوهُ الْخَبَرَ فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةٍ، وَأَخْبِرْهُمْ عَنْ أَمْدَادٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَتَأْمِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَأَبْلَغُوهُ خَالِدًا، فَأَخْبِرَهُ خَبْرَ أَبِي بَكْرٍ أَسْرَهُ إِلَيْهِ، وَأَخْبِرَهُ بِالَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْجُنْدُ، قَالَ: أَحْسَنْتَ فَقَفْ، وَأَخَذَ الْكِتَابَ وَجَعَلَهُ فِي كِنَانَتِهِ، وَخَافَ إِنْ هُوَ أَظْهَرَ ذَلِكَ أَنْ يَنْتَثِرَ لَهُ أَمْرُ الْجُنْدِ، فَوَقَّفَ مُحَمَّدِيَّةَ بِنْتُ زَيْنِمٍ مَعَ خَالِدٍ وَهُوَ الرَّسُولُ، وَخَرَجَ جَرْجَةً حَتَّىٰ كَانَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَنَادَىٰ لِيَخْرُجَ إِلَيَّ خَالِدٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ خَالِدٌ، وَأَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَكَانَهُ فَوَافَقَهُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ حَتَّىٰ اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا، وَقَدْ أَمِنَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ جَرْجَةُ: يَا خَالِدُ أَصَدَّقَنِي وَلَا تُكَذِّبْنِي، فَإِنَّ الْحُرَّ لَا يَكْذِبُ، وَلَا تُخَادِعُنِي فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يُخَادِعُ الْمُسْتَرْسِلَ بِاللَّهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكُمْ، فَلَا تُسَلُّهُ عَلَىٰ قَوْمٍ إِلَّا هَرَمْتَهُمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَبِمَ سُمِّيَتْ سَيْفَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَانَا فَنَفَرْنَا عَنْهُ وَنَأَيْنَا عَنْهُ جَمِيعًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنَا بَاعَدَهُ وَكَذَّبَهُ، فَكُنْتُ فِيْمَنْ كَذَّبَهُ، وَبَاعَدَهُ، وَقَاتَلَهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا فَهَدَانَا بِهِ فَتَابَعْنَاهُ، فَقَالَ: أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ فَسُمِّيَتْ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ، فَأَنَا مِنْ أَشَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: صَدَّقْتَنِي، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جَرْجَةُ: يَا خَالِدُ أَخْبِرْنِي إِيَّامَ تَدْعُونِي؟ قَالَ: إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ؟ قَالَ: فَالْجَزِيَّةُ وَتَمْنَعُهُمْ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُعْطَهَا؟ قَالَ: نُؤَنِّهُ بِحَرْبٍ ثُمَّ نَقَاتِلُهُ. قَالَ: فَمَا مَنْزِلَةُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيكُمْ وَيُجِيبُكُمْ إِلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْيَوْمَ. قَالَ: مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا

شَرِيفْنَا وَوَضِيعْنَا وَأَوْلْنَا وَآخِرْنَا . ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جَرَجَةَ : هَلْ لِمَنْ دَخَلَ فِيكُمْ الْيَوْمَ يَا خَالِدٌ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالذَّخْرِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَأَفْضَلُ . قَالَ : وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ ؟ قَالَ : إِنَّا دَخَلْنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ وَبَايَعْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ يُخْبِرُنَا بِالْكِتَابِ ، وَيُرِينَا الْآيَاتِ ، وَحَقٌّ لِمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا أَنْ يُسَلِّمَ وَيُبَايِعَ ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْحُجَجِ ، فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا . قَالَ جَرَجَةُ : بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَلَمْ تُخَادِعْنِي وَلَمْ تَأْلَفْنِي . قَالَ : بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَكِ وَمَا بِي إِلَيْكَ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ وَحِشَّةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَوْلِيٌّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ . فَقَالَ : صَدَقْتَنِي وَقَلَّبَ التُّرْسَ وَمَالَ مَعَ خَالِدٍ ، وَقَالَ : عَلَّمَنِي الْإِسْلَامَ ، فَمَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فَسْطَاطِهِ فَشَنَّ عَلَيْهِ قَرِيبَةً مِنْ مَاءٍ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ . وَحَمَلَتْ الرُّومُ مَعَ انْقِلَابِهِ إِلَى خَالِدٍ وَهُمْ يَرُونَ أَنَّهَا مِنْهُ حَمَلَةٌ ، فَأَزَالُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ إِلَّا الْمُحَامِيَةَ عَلَيْهِمْ عِكْرَمَةُ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَرَكِبَ خَالِدٌ وَمَعَهُ جَرَجَةُ وَالرُّومُ خِلَالَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَنَادَى النَّاسُ فَثَابُؤُوا ، وَتَرَجَعَتِ الرُّومُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، فَزَحَفَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى تَصَافَحُوا بِالسُّيُوفِ ، فَضْرَبَ فِيهِمْ خَالِدٌ وَجَرَجَةُ مِنْ لَدُنِ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى جُنُوحِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ ، ثُمَّ أُصِيبَ جَرَجَةُ وَلَمْ يُصَلِّ صَلَاةً سَجَدَ فِيهَا إِلَّا الرُّكَعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أُسْلِمَ عَلَيْهِمَا ، وَصَلَّى النَّاسُ الْأُولَى وَالْعَصْرَ إِيْمَاءً ، وَتَضَعَعَ الرُّومُ ، وَنَهَدَ خَالِدٌ بِالْقَلْبِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ خَيْلِهِمْ وَرِجْلِهِمْ ، وَكَانَ مَقَاتِلُهُمْ وَأَسْعَ الْمَطْرَدِ ضَيْقَ الْمَهْرَبِ ، فَلَمَّا وَجَدَتْ خَيْلُهُمْ مَذْهَبًا ذَهَبَتْ وَتَرَكَوْا رِجْلَهُمْ فِي مَصَافِهِمْ ، وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ تَشْتَدُّ بِهِمْ فِي الصَّحْرَاءِ ، وَأَخَّرَ النَّاسُ الصَّلَاةَ حَتَّى صَلُّوا بَعْدَ الْفَتْحِ . وَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ خَيْلَ الرُّومِ تَوَجَّهَتْ لِلْمَهْرَبِ ، أَفْرَجُوا لَهَا وَلَمْ يُحَرِّجُوهَا ، فَذَهَبَتْ فَتَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ ، وَأَقْبَلَ خَالِدٌ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى الرَّجْلِ فَفَضُّوهُمْ ، فَكَانَ مَا هَدَمَ بِهِمْ حَائِطٌ ، فَاقْتَحَمُوا فِي خَنْدَقِهِمْ ، فَاقْتَحَمَهُ عَلَيْهِمْ ، فَعَمَدُوا إِلَى الْوَأُقُوصَةِ حَتَّى هَوَى فِيهَا الْمُقْتَرِنُونَ وَغَيْرُهُمْ ، فَمَنْ صَبَرَ مِنَ الْمُقْتَرِنِينَ لِلْقِتَالِ هَوَى بِهِ مَنْ جَشَعَتْ نَفْسُهُ ،

فِيهِوِي الْوَّاحِدُ بِالْعَشْرَةِ لَا يُطِيقُونَهُ، كَلَّمَا هَوَى اثْنَانِ كَانَتِ الْبَقِيَّةُ أضعفَ ، فَتَهَافَتَ فِي الْوَأُقُوصَةِ عَشْرُونَ وَمِائَةٌ أَلْفٍ، ثَمَانُونَ أَلْفَ مُقْتَرِنٍ، وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ مُطْلَقٍ سِوَى مَنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّجْلِ، فَكَانَ سَهْمُ الْفَارِسِ يَوْمَئِذٍ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَتَجَلَّلَ الْفَيْقَارُ وَأَشْرَافَ مِنْ أَشْرَافِ الرُّومِ بِرَأْسِهِمْ ، ثُمَّ جَلَسُوا، وَقَالُوا : لَا نُحِبُّ أَنْ نَرَى يَوْمَ السُّوءِ إِذْ لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَرَى يَوْمَ السُّرُورِ، وَإِذْ لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَمْنَعَ النَّصْرَانِيَّةَ فَأُصِيبُوا فِي تَرْمَلِهِمْ^(١).

ج _ مثل الشرطي.. يضرب بالعصا أو المسدس ضد الخارجين على القانون لمصلحة باقي الناس، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾^(٢) سواء كان ذلك دعوة أو عمل صالح أو قتال.. فالمقصود بالدعوة: الرحمة فيسلم المدعو فيدخل الجنة.

٥) ومقصود القتال: إيصال الرحمة إلي من وراء المانع للدعوة ، قال تعالى: ﴿ **لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾^(٣) مثل خالد وعكرمة وغيرهم.

٦) الدعوة: استخدام القوة الخلقية:

قال تعالى: ﴿ **فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** ﴾^(٦).

(١) تاريخ الطبري _ خبر اليرموك - رقم الحديث: ١٠٦٨.

(٢) سورة الأنبياء - الآية ١٠٧ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٢٧ .

(٤) سورة الحجر - الآية ٨٥ .

(٥) سورة المعارج - الآية ٥ .

(٦) سورة المزمل - الآية ١٠ .

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرِّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَبَلِّغْ لَهُم بِلَاغِ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

أما القتال: استخدام القوة الغضبية:

ولا يستطيع أحد أن يوقف القوة الخلقية بمعنى حين تكرم أحد فلا يقول لك لا تكرمني.. أو لا تعفو عني أو لا تعاملني بأخلاق كريمة.

ولكن لا يستطيعون إيقاف القتال أو يتغلبوا عليه فالمقاتل قد يمنع أو يهزم .. أما الداعي فلا يستطيع أحد أن يمنعه.

(٧) الدعوة جهد عام لكل الأمة:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢) فالكل يقوم بها بدون أعدار (يقوم بها الضعيف والقوى.. المريض والصحيح.. الغني والفقير.. المبصر والأعمى.. الأعرج والسليم.. الأمي والمتعلم.. الصغير والكبير.. المرأة والرجل، الشاب والشيخ.

أما القتال فجهد خاص:

لأن فيه أعدار، مثل المريض، والأعمى، والأعرج، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (٣)(١).

(١) سورة الأحقاف - الآية ٣٥ .

(٢) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٣) سورة التوبة - الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١).

س: ماذا نفعل عند عدم امتلاك مستلزمات القتال؟

ج: قال تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٣) فيحتاج أشداء أقوياء.
إذن أعدار القتال لا تصلح أن تكون أعدار للدعوة، لأن الله ﷻ عندما أسقط عنهم جهد القتال، ما أسقط عنهم جهد الدعوة، فقال: ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤).

٨) سلاح الدعوة (الحكمة) أما سلاح القتال (القوة):

القتال أسباب خارجية: قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا

١) وجوب الدعوة على أهل الحرج : بين تعالى في هذه الآية الأعدار التي لا حرج على من قعد فيها عن القتال ، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه ، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجهاد في الجهاد ، ومنه العمى والعرج ونحوهما ، ولهذا بدأ به . ما هو عارض بسبب مرض عن له في بدنه ، شغله عن الخروج في سبيل الله ، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهز للحرب ، فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ، ولم يرجفوا بالناس ، ولم يثبطوهم ، وهم محسنون في حالهم هذا ؛ ولهذا قال : (ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم)

وقال سفيان الثوري ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي ثمامة - رضي الله عنه - قال : قال الحواريون : يا روح الله ، أخبرنا عن الناصح لله ؟ قال : الذي يؤثر حق الله على حق الناس ، وإذا حدث له أمران - أو : بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة - بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا .

(٢) سورة الفتح - الآية ١٧ .

(٣) سورة التوبة - الآية ٩٢ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٢ .

تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿١﴾ فالقوة ليست سببا للنصر، ولكن لإرهاب العدو ومن وراءه، ومن علي شاكلته، لأن النصر من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ (١).

والدعوة أسبابها داخلية : قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ (٣) وقد يفقد الداعي الأسباب الخارجية ، ولكن لا يفقد الصفات الطيبة والأخلاق الحسنة، مثل الرسول ﷺ في الطائف، فقد روى الطبراني برجال ثقات: عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم (أي أهل الطائف) أتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) (٤).

(٩) في الدعوة : الانشغال بالمحاسن، ودفع المساوئ (عفو.. صفح.. إكرام .. إيثار ..) أما في القتال: (هجوم.. انتقام.. قتل.. أسر.. غنيمة).

(١٠) الكيفيات في الدعوة : لا تختلف من أول سيدنا نوح عليه السلام، حتى النبي محمد ﷺ، وصحابته ﷺ.

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٢٦ .

(٣) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ٢ .

أما الكيفيات في القتال: تتغير حسب الظروف، وممكن يستفاد فيه من خبرة الغير، كما حدث وأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه علي النبي ﷺ بحفر الخندق، في غزوة الخندق (الأحزاب) .. وفي غزوة بدر أشار الحباب بن المنذر ﷺ ، علي النبي ﷺ أن ينتقل بالجيش إلي بئر بدر.

(١١) لا يمكن التخلق بالأخلاق الدعوية في القتال، مثل: اللين والرفق .. الشفقة والرحمة.. العفو والصفح ، كما حدث في صلح الحديبية ، حينما ذهب عروة بن مسعود الثقفي، للنبي ﷺ ليثنيه عن دخول مكة، نيابة عن قريش، فرد عليه أبو بكر رداً عنيفاً، وإليك القصة كما جاءت في كتب السيرة : جاء عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَوَ اللَّهُ إِنِّي لَأَرَى وُجُوهَهَا وَأَرَى أَوْبَاشًا (١) مِنْ النَّاسِ خُلُقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : امْصُصْ بظُرِّ اللَّاتِ نَحْنُ نَفَرٌ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟! فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ ، وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةَ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ وَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَقَالَ: أَخْرُ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ يَدَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ: أَيُّ غَدْرٍ أَوْلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ قَالَ: فَوَ اللَّهُ مَا تَنَحَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ

فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِدَّهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ إِنْ يَنْتَخِمُ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِدَّهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ .(١)

ولا يمكن استخدام أساليب القتال في الدعوة، مثل : الغضب ، والتجسس، والمكر والخديعة ، والقتل والأسر ، والغنيمة ، والمداهنة ، والانتقام.
١٢) في الدعوة : حفظ (الأعراس ، والأموال ، والدماء):

أ) النبي ﷺ عند هجرته أناب علياً عليه السلام لرد الأمانات التي عنده ، لأصحابها الكفار.

ب) سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢).

ولكن في القتال : القتل والأسر.. وأخذ الغنائم والأموال وسبى النساء والذرية.

١٣) مصطلحات دعوية تنبؤ عن الحب والشفقة والرحمة:

قال تعالى : ﴿ أبلغكم رسالاتِ ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ (٣)

(١) الأوشاب الأوباش، والأخلاق من الناس، انظر المعجم الوسيط ٢ / ١٠٤٥.

(٢) سورة يوسف - الآية ٢٣.

(٣) سورة الأعراف - الآية ٦٨.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنِ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ (٥) كلها مصطلحات تنبو عن حبه، وشفقتهم وعطفهم علي أقوامهم.

أما مصطلحات القتال:

قال تعالى: ﴿ فَقاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿ وقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

(١) سورة هود - الآية ٨٨ .

(٢) سورة التوبة - الآية ١٢٨ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ٦٥ .

(٤) سورة الأعراف - الآية ٧٣ .

(٥) سورة الأعراف - الآية ٨٥ .

(٦) سورة التوبة - الآية ١٢ .

(٧) سورة التوبة - الآية ١٤ .

وقال تعالى: ﴿يَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٤).

(١٤) الولاء والبراء:

أولاً : في الدعوة إلى الله (ﷻ) : قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ارْكَبُوا مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ
الْكَافِرِينَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٧). وقال

تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٨).

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٩).

وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠).

ثانياً : في القتال :

(١) سورة التوبة - الآية ٣٦.

(٢) سورة التوبة - الآية ١٢٣.

(٣) سورة النساء - الآية ٧٦.

(٤) سورة الأنفال - الآية ٦٧.

(٥) سورة هود - الآية ٤٢.

(٦) سورة الحجر - الآية ٨٥.

(٧) سورة مريم - الآية ٨٧.

(٨) سورة طه - الآية ٤٤.

(٩) سورة الأعراف - الآية ١٩٩.

(١٠) سورة الشعراء - الآية ١٣٥.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوَلِّيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوَلِّيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)، فلو قابل أحد المسلمين ابنه ، أو أباة ، أو أخاه ، أو صديقه ، في صفوف المشركين لقتله.

(١٥) العدو الحقيقي:

أولاً: في كل السور المكية (٩٠ سورة) هو الشيطان فقط:

قال أخوة يوسف عليهم السلام: ﴿اقتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (٢).

وقال يوسف في النهاية: ﴿وَقَالَ يَا بْتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٣).

ما شعر يوسف عليه السلام بالعداء ضد إخوته ، وألق بالمسؤولية على الشيطان ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٤).

ثانياً: العدو في القتال: كل المشركين والكفار كل من يقف أمام الدعوة أو من يغتصب شبرا من أرض الإسلام.

(١) سورة المجادلة - الآية ٢٢.

(٢) سورة يوسف - الآية ٩.

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٠.

(٤) سورة فصلت - الآية ٣٤.

(١٦) في القتال: (رهبان بالليل، فرسان بالنهار).

وفي الدعوة:

أولاً: ليل داعي: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (٣).

في الليل: يا رب ! عبادك .. توجيه رحمة الله إلى العباد .. اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين.

ثانياً : نهار داعي:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْتِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٦).

(١) سورة المزمل - الآيات من ١ : ٦ .

(٢) سورة السجدة - الآية ١٦ .

(٣) سورة الذاريات - الآية ١٧ .

(٤) سورة المدثر - الآيات من ١ : ٧ .

(٥) سورة المزمل - الآية ٧ .

(٦) سورة إبراهيم - الآية ١ .

١٧) الدعوة ليست فيها مقابلة: فالرسول ﷺ لم يقل بلال معي ولا أبو جهل ضدي.. أو أمية بن خلف ضدي.. وإذا مر علي مثل (عمار بن ياسر وأبيه وأمه سمية) وهم يعذبون يصبرهم: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.. وفي الليل: يدعو الله أن يهدي من يعذبهم.. لأن الجميع ميدان جهده.

وأما في القتال: هذا معي وهذا ضدي.

١٨) الدعوة ليس فيها تحزب ضد أحد: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكَنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

وإذا أخطأ في الدعوة لا نتحزب ضده، ولكن نتعاون في الإصلاح والتعليم والتفهم.

١٩) في القتال نحب استعجال النصر: قال تعالى ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

وفي الدعوة: عدم الاستعجال: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة هود - الآية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام - الآية ٥٢ .

(٣) سورة الصف - الآية ١٣ .

(٤) سورة العنكبوت - الآية ١٤ .

والله عز وجل يقول لنبيه ﷺ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (٢).

٢٠ القتال: شر في ذاته حسن لغيره.. والدعوة حسنة لذاتها .

٢١ الشهادة (القتال): في القتال مكسوبة، والقتال موسم الشهداء. . والشهادة في الدعوة موهوبة، مثل: (صاحب يسين.. عروة بن مسعود^(٣) .. سمية بنت الخياط زوجة ياسر وأم عمار بن ياسر^(٤)) .

(١) سورة الأحقاف - الآية ٣٥ .

(٢) سورة القلم - الآية ٤٨ .

(٣) أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : لما أنشأ الناس الحج سنة تسع قدم عروة بن مسعود علي رسول الله ﷺ مسلما ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلي قومه ، فقال رسول الله ﷺ : " إني أخاف أن يقتلوك " ، قال : لو وجدوني نائم ما أيقظوني ، فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلي قومه مسلما ، فرجع عشاء فجاء ثقيف يحيونه ، فدعاهم إلي الإسلام ، فاتهموه ، وأغضبوه وأسمعوه ، وقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : " مثل عروة مثل صاحب يسين دعا قومه إلي الله فقتلوه . وأخرجه الحاكم بمعناه (حياة الصحابة - باب دعوة الصحابة في القبائل وأقوام العرب _ دعوة عروة بن مسعود في ثقيف ١/١٨٢) .

(٤) أخرج الحاكم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، قال : مر رسول الله ﷺ بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى ، فقال لهم : صبرا آل ياسر ! صبرا آل ياسر ! فإن موعدكم الجنة .

ورواه ابن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ، وزاد : وعبد الله بن ياسر ، وزاد : وطعن أبيو جهل سمية في قبلها فماتت ، ومات ياسر في العذاب ، ورمي عبد الله فسقط (كذا في الإصابة ٣/٦٤٧) .

وعند أحمد : قال مجاهد : أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قبلها (كذا في البداية ٣/٥٩) .

وعموماً أكثرنا لشهداء يموتون علي الفرش، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرْشِ وَرَبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ " (١).

(٢٢) مقصد الداعي : واضح في قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (٢). ولكن مقصد القتال: إسلام.. جزية.. قتال.

(٢٣) في الدعوة : إذا مات المدعو علي الكفر، نأسف ونحزن. وفي القتال: إذا مات الكافر نفرح ونغنم.. وإذا أسلم نفرح ونكبر.. فلولا جهد الحق ما تحرك سيف خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٢٤) في الدعوة: تظهر الرحمة في طلب إبراهيم عليه السلام المهلة من الملائكة اللذين جاءوا ليدمروا قوم لوط: ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ** * **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** ﴾ (٣).

وفي قصة إسلام زيد بن سحنة الحبر اليهودي، فأراد عمر رضي الله عنه أن يقتله ، فقال صلى الله عليه وسلم : " مهلا يا عمر... وإليك القصة بتمامها: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمْرَةَ بْنِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : مَا مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوءَةِ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمَهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةَ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا ، فَكُنْتُ الطُّفُّ لَهُ إِلَى أَنْ أَخَالَطَهُ ، فَأَعْرِفُ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ . قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مِنْ

(١) مسند أحمد بن حنبل « مسند العشرة المبشرين بالجنة ... » مسند المكثرين من الصحابة _ رقم الحديث (٣٦٤٠)، مسند ابن أبي شيبة _ رقم الحديث (٤٠٤).

(٢) سورة الفاتحة - الآية ٦.

(٣) سورة هود - الآيتان ٧٤ ، ٧٥.

الْحُجْرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبُدْوِيِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ بَقْرَبِي قَرْيَةَ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا ، أَوْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمْ الرَّزْقُ رَغَدًا ، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتُ . فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ ، أَرَاهُ عَلِيًّا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ . قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا فِي حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : " لا ، يَا يَهُودِي ، وَلَكِنْ أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا ، وَلَا تُسَمِّ حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ " . قُلْتُ : نَعَمْ . فَبَايَعَنِي ، فَأَطْلَقْتُ هَمْيَانِي ، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالَ مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا ، فَأَعْطَاهُ الرَّجُلُ ، وَقَالَ : اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأَعْنُهُمْ بِهَا . قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ : فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيَّ الْجَنَازَةَ ، وَدَنَا مِنْ جِدَارٍ لِيَجْلِسَ أَتَيْتُهُ ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بَوَجْهِ غَلِيظٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمَطْلًا ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ ، فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا أَسْمَعُ ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أَحَازِرُ فُوتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ . وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سَكُونٍ وَتَوَدَّةٍ ، وَتَبَسَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : " يَا عُمَرُ ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا : أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ ، أَذْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ ، فَأَعْطَاهُ حَقَّهُ وَزَدَهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعِنَتْهُ " . قَالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ ، فَأَعْطَانِي حَقِّي ، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ. قَالَ: وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ مَا فَعَلْتَ، وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ؟ قُلْتُ: يَا عُمَرُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوءَةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمَهُ جَهْلُهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةَ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأَشْهَدُكَ أَنْ شَطَرَ مَالِي فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَا لَا صَدَقَةَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ. قَالَ عُمَرُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ. قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّنَ بِهِ، وَصَدَّقَهُ، وَتَابَعَهُ، وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ فِي دَلَائِلِ النَّبُوءَةِ، وَظَاهِرٌ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (١). ففي الدعوة نتعلم الصبر.

وفي القتال: ليس هناك مهلا، بل نقتله، إلا إذا نطق بالشهادتين، فنتركه.

(٢٥) بلال ؓ أثنى الدعوة يُعَذِّبُ وَيَقُولُ: أَدُّ .. أَدُّ، أما خالد بن الوليد ؓ أثناء القتال سيف الله المسلول.

(٢٦) في ميدان الدعوة: تظهر الرحمة: النبي ﷺ يسأل عن خالد بن الوليد قبل إسلامه، ويقول لأخيه الوليد بن الوليد _ أثناء عمرة القضاء _ : أين خالد؟ فقال: يأتي الله به. فقال ﷺ: " مثله جهل الإسلام ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين كان خيرا له، ولقد مناه على غيره ".

(١) تهذيب الكمال للزمري « حمزة بن يوسف _ رقم الحديث (٦٥٠)، السنن الكبرى للبيهقي _ رقم (١٠٤٣٥)، الأحاديث المختارة للضياء المقدسي _ رقم الحديث (٣٢٦١).

يقول خالد رضي الله عنه _ في قصة إسلامه _ : عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَرَادَ بِي مِنَ الْخَيْرِ ، قَذَفَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي ، وَقُلْتُ : قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَيْسَ مَوْطِنٌ أَشْهَدُهُ إِلَّا أَنْصَرِفُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مُوضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَظْهَرُ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ ، خَرَجْتُ فِي خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْقَانَ ، فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ ، وَتَعَرَّضْتُ لَهُ ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ أَمَامَنَا ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَغِيرَ عَلَيْهِ ثُمَّ لَمْ يُعْزَمْ لَنَا ، وَكَانَتْ فِيهِ خَيْرَةٌ ، فَأَطَّلَعَ عَلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِنَا مِنَ الْهَمُومِ ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْعَصْرِ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنَّا مَوْقِعًا وَقُلْتُ : الرَّجُلُ مَمْنُوعٌ ، فَافْتَرَقْنَا وَعَدَلَ عَنْ سَنَنِ خَيْلِنَا ، وَأَخَذْتُ ذَاتَ الْيَمِينِ ، فَلَمَّا صَالِحَ قُرَيْشًا بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَدَافَعَتْهُ قُرَيْشٌ بِالرَّاحِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟ أَيْنَ الْمَذْهَبُ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَقَدْ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا ، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ آمَنُونَ ، فَأَخْرَجُ إِلَى هِرَقْلَ ، فَأَخْرَجُ مِنْ دِينِي إِلَى نَصْرَانِيَّةِ ، أَوْ يَهُودِيَّةِ ، فَأُقِيمُ مَعَ عَجْمٍ تَابِعًا مَعَ عَيْبِ ذَلِكَ ، أَوْ أُقِيمُ فِي دَارِي فِيمَنْ بَقِيَ ، فَأَنَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ فَتَغَيَّبْتُ ، وَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ ، فَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي ، وَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا ، فَأِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمْ أَرِ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَقْلِكَ وَعَقْلِكَ ، وَمِثْلَ الْإِسْلَامِ يَجْهَلُهُ أَحَدٌ ؟ قَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْكَ ، فَقَالَ : " أَيْنَ خَالِدٌ ؟ " ، فَقُلْتُ : يَأْتِي اللَّهُ بِهِ ، فَقَالَ : " مَا مِثْلُهُ جَهْلُ الْإِسْلَامِ ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نَكَايَتَهُ وَجَدَهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ " ، فَاسْتَدْرِكُ يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ ، وَقَدْ فَاتَتْكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٍ ، فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشَطْتُ لِلْخُرُوجِ وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ، وَسَرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرَى فِي

النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلَادِ ضَيْقَةٍ جَدْبَةٍ فَخَرَجْتُ إِلَى بِلَادِ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ ، قُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، قُلْتُ : لِأَذْكُرْنَهَا لِأَبِي بَكْرٍ ، فَذَكَرْتُهَا ، فَقَالَ : هُوَ مَخْرَجُكَ الَّذِي هَدَاكَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَالضَّيْقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ الشَّرْكَ ، فَلَمَّا أَجْمَعْتَ الْخُرُوجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ : مَنْ أَصَاحِبُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَلَقِيْتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا وَهْبٍ ، أَمَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ إِنَّمَا نَحْنُ كَأَضْرَاسٍ وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ فَاتَّبَعْنَاهُ فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ ، فَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ ، وَقَالَ لِي : لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مَا اتَّبَعْتُهُ أَبَدًا ، فَافْتَرَقْنَا ، وَقُلْتُ : هَذَا رَجُلٌ قُتِلَ أَخُوهُ وَأَبُوهُ بِبَدْرٍ ، فَلَقِيْتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ صَفْوَانُ ، قُلْتُ : فَاعْتَمِدُوا ذِكْرَ مَا قُلْتُ لَكَ ، قَالَ : لَا أَذْكُرُهُ ، فَخَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي تَخْرُجُ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لِي صَدِيقٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أَرْجُو ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرُهُ ، فَقُلْتُ : وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةٍ تَغْلِبُ فِي جُحْرٍ لَوْ صَبَّ فِيهِ ذَنْوَبٌ مِنْ مَاءٍ خَرَجَ ، وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبِي ، فَأَسْرَعَ الْإِجَابَةَ ، وَقَالَ : إِنِّي غَدَوْتُ الْيَوْمَ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ وَهَذِهِ رَاحِلَتِي بِفَخٍّ مُنَاخَةٌ ، قَالَ : فَاتَّعَدْتُ أَنَا وَهُوَ بِيَأْجِجَ إِنْ سَبَقَنِي أَقَامَ ، وَإِنْ سَبَقْتُهُ أَقَمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَأَدَلَجْنَا سَحْرًا فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى التَقِينَا بِيَأْجِجَ ، فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْهَدَاةِ ، فَجَدَّ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِهَا ، فَقَالَ : مَرَحِبًا بِالْقَوْمِ ، فَقُلْنَا : وَبِكَ ، قَالَ : أَيْنَ مَسِيرُكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَخْرَجَكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَخْرَجَكُمْ ؟ قُلْنَا : الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَاتَّبَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَذَلِكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي ، قَالَ : فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ ، فَأَنخْنَا بِظَهْرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا ، فَأَخْبَرَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَرَّ بِنَا ، فَلَبِسْتُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِينِي أَخِي ، فَقَالَ : أَسْرِعْ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ بِكَ فَسِرَّ بِقُدُومِكَ ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ ، فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ فَاظْلَعْتُ عَلَيْهِ فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوءَةِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ بِوَجْهِ طَلْقٍ ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلًا ، رَجَوْتُ أَنْ لَا يُسَلِّمَكَ إِلَّا إِلَيَّ خَيْرٍ " ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا عَنِ الْحَقِّ ، فَادْعُ اللَّهَ يَغْفِرْهَا لِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ " ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَالِيدِ كُلِّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صِدِّ عَنْ سَبِيلِكَ " ، قَالَ خَالِدٌ : وَتَقَدَّمَ عَمْرُو ، وَعَثْمَانُ ، فَبَايَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ قُدُومَنَا فِي صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانٍ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمٍ أَسَلَّمْتُ يَعْدُلُ بِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ . (١).

وفي ميدان القتال: يأمر النبي ﷺ بالقتل: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي مَوْلَى لَزِيدِ بْنِ ثَابِتٍ حَدَّثَنِي ابْنَةُ مُحْيِصَةَ عَنْ أَبِيهَا مُحْيِصَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ فَوَثَبَ مُحْيِصَةَ عَلَى شَبِيبَةَ رَجُلٍ مِنْ تَجَّارِ يَهُودٍ كَانَ يُلَابِسُهُمْ فَقَتَلَهُ وَكَانَ حُوَيْصَةَ إِذْ ذَلِكَ لَمْ يُسَلِّمْ وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ مُحْيِصَةَ فَلَمَّا قَتَلَهُ جَعَلَ حُوَيْصَةَ يَضْرِبُهُ وَيَقُولُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ لَرُبِّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ . (٢).

(١) دلائل النبوة للبيهقي « المَدْخَلُ إِلَى دَلَائِلِ النُّبُوءَةِ وَمَعْرِفَةُ ... » جِمَاعُ أَبْوَابِ عُمَرَةَ الْحَدِيثِيَّةِ - رقم الحديث (١٧١٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر - رقم الحديث (١٤٦١٨).
 (٢) سنن أبي داود « كتاب الخراج والإمارة والفيء » باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة - رقم الحديث (٣٠٠٢).

وعن الزهري كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عِيْنَةَ وَاللَّفْظُ لِلزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ ائْذَنْ لِي فَلَأَقُلَّ قَالَ قُلْ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا وَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَانَا فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمُنُّهُ قَالَ إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ وَنَكَرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ قَالَ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسَلِّفَنِي سَلْفًا قَالَ فَمَا تَرَهْنُونِي قَالَ مَا تُرِيدُ قَالَ تَرَهْنُونِي نِسَاءَكُمْ قَالَ أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ أَنْرَهْنُكَ نِسَاءَنَا قَالَ لَهُ تَرَهْنُونِي أَوْلَادَكُمْ قَالَ يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ رَهْنٌ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ وَلَكِنْ نَرَهْنُكَ اللَّأَمَةَ يَعْنِي السَّلَاحَ قَالَ فَنَعَمْ وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرِ وَعَبَادِ بْنِ بَشْرِ قَالَ فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ قَالَ سُفْيَانُ قَالَ غَيْرَ عَمْرِو قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ قَالَ إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيْعُهُ وَأَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ قَالَ مُحَمَّدٌ إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ قَالَ فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ فَقَالُوا نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ قَالَ نَعَمْ تَحْنِي فُلَانَةٌ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ قَالَ فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ قَالَ: نَعَمْ فَشَمُّ فَتَنَاولَ فَشَمُّ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُوذَ قَالَ فَاسْتَمَكَنْ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ دُونَكُمْ قَالَ فَتَقْتَلُوهُ " متفق عليه (١).

(٢٧) ميدان الدعوة: طول الحياة: نوح ﷺ ٩٥٠ سنة.. موسى ﷺ ٨٠ سنة..

محمد ﷺ ٢٣ سنة.

(١) صحيح البخاري < ٦٤ كتاب المغازي > قتل كعب بن الأشرف _ رقم الحديث (٤٠٣٧)، صحيح مسلم « كتاب الجهاد والسير » باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت = اليهود _ رقم الحديث (١٨٠١).

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم يستمسك بالدعوة حتى ولو كان هلاكه: فعن ابن إسحاق ، قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا كذا وكذا فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّني من الأمر ما لا أطيق أنا ، ولا أنت ، فاكف عن قومك ما يكرهون من قولك ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومسلّمه وضعف عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عم ، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، فلما ولى ، قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ، فأقبل عليه ، فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ، قال ابن إسحاق : ثم قال أبو طالب في شعر : قال حين أجمع لذلك من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه :

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوْا اِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ	حَتّٰى اَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَامْضِيْ لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ	أَبْشِرْ وَقِرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عِيُونَا
وَدَعَوْتِيْ وَرَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي	فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلَ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينَنَا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ	مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةٌ	لَوْجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مَبِينَا

وَذَكَرَ لِأَبِي طَالِبٍ فِي ذَلِكَ أَشْعَارًا ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
عَصَمَهُ بِعَمِّهِ ، مَعَ خِلَافِهِ إِيَّاهُ فِي دِينِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَعْصِمُهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ عَمُّهُ بِمَا شَاءَ
، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ (١).

وميدان القتال: وقت قليل:

ففي غزوة بدر: يوم واحد (ودار القتال لبضع ساعات).

وفي غزوة أحد: يوم واحد (ودار القتال لمدة نصف يوم).

وفي غزوة الخندق: ٤٥ يوما.

وفي غزوة حنين: يوم واحد.

(٢٨) في ميدان القتال: الغضب حق لله ﷻ .. والتلطف في القتال فشل.

وفي ميدان الدعوة: ليس مطلوب الغضب ولا الغلظة في الدعوة.

(٢٩) في القتال: حمل الكتائف (السلاح وغيره).

أما في الدعوة: حمل اللطائف.

(٣٠) في القتال: قد يغلب المقاتل إذا جاءه من هو أقوى منه.

أما في الدعوة: لا يُغلب الداعي على جهده، ولو كان في السجن، مثل: يوسف

الصديق ﷺ .

(٣١) الدعوة في كل مكان .. أما القتال فليس في أي مكان.

(٣٢) الدعوة تكريم للبشرية .. والقتال ليس تكريم للبشرية.

(٣٣) الدعوة في كل الأحوال .. والقتال حسب الأحوال.

(٣٤) في الدعوة المفتاح معك (يعني أنت الذي تبدأ بالكلام) .. أما في القتال ربما يبدأ

العدو ويفرض عليك القتال.

(١) دلائل النبوة للبيهقي_ رقم الحديث (٥٢٢).

٣٥) في الدعوة : دائما أنت مغلوب ، والظلم من أجل الدين عزة، والظلم من أجل الدنيا ذلة.

أما في القتال: دائما تكون غالبا ومنتصرا (تتمني وتسعي لذلك).

٣٦) الدعوة: جهد نبوي (مكى ومدني)، أما القتال: جهد نبوي مدني.

٣٧) النبي ﷺ قبل الهدنة في صلح الحديبية، لمدة ١٠ سنوات ، ولو وفوا بالعهد لوفي رسول الله ﷺ فكان فتح مكة بعدها بسنتين .. وفي الدعوة : لم يقبل النبي ﷺ الهدنة ولو لحظة واحدة.

٣٨) خطاب الدعوة: (يا بني إسرائيل.. يا بني أقم الصلاة.. وإلي عاد أخاهم هودا .. فلو كان كافرا فأثناء الدعوة تقول له: يا أخي.

وفي القتال: لا يجوز الهوادة مع الكفار، ويقابل بأقبح الألفاظ، مثل: يا عدو الله.. وامصص بظر اللات.

مقارنة

بين جهد الدعوة وجهد العبادة

- العبادة أوقات محدودة .. أما جهد الدعوة: متواصل ليلاً ونهاراً طول الحياة.
- الخالق إذا استعملك رفع قيمتك، ويوفيك حَقَّك، ويعطيك أكثر مما تعمل حتى يأجرك على النية والذرة، وأحياناً يعطيك بغير حساب.
- والمخلوق إذا استعملك رخصك، وأذلك، وأتعبك كثيراً، ولا يوفيك حَقَّك.
- العبادة على نهج النبي محمد ﷺ، والدعوة على نهج ١٢٤ ألف نبي ورسول.
- الاستخدام الكامل للأنبياء ١٠٠ % من جهد إلي جهد ، ومن طاعة إلي طاعة ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾^(١) يؤدي إلي الإخلاص، والإخلاص مدخل لإصلاح النفس ، وفي قراءة ﴿فَرَّغَبْ﴾ الآخريين.
- نشوق غيرنا حتى نشتاق .. ونخوف غيرنا حتى نخاف.
- أول فقه في الدين: قبل فقه الصلاة والصيام والحج هو فقه الدعوة . . وجهد الدعوة قبل جهد الصلاة والصيام والحج.
- الصحابة رضي الله عنهم ثلاث عشر عاماً، والله ﷻ لهم: ﴿ كُفُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾^(٢) لتبسطوا أخلاقكم وأعمالكم الدعوية.
- وفرغ الله أبدان الصحابة لجهد الدعوة ١٣ عاماً ، وفرغ عقولهم لفقه الدعوة ، وفرغ ألسنتهم لتلاوة قرآن الدعوة، ليتهيؤوا لنيابة النبوة، قال تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

(١) سورة الشرح _ الآيتان ٧،٨.

(٢) سورة النساء _ الآية ٧٧ .

الْحَمِيدِ ﴿١﴾.

○ فرغهم الله ﷺ لفقه الدعوة قبل فقه الزواج والطلاق والميراث . . بعد ذلك كانت الأعمال في حياتهم بمزاج الدعوة إلى الله (داعٍ يصلي . . داعٍ يحج . . داعٍ يصوم . . داعٍ يقاتل في سبيل الله ﷺ) فالدعوة وفقه الدعوة هو الأساس حتى يترسخ اليقين على الله وموعوداته.

○ العبادات فيها رخص، فمثلاً:

- كالقصر في صلاة المسافر.

- والمريض يصلي أحياناً وهو جالس أو نائم على جنبه أو على ظهره.

- الحج لمن استطاع إليه سبيلاً.

- والزكاة لمن يملك النصاب.

- وفي الصوم: يفطر المسافر ثم يقضي، والمريض المزمّن يفطر ويفدي عن صومه، والمريض غير المزمّن يفطر ثم يقضي بعد برئه من المرض.

○ أما الدعوة: فليس فيها رخص، فلم يعذر الضعفاء، قال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) فالله عذرهم عن القتال، ولكن ما عذرهم عن الدعوة والنصح.

○ كما أن الأساس ثابت لا يتغير ولا يتبدل، وإلا تحدث كارثة . . ويمكن التبديل

والتغيير في الأدوار وفي النوافذ وفي الأبواب والحوائط . . كذلك فقه الدعوة هو

الأساس.

○ أساس جهد الدين: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا *

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٩١ .

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١﴾ .

○ عنوان رسالة النبي ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

○ بدأت دعوة كل نبي بمطالبة قومه بالعبادة: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) .

○ وأول مطلب للنبي ﷺ : النصره: فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ ، وَفِي الْمَوْسِمِ بِمَنَى يَقُولُ: مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ ! حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةَ "قَالَ: فَقُلْنَا: حَتَّىٰ مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ ، وَيَخَافُ ، فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَعَدْنَا شُعْبَ الْعُقَبَةَ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّىٰ تَوَافَيْنَا ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَىٰ مَا نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: " تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ لَوْمَةً لَّائِمًا ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَكُمُ الْجَنَّةَ " . فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَنَاهُ (٤) ، يطلب منهم أن يقوموا معه بجهد الدعوة إلى الله.

فأول مطلب هو الدعوة وليس العبادة .. والنصرة حتى تقوم الأمة على الجهد ، ولكن عيسى عليه السلام طلب النصره من بني إسرائيل عندما أحس بالنهاية (الكفر) ، قال

(١) سورة الأحزاب _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الأعراف _ الآية ٥٩ .

(٤) السنن الكبرى « كتاب قتال أهل البغي » جماع أبواب الرعاة « باب كيفية البيعة _ رقم الحديث (١٦٠٥) .

يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿١﴾ .
 وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
 نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ (٢) .

○ قوة العابد في عزلته، حتى لا يشوش الناس عليه علاقته بالله ﷻ ، يجلس في خلوته حتى تتجلي الأنوار في قلبه . . لكن قوة الداعي في مخالطته للخلق، فيفرح بمخالطة القوم لدعوتهم.

○ حكم فقهي: إنقاذ من يقع في الحريق أو في البئر مقدم علي العبادة (الصلاة) . . فلو كان الرجل في صلاته واستمر فيها، فالأعمى سيسقط في البئر أو في الحريق، ويكون المصلي آثماً ، فالترتيب الصحيح هو أن يترك الصلاة ، ثم يأخذ بيد الرجل ويبعده عن البئر ثم يرجع إلى صلاته .

○ فقه الدين: هو فقه العبودية ، كيف يعيش الإنسان ٢٤ ساعة تحت مظلة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣) .. يعيش ٢٤ ساعة يُعَبِّدُ فِكْرَهُ ، يُعَبِّدُ هِمَّهُ ، يُعَبِّدُ أَوْقَاتَهُ ، يُعَبِّدُ زَوْجَتَهُ ، يُعَبِّدُ مَالَهُ .

○ الإنسان يتكلم ٢٤ ساعة في فقه الدين، وهمه همّ دنياه ، وفكره فكر دنياه ، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٤) عِبْدَ لِسَانِهِ وَمَا عِبْدَ قَلْبِهِ ، مَا عِبْدَ هِمِّهِ ، لَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة غافر _ الآية ٢٨ .

(٢) سورة الكهف _ الآية ٣٧ .

(٣) سورة الفاتحة - الآية ٥ .

(٤) سورة الحج - الآية ١١ .

- ادخلوا في السلم كافةً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبينٌ ﴿١﴾ .
- في السنة الأولى من البعثة نزل منهاج الأمة: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، وما شرع الصيام والصوم والحج .
- كيف أفكارنا ، وجوارحنا ، تدخل في العبودية ، عن طريق : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢) .
- فقه العبودية : إذا تتكلم .. تمشي .. تتحرك .. تنام .. تفكر .. تجلس .. تتعاون مع غيرك .. تسافر .. ترتحل من مكان إلى مكان ، من أجل { لِيَعْبُدُونَ } .
- الهداية : قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) فالهداية هي العبادة ، والعبادة هي الهداية .
- عبودية الأنبياء:
- الله ﷻ أثنى علي عبودية الأنبياء ، في القرآن: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (٥) فتعرف علي عبودية إبراهيم وموسي وعيسي ونوح عليهم السلام ، وتعرف علي عبودية صاحب يسن، فكل عبودية أثنى الله عليها في القرآن جعلها مطمح حياتنا ، وهي العبودية المرغوب فيها، عبادة: من ينصرتني حتى أبلغ رسالة ربي ؟ .
- كل مسلم أول شيء فعله، فتح بيته لإيواء دين الله ﷻ، لإيواء كلام الله، وكلام رسوله، وخرج لنصرته.. بالقعود ما ذا تؤوي ؟ بالقييل والقال !!! .
- أول ما علم موسي ﷺ أصحابه، علمهم الصلاة والصيام .. وأول ما علم نوح ﷺ أتباعه، علمهم الصلاة والصيام.. وأول ما علم رسول الله ﷺ أتباعه ،

(١) سورة البقرة - الآية ٢٠٨ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٠٧ .

(٣) سورة الفاتحة - الآية ٦ .

(٤) سورة يسن - الآية ٦١ .

(٥) سورة الفاتحة - الآية ٧ .

علمهم جهده ودعوته .

- بسبب بركة ختم النبوة، أعطيت الأمة من أول يوم أعظم عبودية، وهي عبودية هم إحياء الدين، بها يصبح العبد من أعبد خلق الله تعالى.
- أعظم عبودية أن تضع عبادتك وعبادة من تحبهم، في ميزانك.
- يصبح الرجل بالدعوة أمة : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) لما تنوي أن تحيي أمة ، فأنت أمة.
- كلفنا باستلام نيابة النبي ﷺ: كان جهد الدعوة ينتقل من نبي إلي نبي ، كلما مات نبي ، خلفه نبي آخر في جهده ، فخلف سيدنا إبراهيم ﷺ في جهده ، إسحاق ويعقوب عليهما السلام .. ووهب لسيدنا زكريا ﷺ، يحيى ﷺ ، ليخلف أباه في جهده .. والنبي ﷺ أخذت أبناءه صغاراً ، لتقر عينه بأمته ، تشتغل بهذا الجهد معه ، وبعده .

هكذا كانت عبادة الدعوة إلي الله ﷻ ، تنتقل من نبي إلي نبي ، وببركة ختم النبوة ، انتقلت من نبينا محمد ﷺ إلي أمته ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) .

وما أشرك الله ﷻ سيدنا هارون مع سيدنا موسى عليهما السلام ، في الدعوة ، إلا بعد إلحاح من سيدنا موسى ﷺ علي الله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * واحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * واجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾^(٣) .

(١) سورة النحل - الآية ١٢٠ .

(٢) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٣) سورة طه - الآيات من ٢٥ : ٣٦ .

فأشرك الله ﷺ سيدنا هارون عليه السلام في أمره، وأشرك الله ﷺ أمة محمد ﷺ كلها، في أمر محمد ﷺ.

○ كانت أقدام موسي وهارون عليهما السلام، تمشي إلي فرعون، وما في قدم إسرائيل مشي في الدعوة، لكن أقدام الصحابة ؓ مع أقدام النبي ﷺ .. وكان الثناء من الله ﷻ علي الأنبياء فردي، لا يشمل أممهم، بل بين الله ﷻ عيوب أممهم، وببركة جهد النبي ﷺ مجد الله ﷻ صفات نبينا وصفات أمته .

○ القرآن الكريم عندما يقول لنا : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَمَا كَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (١) يأمرنا بإتباعه في الدعوة، والحذر من هفوات أصحابه .. وببركة ختم النبوة، اقتدوا بمحمد وأصحابه.

○ فقه العبادة ، فقه مجمل في القرآن :

ففي الصلاة: قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٢).

وفي الصيام: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (٣).

وفي الزكاة: قال تعالى: ﴿ وَأَتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٤) .

وفي الحج : قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٥).

○ أما فقه الدعوة : فهو فقه مفصل في القرآن، الله ﷻ بينه لنا من أول نوح عليه السلام

حتى نبينا محمد ﷺ وصحابته ؓ ، القرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء عليهم

السلام . . وقيض الله ﷻ لنا العلماء لحفظ سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام .

○ لو قرأت قول الله تعالى: ﴿ الرُّكُوبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

(١) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة - الآية ١٨٣ .

(٤) سورة البقرة - الآية ٤٣ .

(٥) سورة آل عمران - الآية ٩٧ .

النور بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ . أي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة.. ولكن علي أي مذهب؟

ما ترك الله ﷻ الدعوة لأي مذهب فقهي يفصلها، وتولي تفصيلها بذاته من خلال كتابه وسيرة نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

○ فقه العبادة مهم ، وفقه الدعوة أهم.. لذلك تولى الله تفصيل الأهم بذاته العلية ، يفصل دعوة نوح ﷺ وصبره علي قومه مع طول مدة رسالته.. يفصل دعوة إبراهيم ﷺ وأخلاقه وحلمه .. فصل لنا دعوتهم وما فصل لنا عبادتهم.

○ القرآن المكي كله يبين فقه: ﴿لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ولو فهمت الأمة هذا العلم ، ما بقي واحد في الظلمة .

○ الدعوة مفصلة في القرآن ، والعبادة مجملة.. المفصل الأمة جهلته، والمجمل الأمة فهمته .. مع أن الإنسان يفهم المجمل ولا يعذر في عدم فهم المفصل.. والسبب واضح هو قوة الطلب علي المجمل ، بالإضافة أن الشيطان جعل في قلوب الناس حساسية ضد جهد الدعوة لأنه يحاج إلى تضحيات.

○ الأنبياء السابقين أقاموا أقوامهم علي جهد العبادة ، ولم يقيمواهم علي جهد الدعوة ، سيدنا موسى ﷺ ما طلب من قومه أن يذهبوا معه إلي فرعون عليه اللعنة والرسول ﷺ كلف بدعوة فراعنة كثيرون ، فكلف الأمة كلها بلواء الدعوة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ ما قال: آمنوا به وصلوا وصاموا.

○ مولود يولد علي الجهد لا علي اللعب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾^(٢)، ولكن النبي ﷺ الله ﷻ وهب له أمته كلها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) فأنت هبة ليس لأبيك ولا لأمك، ولكن هبة لنبيك محمد ﷺ، فكن خير هبة لأحسن موهوب.

○ الله طلب من الأمة النصر للدين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾^(٤) في سورة الصف، لنكون صفا واحدا، في نصره الدين والنداء لكل أهل الإيمان.

○ القرآن المكي يأمرنا باتباع الأحسن، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٥) جهد العبادة حسن، وجاء بعد جهد أحسن خلال ١٣ سنة.

○ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٦) هذه الآية مكية والسبيل هو طريق الدعوة.. كما اتخذها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولذا ندم الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو علي تأخرهم عن سلك

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٥٧.

(٢) سورة مريم _ الآية ٤٩.

(٣) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

(٤) سورة الصف _ الآية ١٤.

(٥) سورة الزمر _ الآية ٥٥.

(٦) سورة الفرقان _ الآية ٢٧.

طريق الدعوة مع النبي ﷺ من بداية الدعوة، وذلك حين حضر أناسٌ بابَ عَمَرَ
وفِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالشُّيُوخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجَ آذِنُهُ
فَجَعَلَ يَأْذِنُ لِأَهْلِ بَدْرِ كَصُهَيْبِ وَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ، قَالَ: وَكَانَ وَاللَّهِ بَدْرِيًّا وَكَانَ يُحِبُّهُمْ ،
وَكَانَ قَدْ أَوْصَى بِهِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، أَنَّهُ يُؤْذَنُ لِهَذِهِ الْعَبِيدِ
وَنَحْنُ جُلُوسٌ لَأَيُّهَا الْإِنْيَا، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَيَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ مَا كَانَ أَعْقَلَهُ
"أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ أَرَى الَّذِي فِي وُجُوْهِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاعْضَبُوا عَلَيَّ
أَنْفُسِكُمْ ، دَعِيَ الْقَوْمُ وَدَعَيْتُمْ ، فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْتُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَمَا سَبَقُوكُمْ بِهِ مِنْ
الْفَضْلِ فِيمَا يَرُونَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ قُوْتًا مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الَّذِي تَنَافَسُونَ عَلَيْهِ " ثُمَّ قَالَ: "
إِنَّ هَذَا الْقَوْمَ قَدْ سَبَقُوكُمْ بِمَا تَرُونَ، وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ وَاللَّهِ إِلَيَّ مَا سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ ،
فَانظُرُوا هَذَا الْجِهَادَ فَالزَّمُوهُ، عَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَكُمْ الْجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ " ثُمَّ
نَفَضَ ثَوْبَهُ فَقَامَ فَالْحَقَّ بِالشَّامِ قَالَ الْحَسَنُ: صَدَقَ وَاللَّهِ، لَأَجْعَلَ اللَّهُ عَبْدًا أَسْرَعَ
إِلَيْهِ كَعَبْدِ أَبْطَأَ عَنْهُ.(١)

○ شريعة الإسلام شريعة: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ
عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾
(٢) وهي شريعة أولي العزم من الرسل ، والله ﷻ يبينها لنا حتى نسير عليه
﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ ما كبر على المشركين صلاتنا ولا
صيامتنا ولا حجنا ، ولكن كبر عليهم دعوتنا.

○ وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ وما ذكر الله

(١) رواد الحاكم في المستدرک ٢٨٢/٣ . وأخرجه البخاري في تاريخه، وابن عبد البر في الاستيعاب)
حياة الصحابة_ رغبة الصحابة في الجهاد (١/٤٣٦).
(٢) سورة الشوري - الآية ١٣ .

﴿الاجتباء إلا بعد الجهد، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أْبَيْكُمْ إِِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (١) الله ﷻ اجتبي كل الأمة، فمطلوب مني أن أطلب وأسعى وأجتهد أن يقبل الله مني أن أكون من المجتبيين.

○ قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) مجد ربه ساعة فالله من فوق عرشه مجده حتى قيام الساعة.. فما بالناس بالذي يمجده ربه آناء الليل وآناء النهار، وحتى نهاية عمره وهو يمجده ربه.

○ عبادة الجهد أفضل من عبادة الزهد:

زهد الصحابة كان بسبب انشغالهم بالجهد . . فكان من نتيجة ذلك قلت الأشياء عندهم.. ولما فتحت الفتوحات لم ينشغلوا بها ، بل خافوا منها، عن الحسن، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقفة بن مالك بن جعشم، قال: فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما في يده، فبلغا منكبيه، فلما رأهما في يدي سراقفة، قال: "الحمد لله، سوارى كسرى بن هرمز في يد سراقفة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج". ثم قال: "اللهم إني قد علمت أن رسولك صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصيب مالا فينفقه في سبيلك وعلى عبادك، وزويت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً". ثم قال: اللهم إني قد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحب أن يصيب مالا فينفقه في سبيلك وعلى عبادك، فزويت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً، اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكرًا منك بعمر. ثم

(١) سورة الحج _ الآية ٧٨.

(٢) سورة يسن _ الآية ٢٠.

قَالَ تَلَى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ * نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١)(٢).

وفي رواية: ولما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما أصيب بالعرّاق قال له صاحب بيت المال، أأنا أدخله بيت المال؟ قال لا ورب الكعبة لا يؤدي تحت سقف بيت حتى أقسمه فأمر به فوضع في المسجد ووضعت عليه الأنطاع وحرسه رجال المهاجرين والأنصار فلما أصبح غدا مع العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف أخذ بيد أحدهما، أو أحدهما أخذ بيده فلما رأوه كشطوا الأنطاع عن الأموال فرأى منظرا لم ير مثله رأى الذهب فيه والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلأأ فبكى عمر بن الخطاب فقال له أحدهما والله ما هو بيوم بكاء، ولكنه يوم شكر وسرور، فقال: إني والله ما ذهبت حيث ذهبت، ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط إنا وقع بأسهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني أسمعك تقول: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - الآية، ثم قال: أين سراقه بن جعشم؟ فأتي به أشعر الذراعين دقيقهما فأعطاه سوارى كسرى فقال: البسهما ففعل فقال الله أكبر ثم قال الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما سراقه بن جعشم أعرابيا من بني مدلج وجعل يقلب بعض ذلك بعضا، ثم قال: إن الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل: أنا أخبرك أنت أمين الله وهم يؤدون إليك ما أديت إلى الله عز وجل فإذا رتعت رتعوا قال صدقت ثم فرقه.

○ زهد خالد بن الوليد ﷺ بسبب جهده، لأنه كان يعرض نفسه للشهادة كل وقت . . .
ولكن الذي يحرم نفسه من الطيبات دون الجهد، ويخاف من الموت (الشهادة في

(١) سورة المؤمنون - الآيات ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) حياة الصحابة - الخوف على بسط الدنيا - خوف عمر ﷺ . وبكاؤه ٢/٢٤٤

سبيل الله (ليس بزاهد.

○ لا توجد آية في القرآن تمدح الزهد، ولكن الآيات تمدح الجهد.. والداعي عنده جهد الكسب وجهد الإنفاق .. أما الزاهد فلا كسب ولا إنفاق، بل جائع يدعو غيره للجوع.

○ العبادة في حياة العابد كل من كل.. أما في حياة الداعي فهي جزء من كل.

○ العبادة تعلق بالله (صلاة .. صوم .. ذكر .. قراءة قرآن .. ذكر) .. أما الدعوة تعلق وتخلق، ومعني التخلق: علاقة مخلوق بمخلوق.

○ الجولة تخلق ، فكيف نجعل التعلق في التخلق ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

والعابد ما عنده التخلق لأنه أدار ظهره للمخلق.

الداعي بالليل تعلق بالله .. وبالنهار تخلق (تأليف.. تعريف .. دعوة.. تكليف.

الداعي بالليل تعلق، وبالنهار تخلق.

○ في جهد الدعوة ممكن سفيه يتهمك عليك، فتعلم عليه، فتتعلم الصبر والعفو والإتاة .. أما العابد فقد أدار ظهره للمخلق، فلا يحتك بالناس، فلا يتعلم الحلم ولا الصبر.

○ الخطباء والوعاظ يقولون: شكر الله لحسن استماعكم .. اللهم! بلغت ، اللهم

فاشهد .. وكأن الدين لسان يتكلم وأذن تسمع.

أما الداعي يقول: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢) .

(١) سورة الأنعام - الآية ١٢٢.

(٢) سورة غافر - الآية ٣٨.

﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) ما يقول: اسمعوني، ففي الآيتين ما يقولون اسمعوا المرسلين.

○ سبعين ألف عابد من بني إسرائيل ما ذكر الله قصة إيمانهم وعبادتهم، ولكن الذي قام منهم بالدعوة، ذكر الله ﷺ قصته في القرآن: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مَّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢) شرفه جهده ولم يشرفه نسبه . . . وبلال ؓ لم يشرفه نسبه بل شرفه جهده، بعد أن كان يُسمى بلال العبد أصبح يُسمى سيدنا بلال، أصبح مؤذن الرسول، أصبح يجلس مع الأكابر النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ؓ ، الكل يعرف حقه، فيقول عمر: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا.

○ عباد بني إسرائيل (٧٠ ألف) في عهد موسى، ماذا فعل الله ﷻ بهم ؟ قال الله تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣) .

وبعد موسى ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى: { وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا } قال أبو عبيدة: فرقناهم فرقا. قال

(١) سورة يسن - الآية ٢٠.

(٢) سورة غافر - الآية ٢٨.

(٣) سورة الأعراف - الآية ١٦٠.

(٤) سورة الأعراف - الآية ١٦٨.

ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل. وقيل: معناه: شتات أمرهم وافتراق كلمتهم. { مَنَّهُمُ الصَّالِحُونَ } وهم المؤمنون بعيسى ومحمد عليهما السلام. { وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ } وهم الكفار. وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى، وقبل ارتدادهم (١).

لما جاءت طرق التعبد فالعباد صاروا (أما) أي شيعا وفرقا، وفرحوا بذلك، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٢).

فماذا فعل الله بهم ؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣).

وعن عبد الله بن عمرو، قال قال رسول الله ﷺ: " لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّةً عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِائَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِائَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِائَةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " رواه الترمذي (٤).

والآن بفضل الله ﷻ بالدعوة ملايين الناس والفكر واحد والاتجاه والهدف واحد، والنية واحدة، بسبب الدعوة جمع الله ﷻ قلوبهم .

○ نور الإيمان في قلب الداعي أقوى من نور الشمس.

○ هناك فرق بين يقين الداعي ويقين العابد . فالداعي كل يوم يزداد يقينه علي

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي .

(٢) سورة الروم - الآية ٣٢ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ١٥٩ .

(٤) في كتاب الإيمان - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة .

الغيبات، وهكذا كل الأنبياء عليهم السلام.

○ الأمة لما صارت عبادة زادت الفتن .

○ صاحب الجهد يحفظ في مكان الفتنة، مثل: سيدنا لوط عليه السلام ، قال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي

وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١). فقال الله تعالى: ﴿ فَنجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢).

○ أما العابد فيفتن في مكان العبادة، مثل:

(١) بلعام بن باعوراء :

قال تعالى: ﴿ وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿ وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ { إنها العلم بكتب الله عز وجل، والمشهور في التفسير أنه بلعام بن باعوراء، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى عليه السلام غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفارا، وكان هو

(١) سورة الشعراء - الآية ١٦٩ .

(٢) سورة الشعراء - الآية ١٧٠ ..

(٣) سورة الأعراف - الآيتان ١٧٠ ، ١٧٦ .

مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من أهل ديني ولا ينبغي لي أن أدعو عليه، فأمر الملك أن تنحت خشبة لصلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعو على موسى، فلما عين عسكرهم، وقفت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقد قد منعني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعو عليهم، وإما أن أصلبك، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة، فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم، فقال: يا رب فكما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه، فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنزع منه. وقيل: إن بلعام أمر قومه أن يزينوا النساء ويرسلوهن في العسكر ليفشوا الزنا فيهم، فينصروا عليهم. وقيل: إن موسى قتله بعد ذلك. وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرعا، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإنكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوت عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا، وذلك بعد مضي الأربعين سنة تاهوا فيها، وكان نبيهم يوشع لا موسى.

قوله تعالى: {ءَايَاتِنَا فَانْسَلْخَ مِنْهَا} أي: خرج من العلم بها.

قوله تعالى: {فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ} استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه ولهذا قال (فكان من الغاوين) أي من الضالين الهالكين الحائرين البائسين وقوله تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا ولحلنا بينه وبين المعصية بالآيات التي آتيناها إياها {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من أولي البصائر والنهي، قوله تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ} وهذه الآية من أشد الآيات على أصحاب العلم، إذا مالوا عن العلم إلى الهوي وذلك لأنه تعالى بعد أن خص هذا الرجل بآياته

وبيئاته، وعلمه الاسم الأعظم، وخصه بالدعوات المستجابة، لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب، وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله في حقه أكثر، فإذا أعرض عن متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى، كان بعده عن الله أعظم، فمن آتاه الله العلم والدين فمال إلى الدنيا، وأخذ إلى الأرض، كان مشبها بأخس الحيوانات وهو الكلب اللاهث (١).

(٢) جريج العابد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَمْ يَنْكَمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عَيْسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ ، يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أَصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تَرِيَهُ وَجْوهَ الْمُؤْمِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعْتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعْتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبَّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ ، قَالَ: الرَّاعِي ، قَالُوا : نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : لَا إِلَا مِنْ طِينٍ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرَضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةِ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمِصُّهُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مَرَّ بِأُمِّهِ ،

(١) انظر تفسير سورة الأعراف بزيادة المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، مفاتيح الغيب للرازي - وتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ ثَدْيَيْهَا ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ ، فَقَالَ : الرَّكَّابُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ سَرَقْتَ زَيْنَتِي وَلَمْ تَفْعَلْ (١)."

وفي رواية مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ ، عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمِعَةً ، فَكَانَ فِيهَا فَاتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَأَنْصَرَفَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَأَنْصَرَفَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تَمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيَّ وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ ، فَتَذَاكِرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَغِيًّا يَتِمَّتْ بِحُسْنِهَا ، فَقَالَتْ : إِنْ شِئْتُمْ لَأُفْتِنَنَّكُمْ ، قَالَ : فَتَعَرَّضْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَنْتَفِتْ إِلَيْهَا ، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَيَّ صَوْمِعَتِهِ ، فَأَمَكْنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ ، فَلَمَّا وُلِدَتْ ، قَالَتْ : هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمِعَتَهُ ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : زَيْنَتَ بَهْذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ ، فَقَالَ : أَيُّنَ الصَّبِيِّ فَجَاءُوا بِهِ ، فَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ ، فَصَلَّى فَلَمَّا أَنْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ ، وَقَالَ يَا غُلَامُ : مَنْ أَبُوكَ ، قَالَ : فُلَانُ الرَّاعِي ، قَالَ : فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يَقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ ، وَقَالُوا : نَبِيِّ لَكَ صَوْمِعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : لَا ، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ ، فَفَعَلُوا ، وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةَ حَسَنَةٍ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا ، فَتَرَكَ الثَّدْيِيَّ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيَيْهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ ، قَالَ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا ، قَالَ : وَمَرُّوا
بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ سَرَقْتِ وَهِيَ ، تَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
، فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا ، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ
اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، فَهَنَّاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَتْ حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ، فَقُلْتُ :
اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، وَمَرُّوا بِهِذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمْ
يَضْرِبُونَهَا ، وَيَقُولُونَ : زَنَيْتِ سَرَقْتِ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا ، فَقُلْتُ :
اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، قَالَ : إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ،
وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ ، وَلَمْ تَزْنِ ، وَسَرَقْتِ ، وَلَمْ تَسْرِقْ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي
مِثْلَهَا " . (١) .

(٣) برصيصة العابد :

ذكر أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) أن عابدا من بني إسرائيل كان
يقال له برصيصة تعبد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع
إبليس يوما مرده الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني برصيصة؟ فقال الأبيض: وهو
صاحب الأنبياء أنا أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، وأتى صومعته، فناداه فلم

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الْبِرِّ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالْأَدَابِ » بَابُ تَقْدِيمِ بَرِّ الْوَالِدِينَ عَلَى التَّطَوُّعِ ... رقم
الحديث (٤٦٣٢) .

(٢) سورة الحشر - الآية ١٦ .

يجبه وكان لا يفتل عن صلاته، إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعه، فلما انفتل برصيصة، اطلع فرآه منتصبا يصلي على هيئة حسنة، فناداه ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصة: إني لفي شغل عنك ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يقبل إليه برصيصة أربعين يوما، ثم انفتل فرآه يصلي فلما رأى شدة اجتهاده، قال ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول: فأذن له فصعد إليه، فأقام معه حولا لا يفطر إلا كل أربعين يوما، ولا يفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوما، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصة اجتهاده أعجبه شأنه وتقاشرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصة: إني منطلق عنك، فإن لي صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى فاشتد ذلك على برصيصة، وكره مفارقتها، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي، فقال برصيصة: إني أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلا، فأخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل فانطلق الأبيض، فتعرض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطرب فقال لأهله: إن بصاحبكم جنونا فأعالجه قالوا: نعم فقال لهم: إني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له فيعافي فقالوا له: دلنا قال انطلقوا إلى برصيصة العابد فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصة، فيعافون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطرب، فقال أعالجها؟ قالوا: نعم. فقال إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا: ومن هو؟

قال بريصصا، قالوا فكيف لنا أن يقبلها منا وهو أعظم شأننا من ذلك؟ قال إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتنصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسنا وجمالا، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فأن سألوها عنها قالت: جاء شيطانها، فذهب بها، فلم يزل بها حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدقوه، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت إليكم، فتفرقوا ينظرون لها أثرا، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك: إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا. وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكثرث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط: وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها: فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتهمتموني، قالوا: لا والله، واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عدو الله لم قتلتها؟ اهبط. فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلا، ثم قادوه إلى الملك فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بقتله وصلبه، فعرض له الأبيض، فقال:

أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك ما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من الله؟ ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك بين الناس؟ فإن مت على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له، فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت {إني بريء منك} ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرهم المنافقون، ثم أسلموهم (١).

وعن ابن عباس أنه قال : إن الشياطين قالوا يا سيدنا مالنا نراك تفرح بموت العالم ولا تفرح بموت العابد والعالم لا تصيب منه والعابد تصيب منه ..؟ قال : فانطلقوا .. فانطلقوا إلى عابد فأتوه في عبادته قالوا إنا نريد أن نسألك فانصرف . فقال إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ..؟ فقال : لا أدرى . فقال: أترونه كفر في ساعة.

ثم جاءوا إلى عالم في حلقتة يضحك أصحابه ويحدثهم فقالوا إنا نريد أن نسألك .. فقال سل : فقال : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة..؟ قال : نعم . قالوا: كيف ؟ قال : يقول كن فيكون . فقال إبليس : أترون ذاك لا يعدوا نفسه وهذا يفسد عليّ عالماً كثيراً .

ورويت هذه الحكاية من وجه آخر :

أنهم سألوا العابد فقالوا: هل يقدر ربك أن يخلق مثل نفسه فقال العابد: لا أدرى. فقالوا: أترونه تنفعه عبادته مع جهله، وسألوا العالم عن ذلك فقال: هذه المسألة محال.. لأنه لو كان مثله لم يكن مخلوقاً وهو مثل نفسه مستحيل، فإذا كان

(١) زاد المسير في علم التفسير - تفسير سورة الحشر.

مخلوقاً فلا يكون مثله بل كان عبداً من عبده وخلقاً من خلقه . فقال أترون هذا يهدم في ساعة ما أبنيه في سنين (١) .

وهكذا يوقع الشيطان العباد في الفتن والمعاصي ويخرجهم من الدين، ولكنه لا يستطيع أن يقترب من الداعي، لأن العابد منشغل بنفسه ومقبل على عبادة ربه والعالم منشغل بمعرفة ربه ودعوة الخلق إليه .

○ فصلاح عبودية العابد في خلوته، وإذا خرج من الخلوة يتأثر بالفنن ولكن لصلاح الداعي يفضل له الحركة في الدعوة، ولا يتأثر من الفتن، بل الفتن تقوي عبوديته .

○ العابد ملذاته في عبادته .. والداعي يُضحى بملذاته لهداية غيره ، فيجعل الله ﷻ ملذاته في دعوته .

○ العابد يحقر العاصي ويغضب عليه، فمزاجه غضبي خاصة مع العصاة.. والداعي يتأسف ويحزن ويشفق ويرحم علي العصاة.

○ بسمة الداعي في وجه العاصي ، أحبُّ إلي الله ﷻ من بكاء العابد في سجوده.. ، لأن بسمة الداعي في وجه العاصي لإتقاده من النار ، والعابد يبكي لإتقاده نفسه .

○ البكاء في وجه الناس ينفرهم، فمن صفات الداعي: بكاءً بالليل، بساما بالنهار.

○ البسمة نهاراً وجهراً .. والبكاء ليلاً وسراً.

○ نافلة الداعي خير من فريضة العابد، لأنها سببا لنشر الدين وهداية الخلق.

○ بدء السلام نافلة ، ورد السلام فرض .

○ ونافلة السلام خير من فريضة الرد.. الخير بالخير والبادئ أرحم.

○ فالداعي استثمر السنة لإقامة الفرض.. فلو استثمر فرض لأقام أفراد علي الحق..

فالصحابة رضي الله عنهم في فتح مكة أفطروا في نهار رمضان، فهم ضحوا

- بالفرض لإحياء آلاف وملايين الناس علي الإيمان والأعمال حتى قيام الساعة.
- الكفار يتأثرون بنور نافذة الداعي، مثل: آداب الطعام . . آداب النوم . . وإذا تأثروا أسلموا ثم يأتي عندهم جميع الفرائض والسنن.. فاستثمار الفريضة يأتي بمليارات الفرائض .
- العابد مثل : مصباح يضيء في حجرة .
- أما الداعي: مثل الشمس تستنير بها الدنيا كلها.
- غبار الداعي وهو متحرك في الدعوة خير من مسك العابد، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ " قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ مَوْلَى أَبِي طَلْحَةَ مَدَنِيٌّ (١).

- وأرسل عبد الله بن المبارك، إلى: فضيل بن عياض، رسالة قال فيها:
- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| يا عابد الحرمين لو أبصرتنا | لعلمت أنك في العبادة تلعب |
| من كان يخضب خده بدموعه | فحورنا بدماءنا تخضب |
| أو كان يتعب خيله في باطل | فخيولنا يوم الصبيحة تتعب |
| ريح العبير لكم ونحن عبيرنا | وهج السنايك والغبار الأطيب |
| ولقد آتانا من فعال نبينا | قول صحيح صادق لا يكذب |
| لا يستوى غبار خيل الله | في أنف امرئ ودخان نار تلهب |
| وهذا كتاب الله ينطق بيننا | ليس الشهيد بميت لا يكذب |

- عَنْ أَبِي صَالِحِ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سنن الترمذي « كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله _ رقم الحديث (١٣٣٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَصْخَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" متفق عليه (١) هذا فم الصائم ، فما بالناس بغم الداعي إلى الله..

○ الداعي عنده الإيثار وليس الاستئثار، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

○ الداعي مثل : الذي يزرع شجرة المانجو . . . والعابد مثل : الذي يشرب عصير المانجو .

فالذي يشرب يجد لذة بدنية . . . أما الذي يزرع ويسقي الزرع ، يجد لذة روحية، وهو أول من يجني ثمرة زرعه، فالداعي يستفيد من دعوته قبل استفادة المدعو. الأمة المسلمة، الله ﷻ مدحها وهي تشرب الخمر في مكة . . . بأي شيء ؟ إنها العبودية: قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٣). وصفهم بأنهم عباده . . . الله ﷻ يمجدهم أعظم عبودية حققتها أمة محمد ﷺ . . . وفي ذلك الحين ما زالوا يشربون الخمر لأنها حُرمت في المدينة ، وما صاموا رمضان لأن الصوم فرض في السنة الثانية للهجرة . . . وما حجوا لأن الحج فرض في السنة التاسعة

(١) صحيح البخاري « كتاب الصوم » باب هل يقول إني صائم إذا شتم _ رقم الحديث (١٨٠٥).

صحيح مسلم « كتاب الصيام » باب فضل الصيام _ رقم الحديث (١١٥١)

(٢) سورة الحشر - الآية ٩ .

(٣) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٥ .

للهجرة .

والله ﷻ يخاطبهم : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } فكانت فيهم العبودية الكاملة لله تعالى من أول يوم، بل من أول لحظة . . وتجلي ذلك عليهم عندما نزل عليهم ألوان العذاب ، بسبب إسلامهم ، ولم يتراجعوا عن عبوديتهم لله تعالى . . فمشقة القيام بالصلاة والصيام والزكاة والحج وتلاوة القرآن، لا يذكر بجانب العذاب الذي وقع عليهم ، مثل الذي وقع علي (بلال وصهيب وعمار بن ياسر وأسرته وخباب والمقداد) .

يا الله ! أي عبودية أجمل من عبودية مجدها الله ﷻ {يَمْشُونَ} فالمشي علي الأرض لتذكير الغافلين، هو عند الله أعظم عبودية بالنهار ، كما أن أعظم عبودية لموسى ﷺ مشيه في النهار لدعوة فرعون ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (١) .
{ يَمْشُونَ } فعل يفيد الحال والاستقبال، يعني هذا شأنهم، هذا مقصد حياتهم . . عمل يومي وحتى الموت.

ما أجملها من صفات { يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } يمشون علي الأرض في لين وتواضع وسكينة ووقار ، ولا يتبخثون في مشيتهم، مع ما يحملون (أعظم دين أنزله الله ﷻ للبشرية ، ويتحركون بهذه الصفات التي غيرت مجري حياتهم ، لينشروا دين الله ﷻ ، ومع ذلك لا يجهلون علي أحد إذا تعرض لهم بالإيذاء عندما يعرضون عليه الدعوة ، { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } استخدام القوة الخلقية لإعلاء كلمة الله ﷻ .

فهذه سيرتهم بالنهار، يتحملون أذي الخلق لهم عندما يدعونهم إلي الله ﷻ . أما سيرتهم بالليل : يشتغلون بالتملق إلي الله ﷻ أن ينزل رحمته عليهم وعلي عبادته:}

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا { (١) .

{ يَبِيتُونَ } : تفيد الاستمرار كل ليلة وحتى الموت .

الحركة الليلية بين يدي الله ﷻ من أجل هداية الناس .. ليئك من أجل الناس

.. ونهارك من أجل الناس .. وتحمل المشقة من أجل الناس.

قال العلماء : شرع الله ﷻ قيام الليل لهذه الأمة ، قبل أن يشرع الصلوات الخمس

.. فما الحكمة من مشروعية قيام الليل ، قبل مشروعية الصلوات الخمس؟

والحكمة من ذلك : أن أول مطلب لنبينا محمد ﷺ : من ينصرني ؟ أي من يشتغل معي

بالدعوة إلى الله ﷻ .. وربنا ﷻ أعطانا عبودية الدعوة بكل مطالبها ، ومن مطالبها :

{ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } .. { وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ } .. { خُذِ الْعَفْوَ } .. { اذْهَبْ } .. { يَمْشُونَ } ..

قُمْ فَأَنْذِرْ } .. { قُمْ اللَّيْلَ } .

والجاهل هنا من هو ؟ أهو الجاهل بالزراعة؟ أم هو الجاهل بالصناعة أو

التجارة ؟

الجاهل: هو الذي ما عرف ربه .. الذي عظم المخلوق وما عظم الخالق ..

الذي عظم الأموال .. وما عظم الأعمال .. عظم دنياه وما عظم آخرته .. هذا

كافر ، والله تبارك وتعالى هذا الجاهل: مجرم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا

مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا

فَكَهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأُرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

(١) سورة الفرقان - الآية ٦٤ .

(٢) سورة المطففين - الآيات من ٣٠ : ٣٥ .

وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١﴾.

وسماه الله ﷺ: جاهل حتى يأتي في قلوبنا الرحمة عليه، ولذا كان ﷺ في أشد الأحوال عليه يقول: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (٢).

(١) سورة السجدة - الآية ١٢ .

(٢) ونص الحديث: عن شقيق قال عبد الله كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. (صحيح البخاري « كتاب أحاديث الأنبياء » باب حديث الغار _ رقم الحديث : ٣٢٩٠). قوله : (كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ) لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِ هَذَا النَّبِيِّ صَرِيحًا ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي " الْمُبْتَدَأِ " وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ الشُّعْرَاءِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ " حَدَّثَنِي مَنْ لَمْ يَأْتِهِمْ عَنْ عَبْدِ بَنِ عَمِيرٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا يَبِيْطُشُونَ بِهِ فَيَخْنُقُونَهُ حَتَّى يَغْشَى عَلَيْهِ فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " . قُلْتُ : وَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ لَمَّا بَيَسَ مِنْهُمْ قَالَ رَبِّ لِمَا تَذَرُ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ بَعْدَ تَخْرِيجِ هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثًا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي قِصَّةِ أَحَدٍ كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ دَمَوْا وَجْهَهُ نَبِيَّهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَمَنْ نَمَّ قَالَ الْفَرَطِيُّ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْحَاكِي وَالْمَحْكِيُّ كَمَا سَيَأْتِي . وَأَمَّا النَّوَوِيُّ فَقَالَ : هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَا حَكَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا نَحْوَ ذَلِكَ يَوْمَ أَحَدٍ .

قوله : (وَهُوَ يَمْسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ) يَحْتَمِلُ أَنْ ذَلِكَ لَمَّا وَقَعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لِأَصْحَابِهِ أَنَّهُ وَقَعَ لِنَبِيِّ آخَرَ قَبْلَهُ ، وَذَلِكَ فِيمَا وَقَعَ لَهُ يَوْمَ أَحَدٍ لَمَّا شَجَّ وَجْهُهُ وَجَرَى الدَّمُ مِنْهُ . فَاسْتَحْضَرَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ قِصَّةَ ذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ فَذَكَرَ قِصَّةَهُ لِأَصْحَابِهِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ . وَأَغْرَبَ الْفَرَطِيُّ فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْحَاكِي وَهُوَ الْمَحْكِيُّ عَنْهُ ، قَالَ وَكَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ قَبْلَ وَقْعِ الْقِصَّةِ ، وَلَمْ يُسَمَّ ذَلِكَ النَّبِيُّ ، فَلَمَّا وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّهُ هُوَ الْمَعْنِيُّ بِذَلِكَ . قُلْتُ : وَيُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنْ التَّرْجَمَةَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَتَعَيَّنَ الْحَمْلُ عَلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِمْ ، وَفِي " صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ " مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قَالَ ابْنُ حِبَّانَ : مَعْنَى هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ لَمَّا شَجَّ وَجْهُهُ أَيِ اغْفِرْ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ فِي شَجِّ وَجْهِهِ ، لِمَا أَنَّهُ أَرَادَ الدُّعَاءَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ مُطْلَقًا ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَأَجِيبَ وَلَوْ أُجِيبَ لِأَسْلَمُوا كُلُّهُمْ ، كَذَا قَالَ ، وَكَأَنَّهُ بَنَاهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْضُ دُعَائِهِ عَلَى بَعْضٍ أَوْ عَنْ بَعْضٍ ، وَفِيهِ نَظَرٌ لثَبُوتِ أُعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَعْنِي وَاحِدَةً وَسَيَأْتِي فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، ثُمَّ وَجَدْتُ

وبسبب جهل الناس هم { يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَاً } تواضعا لخلق الله يدعونهم إلى الله ﷻ، ويتعبون أبدانهم { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } يذلون أنفسهم من أجل هداية الناس ، أما القعود فهو عزة للنفس مع راحة البدن (فيما يبدو وليس كذلك) مع تضييع دين الله ﷻ.

يا سلام عزة نفس مع راحة البدن ، مع تضييع دين الله ﷻ ، وسيد الخلق محمد ﷺ يمشي إلى الطائف علي الأقدام ما استخدم الحمار ليركبه ، حتى يتشرف بإتباع بدنه في سبيل الله ﷻ.

مشى ﷺ علي قدميه، وليست قدميك أعظم حرمة من قدميه . . فمشى من مكة إلى الطائف . . هذا المشي لا يستطيع أكبر رياضي أن يتحملة.

لما وصل إلى الطائف ما كانت نهاية التعب، فلو استقبله أهل الطائف كما استقبله أهل المدينة بدق الطبول، ويغنون: طلع البدر علينا .. فلو فعلوا ذلك فما كان تحقق كمال العبودية.

الله ﷻ قدر عليه استقبال الطائف، قبل أن يقدر له استقبال المدينة، واحترامهم وحبهم له.. فربنا ﷻ يقدر الأحوال المخالفة علي الداعي حتى يُربيه أولا ، وبعد ذلك تأتي الأحوال الموافقة له .. حتى الناس يعرفوا قدره وينتشر

في " مُسْنَدِ أَحْمَدَ " مِنْ طَرِيقِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ مَا يَمْنَعُ تَأْوِيلَ الْقُرْطُبِيِّ ، وَيُعَيِّنُ الْغَزْوَةَ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ وَلَفْظُهُ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعْرَانَةِ قَالَ فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ وَشَجَّوهُ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ وَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ جَبْهَتَهُ يَحْكِي الرَّجُلَ ، . قُلْتُ : وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الَّذِي قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ أَيْضًا ، بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ حَكَى صِفَةَ مَسْحِ جَبْهَتِهِ خَاصَّةً كَمَا مَسَحَهَا ذَلِكَ النَّبِيُّ ، وَظَهَرَ بِذَلِكَ فَسَادُ مَا زَعَمَهُ الْقُرْطُبِيُّ . (فتح الباري شرح صحيح البخاري).

الدين.

فالأحوال المخالفة لك، والموافقة من أجل غيرك حتى يفهموا دين الله.

كيف استقبل أهل الطائف رسول الله ﷺ بعد التعب ؟

استقبل أهل الطائف رسول الله ﷺ بشر استقبال، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ ؟ فَقَالَ : (لَقَدْ
لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، فَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ
عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ كَلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أُرِدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ - عَلَى وَجْهِي ،
فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ النَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا
فِيهَا جِبْرِيْلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ
إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ) . قَالَ : (فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ
قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ
لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَمَّا يُشْرِكْ
بِهِ شَيْئًا) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

أعجب وأجمل صفة عند العرب قبل الإسلام هي صفة الكرم، خاصة إكرام

الضيف ، فهذا شاعرهم الجاهلي (المقنع الكندي) يفتخر بكلمة ما نستطيع أن

نقولها نحن ، يقول :

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيْمَةً لِي غَيْرُهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا

عبودية الخدمة لا عبودية الركوع والسجود .

فهؤلاء الذين تفاخروا بإكرام الضيف، وعرفوا بالكرم، لسان حالهم، يقول:

(١) رياض الصالحين _ باب العفو والإعراض عن الجاهلين ، مشكاة المصابيح « كتاب الفضائل »

باب المبعث وبدء الوحي _ رقم الحديث (٥٨٤٨) .

كل الضيفان يستحقوا الكرم، إلا هذا الضيف (محمد ﷺ سيد البشرية جمعاء)
 (١) . «وربنا ﷻ شرفه بإذلال نفسه ، لأن عزة النفس بإذلالها من أجل الله ﷻ»
 وما يستطيع أحد أن يُعز نفسه بنفسه ، فمصادر العزة منه لأنه (المعز ﷻ) .
 معنى العبودية : هي غاية الحب مع غاية الذل .. فهل عندك قدرة علي أن تُذل نفسك ؟
 فالذي يذل نفسه من أجل الله ﷻ ، فالله ﷻ يعزها بقدرته وحده ، والذي يريد أن
 يُعز نفسه بنفسه فالله ﷻ يُذلها بقدرته وحده ، مثل فرعون: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ
 قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴾ (٢) .
 فالذي لا يتحرك ويظن أن هذه عزة ، فقد خدع نفسه ، لأنها عزة وهمية
 وليست حقيقية ، والشيطان يضحك عليه .

كل أهل الطائف جاهلون والنبي ﷺ صبر عليهم حتى دخلوا في الإسلام ،
 وخرج من ثقيف : محمد بن القاسم الذي كان سببا لنشر الإسلام في بلاد الهند ،
 وهنالك قبره يشهد عليه .

الجاهل سبك ، شتمك ، ما عليك إلا أن تسامحه وتدعو له ، وتقوم أمام الله
 في الليل وتقول : يا رب ! اجعل صبري عليه سببا لهديته .
 يتجولون ويتحركون في الدعوة ، فإذا مرو باللغو ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا
 يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا ﴾ (٣) .

فأهل الجهد مشغولون بجهدهم ما عندهم وقت فراغ للرد علي أهل الباطل
 لانشغالهم بالحق ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا

(١) قيل : الجنة عروس ومهرها قهر النفوس .

(٢) سورة الزخرف- الآية ٥١ .

(٣) سورة الفرقان _ الآية ٧٢ .

وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾ . مشغولين لأن الناس ستموت علي الكفر.

الداعي كل يوم يمشي { يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَاً } وكل يوم يمشى في الدعوة يجعل الله له نورا يمشي به { وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ } (٢). بدون النور يتخبط الإنسان في الظلمات .

فما هو النور ؟

نور الإيمان . . نور العبادات . . نور جمال المعاملات . . نور جمال المعاشرات .

نور العابد مثل مصباح البيت، يختبئ في مغارة، في مسجد، ينغزل عن الناس.

○ مصادر الثروة عند الداعي:

(١) المصدر الأول : أن تُعطي ما عندك للناس.. ولكن ماذا عندنا ؟ العمر قليل . . والمال قليل . . والعلم قليل . . والتضحية قليل . . فهذا المصدر من أضعف المصادر فما علينا إلا أن ننوي دعوة كل الناس ، وندعو الله أن يهدي كل الناس ، و ننوي أن نكرم كل الناس، فرب عمل صغير عظمته النية . . ورب عمل كبير صغرت النية.

(٢) المصدر الثاني : السريرة الصالحة ، فيخاطب الإنسان نفسه :

_ وددتُ لو أن عندي وادٍ من دقيق فأنفقه في سبيل الله.

_ وددتُ أن يكون بعدد كل شعره في جسدي نفسٍ تقتلُ في الله تعالى.

_ وددتُ أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض .

_ وددتُ لو أن الله هدي الخلق أجمعين.

(١) سورة القصص - الآية ٥٥ .

(٢) سورة الفرقان - الآية ٦٤ .

_ وددت أن الله يحركني في العالم بالدعوة إلى الله.

_ وددت أن يرزقني الله صفات الأنبياء.

فيأتي عندنا الترقى في السيرة والسريرة .

(٣) المصدر الثالث(العفو): ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ (١) العابد

لا يسيء إليه أحد في ركوع ولا سجود .. فالذين اعتزلوا الناس يعبدون الله في مساجدهم ما أساء إليهم أحد .. وما أكثر الإساءة إلى الداعية ، عَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ أَخَفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُؤذِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ ؛ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ " (٢) .

ولم يحتمل أحد في الله ما احتمله ﷺ ، وما انتقم لحظة واحدة ممن آذاه .

(أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ) سبك .. شتمك .. قطعك .. فسقك .. زندقك ..

كفرك .. فاصبر، واعفُ ، وعظم ، الثروة الإيمانية.

○ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِنَّا هَزُوا أَلْبَابًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (٣).

حتى يأتي المصدر الثالث (العفو) : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

(١) سورة النساء _ الآية ١٤٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد _ رقم الحديث (١١٩٨٧)، سنن الترمذي _ رقم الحديث (٢٤٠٩)، سنن ابن ماجة _ رقم الحديث (١٤٨)، صحيح ابن حبان _ رقم الحديث (٦٧٠٨)، مصنف ابن أبي شيبة _ رقم الحديث (٣٥٨٧١)، شعب الإيمان للبيهقي _ رقم الحديث (١٥١٢) ، مسن أبي يعلى الموصلي _ رقم الحديث (٣٣٦٩)، البحر الزخار بمسند البزار _ رقم الحديث (٢٧٧٤) .

(٣) سورة الفرقان _ الآية ٤١ .

وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ .

هذه المصادر تجعلك ثريا في إيمانك .

○ قال تعالى : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ (٢)

نعم هذا الخير أظهرناه فاجتمعنا من أجل الله ﷻ ، ونخرج ، ونخرج الجماعات في سبيل الله ﷻ ، { أو تخفوه } فنخفي في صدورنا المحبة لكل الناس ، ونخفي في صدورنا أننا نتمنى أن البشرية كلها تركع وتسجد لله ﷻ ، نخفي في صدورنا حبنا لسعادة البشرية كلها .

ما أحد يُسيء لك وأنت تجلس في بيتك ، ففي ذات مرة قال لي رجل: يا شيخ ! أنت عاقل وبتفهم ، وما شاء الله عندك مؤهل علمي . . أين الدليل علي الخروج في سبيل الله ﷻ ؟ فقلت له : لا الخروج ولا القعود يهمننا _ الذي يهمننا إحياء الدين _ أعطيني أنت برهان للقعود عن إحياء الدين . . هات دليل علي أن القعود عن الحركة للدين ، يحي الدين ، عايزين وسيلة لإحياء الدين . . ها قعد وأقعد ، تضيع وتضيع الآخرين .

يحي الدين بكلمتين: أتحرك في سبيل الله ﷻ وأحرك غيري . . أركع لله وأركع غيري ، أسجد لله وأسجد غيري ، أذكر الله وأذكر غيري لله .

○ خذل بنو إسرائيل جهد نبيهم موسى ﷺ بثلاث كلمات :

الكلمة الأولى : إنا .

الكلمة الثانية : ها هنا .

(١) سورة آل عمران - الآية ١٣٤ .

(٢) سورة النساء - الآية ١٤٩ .

الكلمة الثالثة : قاعدون .

وبهذا الخذلان آذوا موسى ﷺ .. والله تبارك وتعالى حذرنا من هذا الإيذاء (إيذاء الأنبياء) ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (١) ، ولذا ذكر الله عز وجل في سورة الصف بعد آية القتال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنْيَانًا مَّرصُوصًا ﴾ (٢) فقال في الآية التي تليها: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣)

يقول الإمام الفخر الرازي: (في تفسير قوله تعالى) : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ } لما بين الله تعالى أن من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك إشارة إلى إيذاء هو كفر، أرشد المؤمنين إلى الامتناع من إيذاء هو دونه وهو لا يورث كفرا، وذلك مثل من لم يرض بقسمة النبي عليه السلام وبحكمه بالفيء لبعض وغير ذلك فقال: (كبيراً) { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ } وحديث إيذاء موسى مختلف فيه، قال بعضهم : هو إيذاؤهم إياه بنسبته إلى عيب في بدنه (٤).

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٦٩ .

(٢) سورة الصف _ الآية ٤ .

(٣) سورة الصف _ الآية ٥ .

(٤) كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يري من جلده شيء استحياء ، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا: ما تستر هذا التستر إلا من عيب بجلده : إما برص ، وإما أدره ، وإن الله أراد أن يبرئه ، فخلا يوماً وحده ليغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففرَّ الحجر بثوبه ، فجمح موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر! حتي انتهى إلي ملاً من بني إسرائيل، فأرأه عرياناً أحسن ما خلق الله ، وقالوا : والله ما بموسى من بأس ، وأخذ ثوبه ، وطفق بالحجر ضرباً ، فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً

وقال بعضهم : إن قارون قرر مع امرأة فاحشة حتى تقول عند بني إسرائيل إن موسى زنى بي فلما جمع قارون القوم والمرأة حاضرة ألقى الله في قلبها أنها صدقت ولم تقل ما لقتت (١) وبالجملة الإيذاء المذكور في القرآن كاف وهو أنهم قالوا له: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٢) . وقولهم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٣) وقولهم: ﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ (٤) إلى غير ذلك فقال للمؤمنين لا تكونوا أمثالهم إذا طلبكم الرسول إلى القتال أي لا تقولوا: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٥) .

أو خمسا" متفق عليه (مشكاة المصابيح _ كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق _ باب بدء الخلق وذكر الأنبياء ٣/١٥٩٠) .

والأدرة : نفخة بالخصية.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال .. عندما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة فجمعهم قارون فقال لهم جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فتحملتموها فتحملوا أن تعطوه أموالكم ، فقالوا : لا نتحمل أن نعطيهم أموالنا فما ترى ، فقال : لهم أرى أن أرسل إلى بغى بنى إسرائيل فترسلها إليه فترميها بأنه أرادها على نفسها فدعا موسى ﷺ عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه فقال موسى للأرض خذتهم فأخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون يا موسى .. يا موسى ، ثم قال للأرض خذتهم فأخذتهم إلى ركبهم فجعلوا يقولون يا موسى .. يا موسى ، ثم قال للأرض خذتهم فأخذتهم إلى أعناقهم فجعلوا ، يقولون : يا موسى .. يا موسى ، فقال للأرض خذتهم فأخذتهم فغيبتهم فأوحى الله إلى موسى ﷺ سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم قال ابن عباس وذلك قول الله ﷻ : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ خسف به إلى الأرض السفلى (رواه الحاكم في المستدرک ٢/٤٠٨) .

(٢) سورة المائدة _ الآية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة _ الآية ٥٥ .

(٤) سورة البقرة _ الآية ٦٢ .

(٥) سورة المائدة _ الآية ٢٤ .

ولا تسألوا ما لم يؤذن لكم فيه: وإذا أمركم الرسول بشيء فأتوا منه ما استطعتم
(١).

ولما خذل بنو إسرائيل جهد نبيهم ، ما كان باعتبارهم ، يقعدوا أربعين سنة،
مثما يقول لك أحد الناس ، عندما تشكله علي الخروج في سبيل الله ﷺ : الأسباب
غير مساعدة . . . لما الأحوال تتحسن . . . والفقير يقول لما الأحوال تتغير . . . يعني
بعض شهر شهرين ، يا موسى { إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } فماذا أعطاهم الله ﷻ ، علي
هذا القعود ؟ قعدهم أربعين سنة جبراً : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) ، فالله ﷻ حرمهم من الجهد
. . . فجزاء القعود التقعيد.

فنستغفر الله ﷻ ، كما قال مشايخنا: عن كل لحظة ، بل عن كل ساعة نجلس
فيها عن هذا الجهد، سواء قعود بدني، أو قعود بالعواطف، بدون هم، فلا بد أن تكون
الهموم الدعوية طوال ٢٤ ساعة، فكل دقيقة ما فكرنا في الدعوة نستغفر الله عليها.
○ إذا جلس الزراع وقعدوا وأضربوا عن عمل الزراعة، ماذا يحدث في الدنيا ؟
فالنتيجة : يموت الناس جوعاً.

وماذا لو أضربت أمة محمد ﷺ وجلست وقالت: الدعوة ليست مسئوليتنا، ماذا
يحدث في العالم ؟ فالنتيجة: تموت القلوب، ويموت الناس علي كفرهم ويدخلون نار
جهنم والعياد بالله.

○ تعبدنا الله ﷻ بـ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣).

(١) تفسير مفاتيح الغيب - تفسير سورة الأحزاب.

(٢) سورة المائدة - الآية ٢٦.

(٣) سورة النحل - الآية ١٢٥.

وتعبدا بـ ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).
وتعبدا بـ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) كل هذا قبل أن
يتعبدا بالحج والصوم والزكاة.

○ عبودية هذه الأمة كملت ١٠٠ % ، فالله ﷻ فتح لهم أبواب السماء، قال تعالى:
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي
بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٣) .
○ كمل الله ﷻ لهذه الأمة عبوديتها، قبل أن يكمل تشريعها.
○ ما الفرق بين كمال التشريع وكمال العبودية ؟

* كمال التشريع: هو نزول كل الأوامر من عبادات (صلاة.. صوم .. زكاة .. حج
(ومعاملات ومعاشرات وأخلاق .
* وكمال العبودية : أن يكون عندك استعداد لقبول الأوامر، سواء قبل نزول
التشريع أو بعد نزوله.

فدم الله ﷻ بني إسرائيل لأنهم ليس عندهم كمال العبودية، قال تعالى: ﴿ وَكُوفُوا أَنفُسَكُمْ
عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أُو۟رِثُوا مِمَّا فَعَلْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَكُوفُوا
أَنفُسَكُمْ فَعَلُوا مَّا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ (٤) .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ ، أَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَنْزَلَ : { وَكُوفُوا أَنفُسَكُمْ عَلَيْهِمْ أَنِ
اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ ، لَوْ فَعَلْنَا لَفَعَلْنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة القصص - الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٩٩

(٣) سورة الإسراء - الآية ١ .

(٤) سورة النساء - الآية ٦٦ .

وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَرِجَالًا إِيمَانُ أُثْبِتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي " (١) .
 وقال السدي: افتخر ثابت بن قيس بن شماس تفاخر هو ويهودي؛ فقال
 اليهودي : والله لقد كتب علينا أن نقتل أنفسنا فقتلنا، وبلغت القتل سبعين ألفاً؛ فقال
 ثابت : والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لفعلنا .

وقال أبو إسحاق السبيعي : لما نزلت { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } ،
 قال رجلٌ : لو أمرنا لفعلنا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رِجَالًا إِيمَانُ أُثْبِتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي .
 وعن الأعمش قال لما نزلت { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } الآية قال
 أناس من أصحاب النبي ﷺ لو فعل ربنا لفعلنا فبلغ النبي ﷺ فقال : " للإيمان أثبت
 في قلوب أهله من الجبال الرواسي " .

وعبد الله بن الزبير قال لما نزلت { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } قال
 رسول الله ﷺ : " لو أنزلت لكان ابن أم عبد منهم " .

وعن شريح بن عبيد قال لما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
 أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } الآية أشار رسول الله ﷺ بيده إلى عبد الله بن رواحة فقال : " لو
 أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل " يعني ابن رواحة (٢) .

○ لو أن إنسان نائم وعنده استعداد لامتحان أي أمر من أوامر الله ﷻ ، فهو في نومه
 أعظم قدراً عند الله ﷻ ، من إنسان ساجد ويبيكي وما عنده استعداد أن يضحى من
 أجل أمر الله ﷻ .

○ { يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ } : استخدام القوة البدنية في سبيل الله ، لإحياء دين

(١) الجامع في تفسير القرآن « من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ...
 رقم الحديث (٢١٤) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن _ رقم الحديث: (٩١٢٨٩) .

(٢) تفسير ابن كثير .

الله ﷻ .

○ { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } استخدام القوة الخلقية، لإعلاء كلمة الله ﷻ .

○ معلم .. مفتي: استخدام القوة العلمية.

○ مقاتل في سبيل الله: يستخدم القوة الغضبية.

○ الداعي: يستخدم القوة الخلقية.

○ سلاح إبراهيم ﷺ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (١).

○ أمدح آية في القرآن للداعي هي: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢).

○ فالجهد قسمان: بدني ، وخلقى .

○ مقصد الجهد البدني: { يَمْشُونَ } هو توصيل الهداية للناس من خلال العواطف والأخلاق والمحاسن إلي الناس.

○ انظر لرد الأقوام السابقين علي أنبيائهم:

* قالوا لسيدنا نوح ﷺ : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣).

* وقالوا لسيدنا هود ﷺ : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤).

فهل الرد الخلقى أن يرد نوح ﷺ ويقول: أنا لست ضال أنتم الضالون . . أنا

نبي! ، ويرد هود ﷺ ويقول: أنا لست سفيه أنتم السفهاء . . أنا نبي !.

هناك شيئين: إما لا ترد وتصبر (وهذا أعلاهما منزلة)، وإما أن ترد بالأدب .

فرد نبي الله نوح ﷺ بالأدب وقال: ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَكَانِيَ رَسُولٌ مِّنْ

(١) سورة هود - الآية ٧٥ .

(٢) سورة القلم - الآية ٤ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ٦٠ .

(٤) سورة الأعراف - الآية ٦٠ .

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .

ورد نبي الله هود عليه السلام بالأدب وقال: ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ .

○ ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلي درجة ممن سبقه من الأنبياء، ما أثر عنه أنه رد مطلقا

•• فكم قيل عنه : أنه مجنون ؟ !! وكم قيل عنه أنه ساحر !!؟ وكم قيل عنه أنه

: شاعر ، وأنه كاهن !!!

○ فلما قالوا عنه : أنه شاعر ، وأنه كاهن ، فلم يرد عن نفسه، ورد الله تعالى

عنه فقال: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا

بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ .

ولما قالوا عنه أنه: مجنون، فما رد عن نفسه ولكن الله تعالى رد عنه ، وقال :

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٤﴾ وقال الله تعالى ﴿ وَمَا

صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٥﴾ .

وقالوا عنه : أبتَر •• أي يموت أولاده صغارا فلا يبقى له أحد.

ومارد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أبتَر وذكرني مرفوع في السماء !!؟ •• وربّه

تعالى يتولى الرد عنه : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٦﴾ أي من كان في قلبه مثقال ذرة

من بغضك ، فهو الأبتَر المقطوع .

فقد انشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعظيم الله تعالى ، وتمجيده ، وتعظيم حرّماته •• فالله

(١) سورة الأعراف - الآية ٦١ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ٦٧ .

(٣) سورة الحاقة - الآيات من ٤٠ : ٤٢ .

(٤) سورة القلم - الآيتان ١ ، ٢ .

(٥) سورة التكوير - الآية ٢٢ .

(٦) سورة الكوثر - الآية ٣ .

كرمه ، وعظمه ، ورفع ذكره ودافع عنه .

- الدعوة: أن يمتلئ قلبك حبا لإنابة وهداية الخلق إلى الله ﷻ .
- عبادة موسى ﷺ المشي إلى فرعون . وفي نفس الوقت عبادة الإسرائيلي التسبيح والركوع والسجود والبكاء والتضرع أمام الله ﷻ .
- فمن أعبد الله ﷻ الإسرائيلي ساجداً، مسبحاً، باكياً، أم موسى ﷻ إلى فرعون ماشياً داعياً؟ ، الإسرائيلي يُعبد نفسه، ومقصد موسى ﷻ أن أهل مصر جميعاً يعبدون الله ﷻ .
- وأنت تُقيم الجولة للدعوة إلى الله ﷻ، وهناك إنسان يسجد ويبكي من خشية الله ﷻ في سجوده ، أيكما أعبد ؟ !! .
- رجل عبَدَ شفثاه بالتسبيح لله طوال ٢٤ ساعة ، فمجد الله بشفتيه الصغيرتين ، وهي عبودية صغرى . أما العبودية الكبرى أن تُعبدَ غيرك لربك . . . فانشغلنا بالعبودية الصغرى عن الكبرى .
- يونس ﷻ أقر بظلمه لقومه عندما تركهم فلما استقر في بطن الحوت ، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) والله ﷻ حذر النبي ﷺ وأمته ، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (٢) .
- أقام الله ﷻ هذه الأمة علي جهد الدعوة بكل أنواعها، لذلك كان قيام الليل، فالمسلم بين أمرين :

(١) سورة الأنبياء - الآية ٧٧ .

(٢) سورة القلم - الآية ٤٨ .

الأول: قال تعالى: ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١). جزء من الدعوة ويتقدم الدعوة،
وشرع قبل الصلوات الخمس بعشر سنين.

الثاني: قال تعالى: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (٢).

○ وما بين { قُمْ } و { قُمْ } لم نفسك علي التقصير في طاعة الكبير.

○ لا يمكن أن تظهر محاسن الدين للبشرية إلا عن طريق الدعوة.

_ ماهية الصلاة : الانقطاع عن البشر والاتصال بالله ﷻ .

_ ماهية الصيام: ترك الحلال من الطعام والشراب والجماع، من أجل الحصول

علي تقوي الله ﷻ .

_ ماهية الحج: أركان وطواف وسعي ورمي جمرات.

_ ماهية القتال: تحريم المحاسن لأن فيه قطع الرقاب، وليس فيه خذ العفو.

○ فالناس لا تري جمال الدين في الصلاة والصيام والحج والزكاة والشرائط

والكتب والقتال، ولكن الفريضة الوحيدة التي تظهر محاسن الدين هي الدعوة.

○ الصلاة أربع هيئات: (قيام . . ركوع . . سجود . . تشهد).

○ والجهد أربع أعمال : (الدعوة إلي الله ﷻ . . التعليم . . العبادات والذكر . .

الخدمة) .

○ العبادة لا توحد الفكر . . أما الدعوة توحد الفكر وتجمع الملايين.

○ جماعة الأنبياء يوصينا الله ﷻ باتباعهم، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ

فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) اقتده

(١) سورة المزمل - الآية ٢ .

(٢) سورة المدثر - الآية .

(٣) سورة الأنعام - الآية ٩٠ .

بدعوتهم، وليس بعبادتهم قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١).
 ○ وكل الدعوة في العالم يقول الله ﷻ لهم : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) ويقول لهم أيضا: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (٣).

○ التوراة نزلت بعد هلاك فرعون . . ماذا نفهم من ذلك ؟

نفهم من ذلك أنه كان هناك جهد ودعوة قبل نزول التوراة، قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (٤)
 قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرِّسَالِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

في النهار جهد الدعوة وفي الليل:

- ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (٦)
 ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٧).
 ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٨).
 ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (٩).

(١) سورة المائدة - الآية ٤٨

(٢) سورة الأنعام - الآية ٩٠

(٣) سورة المؤمنون - الآية ٥٢ .

(٤) سورة طه - الآية ٢٤ ، والنازعات ١٧ .

(٥) سورة هود - الآية ١٢٠ .

(٦) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٧) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٨) سورة مريم - الآية ٥٤

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) فالقرآن المكي يقرأ في
الليل لخدمة الدعوة إلى الله ﷻ .

الدعوة : استخدام القوة الخلقية لإعلاء كلمة الله ﷻ . . . والعواطف الدعوية
ثابتة: فيصلني بالعواطف الدعوية . . . يصوم بالعواطف الدعوية . . . يحج بالعواطف
الدعوية . . . يقاتل بالعواطف الدعوية . . . فالرسول ﷺ عندما يري أحد يخطأ في
العبادة ، فعندما يصحح له يهش ويبش في وجهه، كما فعل مع معاوية بن الحكم
السلمي ، قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ
مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاتَّكَلَأَ أُمْيَاءُ ، مَا
شَأْنَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمَّتُونِي
، لَكِنِّي سَكَتُ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَابِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا
رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ ، وَنَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَنَا ضَرَبَنِي وَنَا
شَتَمَنِي ، قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ ، نَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ
التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ " ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ مِنَّا
رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ ، قَالَ : فَلَا تَأْتِهِمْ ، قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ، قَالَ : ذَاكَ شَيْءٌ
يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ ، قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ : فَلَا يَصُدَّنْكُمْ ، قَالَ : قُلْتُ :
وَمِنَّا رِجَالٌ يَخْطُونَ ، قَالَ : كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ ، فَمَنْ وَاْفَقَ خَطَّهُ ، فَذَاكَ ، قَالَ
: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ ، تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَإِذَا
الذَّيْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ ، آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ ، لَكِنِّي

(١) سورة مريم - الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأحقاف - الآية ٢١ .

صَكَكْتُهَا صَكَّةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَظَّمْتُ ذَلِكَ عَلَيَّ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : انْتِنِي بِهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : أُعْتِقِهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ . رواه مسلم (١) .

ولكن عندما يخطأ أحد في الدعوة يغضب ويعنف، كما فعل مع أسامة بن زيد رضي الله عنه ، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، يقول : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرْقَةِ ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ ، وَكَلِّمْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فِطْعَتَهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " يَا أُسَامَةُ ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ " ، قُلْتُ : كَانَ مُتَعَوِّذًا فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . متفق عليه (٢) .

وعن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ، بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ ، فَبِعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا ، جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرٌ ، فَقَالَ : تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ ، حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ ، حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَإِنَّهُمْ اتَّقَوْا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ ، قَالَ : وَكُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، قَالَ : لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ » بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَ . رقم الحديث (٨٤١) .

(٢) صحيح البخاري _ رقم الحديث (٣٩٦٠) .

فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ ، فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَيْرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا ، وَسَمَّى لَهُ نَفْرًا ، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ ، قَالَ : لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرُ لِي ، قَالَ : وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : فَجَعَلَ لَنَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : " كَيْفَ تَصْنَعُ بِأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ " رواه مسلم (١).

○ لماذا جلسنا في الذكر ؟

الله ﷻ ما قال لموسى عليه السلام اجلس لذكري، ولكن في حال ذهابه إلي فرعون قال: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾. (٢).

○ وراء كل عصا رسالة: عصا المعلم . . عصا الشرطي . . عصا النبي .. فالدعوة إلي الله هي رسالة النبي ﷺ .. والقتال: عصا النبي ﷺ .

والعصا الآن ليس لها رسالة (الدعوة) . . فلما تكون الدعوة موجودة ، توجد العصا . . ويمكن أن تكون الدعوة موجودة والعصا غير موجودة، نضرب مثال يوضح ذلك : قد يُصدر وزير التربية والتعليم قراراً بمنع الضرب، ولكن لا يُصدر قرار بمنع التعليم .

○ ولذا رسالة النبي ﷺ هي الدعوة إلي الله فلا تتعطل بحال من الأحوال.

○ ولهذا مطلوب الرحمة، والله تعالى هياً الدعاة لذلك ، فمثلاً الأمومة موجودة في الأم قبل الولادة . . وكذلك الرحمة في قلوب الأنبياء عليهم السلام.

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الْإِيمَانِ » بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ ... _رقم الحديث (١٤٥).

(٢) سورة طه - الآية ٤٢ .

- القرآن صنع شخصية النبي ﷺ : (كان خلقه القرآن) ، (كان قرآنا يمشي على الأرض) ، لذا أقوى الأدلة القرآن ثم السنة.
- حق القرآن أن نجود الجهد: فالأمة كبرت وعظمت تجويد اللفظ: هذا قارئ كبير، هذا شيخ كبير في التجويد، هذا تفسير الإمام فلان.
- فكيف نكبر الأمر والجهد (جهد القرآن) ، بلال يؤذي والقرآن ينزل، وليس بهذا الكلام تحقير أو تقليل من شأن التجويد والتفسير.
- القرآن صنع شخصية النبي ﷺ :
- ما ينظر الله عز وجل إلي نتائج الجهد، ولكن ينظر إلي كمال وجمال الجهد ، الترسخ ثم التوسع (١).
- الله ﷻ بين عظمة وسيلة الداعي: كالحصان الذي يركبه المجاهد أثناء الجهد، من خلال صوت أنفاسه، وأثر ضرب حافره في الأرض وهجومه على العدو في سورة العاديات، قال تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ (٢) وفي الحديث: عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " (٣).
- وعن جرير بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول: " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمه " رواه مسلم (٤).

(١) انظر بيان التوسع والترسخ للشيخ سعد الكاندهلوي من كتاب التاج الجامع للأصول.

(٢) سورة العاديات - الآيات من ١ : ٣ .

(٣) صحيح مسلم « كتاب الإمارة » باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة - رقم الحديث (١٨٧١).

(٤) صحيح مسلم « كتاب الإمارة » باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة - رقم الحديث (١٨٧٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْنَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه البخاري (١) . فهذا الحصان المذلل لركوب الداعي المجاهد عليه في سبيل الله ﷺ (هذه صفته) .

- وغير المذلل يربط في عربة كارو أو حنطور، لأنه ليس له قيمة إلا بما يحسن .
- وهكذا الذي يحمل الدين والذي يستنكف عن حمل الدين .
- يجوز استخدام المذاهب في العبادات ، ولا يجوز استخدام المذاهب في الدعوة . .
- لأن طريق الأنبياء واحد .
- تُبْنِي العبادات علي التخفيف والرخص . . وتُبْنِي الدعوة علي التضحية والعزيمة .
- عبودية الداعي أقسم الله ﷻ بها ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٢) . فاجتهد الشيطان لتسليط شياطين الإنس علي الداعي . . أما عبودية العابد فيستطيع الشيطان أن يفسدها بالوسوسة .
- بداية الصعود في الدعوة : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣) .
- الآية الفاصلة بين العبادة في البيت الحرام وجهد الدين : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

(١) صحيح البخاري « كتاب الجهاد والسير » باب من احتبس فرسا في سبيل الله _ (٢٦٩٨٩٩) .

(٢) سورة الحجر - الآيات من ٤٢ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾.

- لا يشترط علي العابد أن يعرف المخلوق، بل يعرف الخالق . . ويشترط علي الداعي أن يعرف الخالق والمخلوق.
- ولا يشترط علي العابد أن يعرف الدنيا، بل يعرف الآخرة فقط . . ويشترط علي الداعي أن يعرف الدنيا والآخرة.
- سنة الداعي أفضل من فريضة العابد.
- العابد جهده في زهده ، وذلك بالتقلل من الأشياء . . أما الداعي فزهده في جهده وحركته (يعني فالحركة دليل الزهد)
- يموت العابد فتنتهي عبادته . . ولكن عندما يموت الداعي تحيا وتنتشر دعوته، مثل غلام الأخدود . . صاحب يسن . . مؤمن آل فرعون . . الصحابة رضي الله عنهم.
- نهاية جهد العابد، بداية جهد الداعي.. ونهاية جهد الداعي، بداية جهد النبوة، ونهاية جهد النبي، بداية جهد أي رسول، ونهاية جهد أي رسول، بداية جهد أولي العزم من الرسل، ونهاية جهد أولي العزم من الرسل، بداية جهد سيدهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

مقارنة

بين فقه الدعوة وفقه التعليم

- قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾^(١).
- وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٢).
- وُبعث ﷺ معلماً وداعياً.. ومن خلاله ﷺ تتكون شخصية الداعي ، وشخصية المعلم.
- معلماً أصحابه الراغبين الطالبين.. وداعياً الراضين المعاندين، مثل: أبي جهل وأبي لهب وغيرهم .
- فجهد التعليم علي الراغبين، وجهد الدعوة علي غير الراغبين.
- قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٣) .
- الظلمات نوعان :
- ١/ظلمة الشرك والكفر: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).
- ٢/ظلمة المعصية: ولذلك أرسل موسى ﷺ لإخراج بني إسرائيل من ظلمة المعاصي والفسق إلي نور الإيمان واليقين.
- كانت بعثة موسى عليه السلام مزدوجة :

(١) سورة الرحمن - الآيات من ١ : ٣ .

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٧٩ .

(٣) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٤) سورة لقمان - الآية ١٣ .

(١) للمسلمين (العصاة): وهم بني إسرائيل، قوم موسى ﷺ .
 (٢) للكفار: فرعون وقومه.. ولذا قال موسى ﷺ لفرعون ﴿ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴾ ^(١) لأنه عنده قومه وهما الأساس في الدعوة، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٢).

فالدعوة ليست فقط للكفار، كما يقول بعض الناس ، فالله ﷻ أمر موسى ﷺ وقومه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣).

وفي زمن الرسول ﷺ لم يكن هناك مسلم تارك للصلاة، فكانت الدعوة موجهة فقط للكفار.. والتعليم للمسلمين.

○ المعلم يجلس في مكانه دون أن يتحرك ويأتيه الناس، لأن العلم يوتى إليه، وله المثوبة عند الله ﷻ، وهذا التعليم علي نهج النبوة.

أما الداعي فيمشي ويتحرك علي الناس، فالنبي ﷺ ما قال لأبي جهل تعالي عندي وأعلمك وأفهمك، بل ذهب بنفسه ﷺ إليه ، بل ودار في الأسواق وعلي المنازل داعياً: قال تعالي: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ ^(٤).

وقال تعالي: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (٥) أول كلمة (اذهب) دليل الحركة .

وقال تعالي: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ

(١) سورة الدخان - الآية ٢١ .

(٢) سورة نوح - الآية ١ .

(٣) سورة يونس - الآية ٨٧ .

(٤) سورة الفرقان - الآية ٧ .

(٥) سورة طه - الآية ٢٤ ، والنازعات ١٧ .

مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ (١) يمشي (دليل الحركة) .

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢) وجاء (دليل الحركة) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ائْتِ (دليل الحركة) .

فقدم الله ﷻ الوسيلة علي المقصد (اذهب.. وجاء من.. ائْتِ) لبيان أهمية الوسيلة.

○ مفتاح العلم حرك قلمك ، ومفتاح الدعوة حرك قدمك .

○ سئل الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله) : أين كتبكم ؟

فقال: الأرض أوراقتنا ، وأقدامنا أقلامنا.

○ إذا ذهب المعلم للطلاب لكي يعلمهم، فقد أهان وظيفته، فهو دائما في حالة العزة، ما يتعرض للأحوال التي تهزه، فهو دائما في الاحترام.

أما الداعي: فكثير من الأحوال تمر عليه بالسخرية والاستهزاء، قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لِيَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ

آلِهَتِكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ مِنْهُمْ لِيَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾

(١) سورة الأنعام - الآية ١٢٢ .

(٢) سورة يس - الآية ٢٠ .

(٣) سورة الشعراء - الآية ١٠ .

(٤) سورة الحجر - الآية ٦ .

(٥) سورة الأنبياء - الآية ٣٦ .

(١).

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٢)

فالداعي يتعرض للإهانة والاستهزاء، يقال عنه أنه: (مجنون، ساحر، كاهن، شاعر، كذاب).

○ فأياها الداعي العظيم إذا لم يعرف لك المدعو حقك ، فاعرف له حقه، واطلب حقك من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣).

○ الداعي إلى الله ﷻ يتعرض لأحوال من جهة البشر: (ضرب.. شتم.. سب.. طرد.. تخويف.. قتل) أحوال شتى للتربية، لأنه من أين يأتي: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤).

○ المعلم يأخذ عزته بحق ويؤجر (عزة شرعية)، ولكن ليس بصاحب الحظ العظيم.. أما صاحب الحظ العظيم، فهو الداعي إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا

(١) سورة الفرقان - الآية ٤١.

(٢) سورة غافر - الآية ٥.

(٣) سورة يونس - الآيات من ٦٢: ٦٥.

(٤) سورة لقمان - الآية ١٣ . سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

○ جهد العلم علي العقل ، حتى يتنور العقل.. وجهد الدعوة علي القلب حتى يتنور القلب.. والمطلوب أولا إصلاح القلب بالدعوة.

○ التعليم جهد علي العقل لأن العقول متنوعة، ولذا حاجاتها مختلفة.. أما جهد الدعوة علي القلب ومتكرر لأن حاجة القلوب متماثلة.

○ الدعوة لتوضيح الواضح.. والفتوي لتوضيح الغامض.

○ قوة المعلم بالمعلومات ، وقوة الداعي بالصفات التي تجذب الناس: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣) وما قال إنا وجدناه عالما، مع أن الأنبياء هم أعلم الناس، فمدحه بصفة الصبر.

طالب علم راغب عنده قيام ليل وأحيانا معلمه ليس عنده قيام الليل، ففي قصة الأخدود : قال المعلم الراهب لتلميذه الغلام : أَيْ بُنِيَ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. عندما اشتغل بالدعوة أصبح أفضل من معلمه، وبعد الدعوة تأتي المشاق علي الداعي (وإنك ستبتلى).

وإليك قصة الأخدود كاملة من صحيح مسلم: عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ

(١) سورة فصلت - الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

(٢) سورة القلم - الآية ٤ .

(٣) سورة ص - الآية ٤٤ .

إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ. فَاتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَاتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَذَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمِنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَاتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ. فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَجَرَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمْ

اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَأَحْمِلُوهُ فِي قَرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صَدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ؛ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ وَاللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِكَ حِذْرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّ فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيِّرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ أَقْتَحِمُ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(١).

○ في جهد الدعوة : ترغيب وترهيب.. إكرام.. دعاء بالليل.

وفي جهد التعليم: المعلومات تتغير من يوم إلى يوم، ومنهاج التعليم يتغير ويتنوع.. أما منهاج الدعوة ثابت لا يتغير: ﴿ خذ العفو ﴾^(٢) دائما، ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾^(٣)، ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

(١) رياض الصالحين باب الصبر.

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٣) سورة النحل - الآية ١٢٧ .

وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾.

﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَذُكِّرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٢).

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٣).

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٤).

كل الآيات في الدعوة تأمر بالصبر (منهاج ثابت).

سيدنا نوح عليه السلام ظل يقول لقومه من أول يوم حتى هلاكهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (٥) لأن الجهد علي القلب ما يختلف أبدا.. البسمة سلاح كل داعي.

صاحب يسن دعا إلي الله ﷻ وما قرأ آية ولا حديث.. لو كان أبو هريرة في مكة ما كان ينتنى له أن يروي حديثا واحدا.. ثروة الحديث النبوي، في ميدان التعليم بالمسجد النبوي.

في التعليم يلزمننا ثروة الأحاديث.. وفي الدعوة يلزمننا أن نقوم بالخدمة والصفات والأخلاق الحسنة.. والذي لا يعرف قدرك اعرف قدره.. والذي لم يعطك حقه فأعطه حقه واطلب حقه من الله ﷻ (تكن داعيا).

ليس في التعليم عواطف .. أما في الدعوة هموم ومشاعر وأحزان ودعاء ومتابعة علي الدوام.

التعليم فيه شخصيتان: (معلم ، طالب علم) فالداعي يأخذ صفات الطالب وليس المعلم

(١) سورة طه - الآية ١٣٠ .

(٢) سورة ص - الآية ١٧ .

(٣) سورة ق - الآية ٣٩ .

(٤) سورة المزمل - الآية ١٠ .

(٥) سورة المزمل - الآية ١٠ .

، مثل: التودد والتواضع للمدعو، فيتودد لكل الناس بشتى الصور.
كلام الدعوة يحتاجه الداعي والمدعو، أما المعلم فإنه لا يحتاج إلي علمه عكس الطالب.. ولكن الداعي يحتاج إلي كل كلمة يقولها.
في التعليم لا ينشغل المعلم بالطالب.. وفي الدعوة ينشغل الداعي بالمدعو، حتى يمرنه علي القيام بالأعمال في جميع الأحوال.
المعلم لا يفرض التعليم علي كل الناس، ولكنه مثل الصيدلي يصرف الدواء حسب طلب المريض.

كل التعليمات في المدرسة للطالب، وليست للمعلم.. أما كل التعليمات في القرآن للداعي إلي الله ﷻ حتى يثبت علي دعوتهن أمام المشاكل التي تواجهه في الداخل والخارج.

جهد التعليم : جهد خاص (مفتي.. مفسر.. مجود) وهذه مواهب ليست متوفرة في كل الناس، ولذلك هي فرد كفاية (تعلم علم المسائل).
جهد الدعوة: جهد الأمة كلها، فهو ميسر للجميع، كل إنسان يُصبح داعية بأخلاقه وصفاته.

تكون داعية كبيرا بالهمة، وتكون معلما كبيرا بالفطنة والكياسة والموهبة.
فالأمة كلها مؤهلة للدعوة، وليست مؤهلة كلها للتعليم.
يستطيع الإنسان أن يُصبح داعيا مثاليا بالفطرة ، مثل صاحب يسن دعا بفطرته بدون أن يعلمه أو يوجهه أحد.. فالدعوة جهد فطري، والتعليم جهد كسبي.

تأمل في سورة القمر تجد أن التيسير جاء بعد قصص الدعوة ، وما جاء بعد التعلم ، بعد ذكر قوم نوح: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ﴾ (١) وبعد ذكر قوم عاد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، وبعد ذكر قوم ثمود: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، وبعد ذكر قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ

يَسْرَنَا ﴿١﴾، فقد يسر الله ﷻ الدعوة وفقه الدعوة .

○ كلمة : (قُلْ) وردت في القرآن حوالي ٣٥٠ مرة:

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِمَّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤).

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦).

﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٧) .

﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٨) .

﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ

(١) سورة البقرة - الآية ٨٠.

(٢) سورة البقرة - الآية ٩١.

(٣) سورة البقرة - الآية ٩٣.

(٤) سورة البقرة - الآية ٩٤.

(٥) سورة البقرة - الآية ٩٧.

(٦) سورة البقرة - الآية ١١١.

(٧) سورة البقرة - الآية ١٢٠.

(٨) سورة البقرة - الآية ١٣٥.

مُخْلِصُونَ» (١).

﴿ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ» (٢).

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ

يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نَصَّرَفَ الْآيَاتِ لِعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ » (٣)

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (٤).

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (٥).

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (٦).

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (٧).

والآيات كثيرة، والقرآن كله دعوة.. والله ﷻ يقول لنا: ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ » (٨) ويقول لنا: (قُلْ ...) ونحن نسكت !!!!.

○ الفرق بين مؤمن يسن ومؤمن آل فرعون :

أن مؤمن يسن، قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ » (٩) وما قال: (اتبعوني

(لأنه مسلم جديد أسلم حديثاً، فليس عنده علم ولا منهج ولا بيعة، ولكن عنده دلالة

(١) سورة البقرة - الآية ١٣٩.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٤٠.

(٣) سورة الأنعام - الآية ٥٦.

(٤) سورة الملك - الآية ٢٣.

(٥) سورة الملك - الآية ٢٤.

(٦) سورة الملك - الآية ٢٩.

(٧) سورة الإخلاص - الآيات من ١ : ٤.

(٨) سورة المائدة - الآية ٥٧.

(٩) سورة يسن - الآية ٢٠.

علي غيره.

أما مؤمن آل فرعون، فإنه مؤمن قديم، ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ مِنْكُمْ سَيِّئٌ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(١) ولذا قال: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٢).

وأما مؤمن يسن : سجله الله ﷻ من كبار الدعوة مع قلة معلوماته، قال: ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ وكذلك الأنبياء تقول: ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ .

○ هناك فاصل زمني بين المعلم والطالب، فالمعلم دائما أكبر من الطالب.. لكن في الدعوة ليس هناك فاصل زمني بين رجل عنده ٤٠ سنة يوجه الناس للشر ثم بعد الدعوة يهتدي، فيوجه الناس للهداية، فيستوي هو والقديم الذي سبقه بالدعوة.

○ الداعية دائما يتهم نفسه، فهذا كليم الله موسى ﷺ يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣).

(١) سورة غافر _ الآيات من ٣٨ : ٤٤ .

(٢) سورة غافر - الآية ٢٨ .

(٣) سورة القصص - الآية ١٦ .

وهذا نبي الله يونس عليه السلام : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .
وعن أبي إسحاق عن ابن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء: " رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " متفق عليه (٢) .

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: " قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ إِنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣) .

- ليس هناك رسوب في الدعوة.. أما في التعليم يوجد قابلية للرسوب والنجاح.
- كل داعي معلم، وليس كل معلم داعي، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ " رواه الترمذي وقال حديث حسن (٤) .
- وكل فضائل التعليم يأخذها الداعية، حتى لو كان قليل العلم.
- الطب علم قضاء الحاجة، وممكن أن تتعلمه من الكفار.. أما الدعوة علم القيام

(١) سورة الأنبياء - الآية ٨٧.

(٢) رياض الصالحين - باب الدعوات ص ٥٠٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق - كتاب العلم ص ٤٧٩.

علي المقصد.

○ مهنة الطب ليست لتحقير المريض، ولكن رحمة له.. وليست الدعوة لتحقير الناس وتصنيفهم: هذا فاسق.. هذا مبتدع.. هذا كافر.. بالفطرة: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١).

○ العلماء مثل الذهب النادر.. والدعاة مثل الذهب الشائع.. وكل الأمة ذهب إذا قامت علي الدعوة.

○ الداعي لا يطلب منزلة اجتماعية: ﴿ وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

○ الداعية لا يطلب شهرة في زمانه، بل بعد موته ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٣) فالداعي الذي يطلب شهرة تسقط دعوته.

○ المعلم له احترام الظاهر من الناس.. أما الداعي فربما ينظر إليه أنه أهل: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٤).

○ إبليس (عليه لعنة الله) بفساد فطرته ندب نفسه لإفساد البشرية، وما كلفه أحد بذلك، وما سأل عن شرعية عمله.

○ وصاحب يسن بجمال فطرته ندب نفسه لهداية البشرية، ما أحد كلفه، وما سأل عن شرعية عمله.

وكذلك الداعي بجمال فطرته يندب نفسه، ويضحى بنفسه وما له ومركزه وجاهه من أجل هداية الخلق.

○ الصحابة ﷺ ما سألوا الرسول ﷺ عن الدعوة أفرض كفاية أم فرض عين، بل

(١) سورة يسن - الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٣.

(٣) سورة الشعراء - الآية ٨٤.

(٤) سورة فصلت - الآية ٣٥.

دعوا إلى الله ﷻ بجمال فطرتهم.

- من السابق نفهم أنه إذا كانت الدعوة ثقيلة على المسلم، إذا فطرته تحتاج إلى طهارة لأنها ملوثة.. والدعوة الانفرادية تظهر ذلك.
- إذا جاءت الصفات، تأتي الصفات.. بمعنى: أن الصفات تولد الصفات وتنشرها، فمؤمن يسن تأثر بصفات الدعاة، فأصبح داعية.
- الكفار نظروا إلى دنيا الأنبياء فلم يهتدوا، ولكن لو نظروا إلى صفاتهم لتغير الحال وقبلوا الهداية.
- بساطة الدعوة والداعي جعلت الناس ما يفهمون مقصد الدعوة: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُنْفِى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (١).
- الداعي معروف بليته إذا نام الناس .. وبنهاره بدعوته وكرمه وأخلاقه مع من يدعوهم.
- الداعي يغزو الدنيا كلها مثل: ربي بن عامر يقول لرستم قائد الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله .. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله ﷻ ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى (٢) .
- الداعي مثل الغواصة تغوص في الماء ولا يدخل فيها الماء، فهو يغوص في أهل

(١) سورة الفرقان - الآيات ٧ ، ٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير.

الباطل، ولا يدخل فيه الباطل.

○ الداعي لا يعبأ بكيفية موته، ولكن كيف يحيا الدين ولو بسبب قطرات دمه، مثل:

غلام الأخدود.

○ اللهم وفقنا لجهد حبيبك، علي منهاج حبيبك، حسب مرضاتك.



مقارنة

بين جهد الحق وجهد الباطل

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرِّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥).

السبيل هو طريق مقصودة لغيرها، موصلة إلى غرضها، مؤدية إلى غرضها .. مؤدية إلى غايتها.

فهناك سبيل الرسول ﷺ وهو الطريق الذي سلكها رسول الله المؤدي إلى مرضاة الله ﷻ وهو سبيل الرشد والهداية.

فسبيل الله ﷻ وسبيل رسول الله ، هما سبيل واحد ، يؤدي إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

(١) سورة الأنعام _ الآية ٥٥ .

(٢) سورة الفرقان _ الآية ٢٧ .

(٣) سورة لقمان _ الآية ١٥ .

(٤) سورة الأعراف _ الآية ١٤٦ .

(٥) سورة يوسف _ الآية ١٠٨ .

وهناك أيضا { سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } المؤدي إلى الطاغوت وهو سبيل الغي ، وهو أيضا سبيل الظالمين { وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنِي مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا } .

فسبيل الظالمين وسبيل المجرمين سبيل واحد، وهو السبيل الذي ليس فيه إتباع للرسول ﷺ . . . إذن فسبيل رسول الله هو السبيل الموصل إلي مرضاة الله ﷻ .

وكما أن طريق تصنيع الطائرات طريق واحد، وطريق التجارة طريق واحد وطريق الزراعة طريق واحد، وكذلك الدين هو الطريق الوحيد لتصنيع الرجال، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (١)، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٢)، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٣) .

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤) .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٥) .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٦) .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٧) .

والله ﷻ وضع السبيل الوحيد لتربية الرجال: وهو الدعوة إلي الله ﷻ : ﴿ قُلْ

(١) سورة طه _ الآية ٣٩ .

(٢) سورة طه _ الآية ٤١ .

(٣) سورة الفرقان _ الآية ٦٣ .

(٤) سورة يونس _ الآية ٦٢ .

(٥) سورة البقرة _ الآية ١٧٧ .

(٦) سورة الحجرات _ الآية ١٥ .

(٧) سورة الحشر _ الآية ٨ .

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

• والسبيل المضاد هو سبيل الشيطان، الذي يصنع المجرمين، الظالمين، الأشرار ، المعاندين ، الضالين ، الكافرين .

• فلا يستطيع أحد أن يسير في سبيل الله ﷻ ، إلا بعد أن يعرف سبيل الباطل { سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } .

• ويوم القيامة: { وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } ويطلق لفظ الظلم علي المسلم وغير المسلم.

• المسلم الذي يجتهد للدين علي هواه ، وليس علي مزاج الدين وينشغل بأعمال دون أعمال ، فلا يكون أثر الدين واضحا في حياته ، وتكون الثقة بالدين هزيلة ، لأن جهد الدين (الدعوة) مثل الروح ، وهو مهمل لهذا تماما لهذا الجانب ، ومنشغل بالجسد (أعمال العبادة) ، فلا يستطيع تحصيل ثمرة العبادة ، ولا يستطيع تكميل باقي أعمال الدين في حياته لإهماله جانب الدعوة . . ولا بد أن يكون جانب الروح (الدعوة) أولا ثم الجسد (العبادة) ثانيا . . فجانبا الدعوة قال تعالى: ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (٢) أي عظم الله . . ومجد الله . . وقدس الله . . وهو سبب لإيجاد الإيمان في القلب ، الذي ذرة منه تنجي صاحبها من الخلود في النار.

• الدنيا جنة المعارف الحقة، وأول المعارف وأعظمها وأرقها ، معرفة الله ﷻ . . فالله ﷻ حق . . والرسول عليهم السلام حق . . والكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ علي رسله وأنبيائه حق . . والجنة حق . . والنار حق . . والحق لا يفني لأنه

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨ .

(٢) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

أبدي.

• جهد الحق تمثل في آدم عليه السلام من أول لحظة . . . وجهد الباطل تمثل في إبليس من أول لحظة أيضا.

• نتعرف علي الحق حتى نتيقن عليه ونتبعه ونتمسك به . . . ونتعرف علي الشر حتى لا نقع فيه، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: حذيفة بن اليمان يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاءة على أبواب جهنم من أجابهم إليها فذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة وكأ إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك. متفق عليه (١).

• قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢) لأن جهد الحق بناء وإعمار.. وجهد الباطل تعطيل وإهمال وتخريب .

• الدعوة إلي الله سبحانه تقام علي ثلاث خصال في الداعي :

(١) تمجيد الله جل جلاله .

(٢) محو النفس .

(٣) عاطفة الرحمة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) وهذا جهد الحق.

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الفتن ٣/١٤٨٠.

(٢) سورة الأنعام _ الآية ٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧.

• أما جهد الباطل فله ثلاثة أركان:

- (١) تمجيد النفس : (أنا .. لي .. عندي).
 - إبليس (عليه اللعنة) : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (١) .
 - فرعون (عليه اللعنة) : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ (٢) .
 - قارون (عليه اللعنة) : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٣) .
 ولكن الذي يستحق التمجيد هو الله وحده :

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوْؤُوفٌ ﴾ (٥) .
 وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴾ (٦) .

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَكَلِّبْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧) .

(١) سورة ص _ الآية ٧٦ .

(٢) سورة الزخرف _ الآية ٥١ .

(٣) سورة القصص _ الآية ٧٨ .

(٤) سورة البقرة _ الآية ١٠٧ .

(٥) سورة الحج _ الآية ٦٥ .

(٦) سورة لقمان _ الآية ٢٠ .

(٧) سورة الجاثية _ الآية ١٢ .

(٢) تحقير الغير : ﴿ قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ ^(١) فإبليس حقر ما عظمه ربه ، فالله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وكرمه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ^(٢) وخلق من أجله كل شيء:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ^(٥) .

﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٦) .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفُكُ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ ﴾ ^(٧) .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّتِيرٍ ﴾

(٨). فمن تكريم آدم أن خلق له كل شيء وسخر له كل شيء.

(٣) عاطفة الانتقام : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِنِئْنِ أَخْرَتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) سورة الإسراء _ الآية ٦١ .

(٢) سورة الإسراء _ الآية ٧٠ .

(٣) سورة البقرة _ الآية ٢٩ .

(٤) سورة المؤمنون _ الآية ٧٨ .

(٥) سورة النحل _ الآية ١٣ .

(٦) سورة النحل _ الآية ١١ .

(٧) سورة الحج _ الآية ٦٥ .

(٨) سورة لقمان _ الآية ٢٠ .

لأَحْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ ولم يكفه أن صرح بذلك أمام رب العزة ، بل أقسم بعزة الله علي ذلك : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٢) .
والاحتناك: هو وضع الحبل في حنك الدابة ، فتنقاد مع صاحبها حيث شاء ، كذلك الشيطان يقود الإنسان حيث شاء في المعاصي ، حتى يتحلل من أوامر الله ويعترض عليها ، فأجابه الملك ﷺ (اذهب فمن تبعك) اذهب أمر فيه خذلان وإهانة وطرده ، مثل: أن تقول لابنك: اذهب إلي المزبلة .. بمعنى أنه زبالة ووساخة وقذارة .. ولكن ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٣) أمر فيه تشریف وتكریم لأن معه الحق ، يدعوه إليه ، لأن المخلوق إذا عصي ربه وكله الله إلي نفسه وهي عدوه ، فيورثه الله الخذلان والضعف لأنه مجد نفسه ، لذلك سقط في أعرق حفره وأوصلته إلي قعر جهنم ، وهذا مصير جهد الباطل.

• الله ﷻ له صفات جمال، وصفات جلال، وهو سبحانه أمر عباده أن يتصفوا بصفات الجمال { غفور .. رحيم .. تواب .. ودود .. كريم .. ستير } ونهاهم أن يتصفوا بصفات الجلال { قهار .. جبار .. متكبر }.

فمن اتصف بصفات الجمال أعملها الله ﷻ فيه ، ففي الحديث: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، اِرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ " واه أبو داود والترمذي (٤).

ومن اتصف بصفات الجلال أعملها الله ﷻ فيه ، ففي الحديث : عن أبي هريرة ؓ ، قال: قال رسول الله ﷺ : " يقول الله تبارك وتعالى : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ

(١) سورة الإسراء - الآية ٦٢ .

(٢) سورة ص - الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) سورة طه - الآية ٢٤ ، والنازعات ١٧ .

(٤) مشكاة المصابيح - كتاب الآداب - باب الشفقة والرحمة علي الخلق ١٣٨٦/٣

إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ". وفي رواية: " قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ".
رواه مسلم (١).

فَأَدَمَ ﷺ قَصْرَ فِي صِفَاتِ الْجَمَالِ فَأَعْمَلَهَا اللَّهُ فِيهِ ﷺ: ﴿ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

بينما إبليس اتصف بصفات الجلال فأعملها الله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣).

ولما امتنع عن السجود، قال الله تعالى له: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
(٤). ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَا
إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ (٦). ﴿ قَالَ
أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٧).

ومع ذلك كله يرد علي ربه ويعترض، ولم ينفذ أمر الله ﷺ رغم عتاب الله ﷻ له،
وتحدي الله ﷻ بصفات الجلال، التي هي صفاته ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٨) فإبليس عليه اللعنة يعرف أن الله ﷻ رب
العالمين،: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٩). وكان سبب ذلك الإباء
والاستكبار والتعالي { أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ } ولذا أصبح من المتكبرين المرجومين الملعونين

(١) المرجع السابق _ كتاب الآداب _ باب الغضب والكبر ٣/١٤١٤.

(٢) سورة البقرة _ الآية ٣٧.

(٣) سورة البقرة _ الآية ٣٤.

(٤) سورة الأعراف _ الآية ١٢.

(٥) سورة الأعراف _ الآية ١٢.

(٦) سورة ص _ الآية ٧٥.

(٧) سورة الإسراء _ الآية ٦٤.

(٨) سورة ص _ الآيتان ٨٢ ، ٨٣.

(٩) سورة ص _ الآية ٧٩.

المطرودين من رحمة الله تعالى وسعت كل شيء.

فإبليس عليه اللعنة هو زعيم جهد الباطل، وأركان جهد الباطل الثلاثة التي مرت

واضحة فيه من البداية كآلاتي:

(١) عظم نفسه فقال : { أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ } .

(٢) وحقر آدم عليه السلام فقال: { أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } .

(٣) فجاءت عنده عاطفة الانتقام عندما علم أن الله ﷻ عاقبه بسبب آدم ، فقال : { فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ } وقال : { لئن أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلًا } .

فسبيله سبيل الغي والضلال، وحزبه هم الخاسرون : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) ومصيره إلي جهنم ، وهو مصير كل أهل الباطل : ﴿ فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (٢) .

• أقوى جهد هو جهد النبي ﷺ لأن فيه الإصرار علي الحق: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالَتْ لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةُ ، بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي ، فَقَالُوا لِي : كَذَا وَكَذَا ، فَأَبَقَ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُحْمَلْنِي مَا لَا أُطِيقُ ، فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لِعَمِّهِ فِيهِ بَدَاءً ، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمَسْلَمُهُ ، وَأَنَّهُ ضَعْفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامَ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاللَّهِ يَا عَمُّ ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي ، عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سورة المجادلة _ الآية ١٩ .

(٢) سورة الشعراء _ الآية ٩٤ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَالَ : أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي فَاَفْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا " (١).

وبسبب جهد الدعوة كانت حياة الصحابة مملوءة بالحق والأمثلة كثيرة في عرض الباطل عليهم ولكنهم يرفضون لامتلاء حياتهم بالحق .

أمثلة ذلك : أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: وَجَّهَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْرَهُ الرُّومُ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْصُرَ وَأَشْرَكَكَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ أُعْطَيْتَنِي مَا تَمَلَّكَ وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتُهُ الْعَرَبَ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا فَعَلْتُ. قَالَ: إِذَا أَفْتَلْتُكَ. قَالَ: أَنْتَ وَذَلِكَ. فَأَمَرَ بِهِ فَصَلِبَ، وَقَالَ لِلرَّمَاةِ: ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ بَدَنِهِ قَرِيبًا مِنْ رَجُلِيهِ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْبَى.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَنْزَلَ ثُمَّ دَعَا بِقَدْرِ فَصَبَّ فِيهِ حَتَّى احْتَرَقَ، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأَلْقَى فِيهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ بِكَى، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَكَى فَظَنَّ أَنَّهُ جَزِعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى فَقَالَ: مَا أَبْكَاكَ إِذَا قَالَ: أَبْكَانِي أَنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي تَلْقَى السَّاعَةَ فِي هَذَا الْقَدْرِ فَتَذْهَبُ فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تَلْقَى فِي اللَّهِ. قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُقْبَلَ رَأْسِي وَأَخْلِي مِنْكَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَعَنْ جَمِيعِ

(١) الرقة والنباء لابن قدامة « الرقة والنباء لابن قدامة » الفصل الثالث « ذكر طرف من أخبار نبينا _ رقم الحديث (٨)، دلائل النبوة للبيهقي _ رقم الحديث (٥٢٢).

أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : وَعَنْ جَمِيعِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، أَقْبَلُ رَأْسَهُ يُخَلِّي عَنِّي وَعَنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، لَا أَبَالِي فِدَانًا مِنْهُ
فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَسَارَى ، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : حَقٌّ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ أَنْ يَقْبَلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ ، وَأَنَا أَبْدَأُ . فَقَامَ عُمَرُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ .. (كذا في
كنز العمال ج ٧ ص ٦٢) (١) .

إبليس عنده توحيد الربوبية فقط : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢)
وقال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) . وتوحيد الربوبية وحده لا يكفي ، مثل:
السارق الذي يقول : يارب ! استر علي .

التوحيد : توقير الله وتعظيمه وإجلاله : ﴿ مَا لَكُمْ لِمَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ
أَطْوَارًا * لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ سِرَاجًا * اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا
* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا * تَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (٤) . توحيد ربوبية معه
توحيد إلهية . . كم تعظمه ؟ كم توقره ؟ كم تنفذ أوامره ؟ وأكبر سفيه ومجنون
الذي لا ينفذ أوامر الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ
نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٥) .

لماذا حول الله تبارك وتعالى القبلة ؟

ج : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ

(١) حياة الصحابة - باب تحمل الصحابة الشدائد في الدعوة إلى الله - ١ / ٢٨٤ .

(٢) سورة ص - الآية ٧٩ .

(٣) سورة الحشر - الآية ١٦ .

(٤) سورة نوح - الآيات من ١٣ : ٢٠ .

(٥) سورة الشعراء - الآية ٩٤ .

إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ . فاللذين اعترضوا ولم ينفذوا الأوامر ، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ اللَّيِّ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .
ولكن العقلاء قالوا: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

معروف أن الله ﷻ أقسم علي هداية الذي يجتهد للحق (الداعي)، قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) .
والشيطان أقسم علي إضلال الإنسان، قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فالشيطان بدأ بجهد الباطل من أول لحظة . . فعلي حسب الجهد تكون النتيجة ، فإذا ترك الإنسان جهد الهداية، فإن الشيطان يجتهد عليه جهد الباطل ليضله ، والشيطان يستخدم كل الحيل والوسائل للإضلال والغواية، قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٥) .

أي سوف أحرصهم ، وأرغبهم ، وأوسوس لهم ، وأزين لهم . . وليسعه عصا ، أو سكين ، أو بندقية ، ولا أموال ، ولا عقارات ، ولكنه يدفع ويشارك في كل زنا وفي كل ربا وفي كل جريمة قتل ، وفي كل غيبة ، وفي كل أكل الحرام ، وفي كل نظرة حرام ، وفي كل خطرة حرام ، وفي كل تبرج للنساء . . كل معصية علي وجه الأرض يحرض عليها ويأمر بها ويشارك فيه . . لذلك أكبر مخلوق يتلذذ بشهوات

(١) سورة البقرة _ الآية ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة _ الآية ١٤٢ .

(٣) سورة البقرة _ الآية ١١٥ .

(٤) سورة العنكبوت - الآية ٦٩ .

(٥) سورة الإسراء _ الآية ٦٤ .

الدنيا وملذاتها ومعاصيها هو الشيطان.

الآن كم عدد الكفار والمشركين في العالم ؟ كم عدد العصاة والمذنبين في العالم ؟ عدد كبير . . كم لعنة تنزل عليهم ؟ إلا إن إبليس عليه اللعنة تنزل عليه أضعاف اللعنات التي تنزل علي البشرية جمعاء . . لأنه كان سببا لإغواء البشرية، قال تعالى:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١).

وفي الباطل أصر إبليس عليه اللعنة علي باطله .. واليهود في الباطل قالوا سمعنا وعصينا .. وإبليس ناقش الأمر، فعصى.

ولكن أهل الله لا يناقشون الأمر:

يا إبراهيم اترك ولدك وزوجك في وادٍ غير ذي زرع . . سمعا وطاعة.

يا إبراهيم: اذبح ابنك . . سمعا وطاعة .

يا بني: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ

مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢).

إبليس لم يعظم الأمر فتحدي الأمر ، واستعصي علي الأمر ، ولكن لم يستطيع أن يتحدي القدرة ، وأقسم : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤِخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنتَ أَكْبَرُ قَالَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي فَسَوْفَ آخِزْكُمْ مِنْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ أَجْرَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٤) فإبليس لم ينقصه علم، لأنه سمع من الله ﷻ .

اكتمل جهد الباطل من أول يوم لخلق آدم ﷺ ، ولذا يريد الإفساد لكل العالم، والله

ﷻ أقسم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٥).

(١) سورة ص _ الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) سورة الصافات _ الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الإسراء _ الآية ٦٢ .

(٤) سورة ص _ الآيتان ٨٢ ، ٨٣ .

(٥) سورة الحجر _ الآيتان ٤٢ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (١)
 في الجنة كانت الثمار تتدلي علي آدم وحواء عليهما السلام ، فبعد المعصية
 صارت تبتعد عنهما، قال تعالى لآدم: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ (٢) ولكن
 لما عصي الله ﷻ نزع عنهما لباسهما قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ
 كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ
 وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .
 فلما نزع عنهما لباسهما: ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا
 وَطَفَفَا خِضْفَانَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ
 وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٤) الإنسان في ستر الله ﷻ ما دام في
 طاعة الله ﷻ فإذا عصي ربه كشف عنه ستره.. وبدأت المعصية بالتذوق.
 كثرة المعصية تأتي باللعة :

فالكافر قبيح بكفره . . . والمسلم قبيح بمعصيته . . . لأن أكبر معصية هي المعصية
 بعد المعرفة.

وبني إسرائيل عصوا بعد المعرفة، فقال الله لهم: ﴿ وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا
 مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (٥).
 وأخبر عنهم: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا
 مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) .

(١) سورة الإسراء _ الآية ٦٥ .

(٢) سورة طه _ الآية ١١٨ .

(٣) سورة الأعراف _ الآية ٢٧ .

(٤) سورة الأعراف _ الآية ٢٢ .

(٥) سورة البقرة _ الآية ٤١ .

(٦) سورة البقرة _ الآية ١٤٦ .

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) عرفوا ثم تمردوا وتكبروا فحسدوا فلعنهم وغضب عليهم . . فاليهود تلامذة إبليس .

الناس تتعرف علي جهد الباطل من خلال جهد الطواغيت . . والطاغوت الأول والأكبر هو إبليس عليه اللعنة .

جهد الحق ليس معصوما، ولذا مفتاح جهد الحق: أول كلمة قالتها البشرية علي لسان أبيهم آدم وأمهم حواء : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) لأنه ظلم نفسه عندما أوقعها في المعصية .
ولذا جهد الحق: ﴿ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .
وأول كلمة صنعت الظلم، كلمة إبليس: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (٤) .

وقالها فرعون عليه اللعنة: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٥) .

الرسول يعلم أبا بكر دعاء يدعو به : عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ: " قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "، وروي "كبيراً" بالثاء المثناة وبالباء الموحدة، فينبغي أن

(١) سورة الأنعام _ الآية ٢٠ .

(٢) سورة الأعراف _ الآية ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام _ الآية ٥٦ .

(٤) سورة ص _ الآية ٧٦ .

(٥) سورة الزخرف _ الآية ٥٢ .

يجمع بينهما، فقال: كثيرا كبيرا مُنْفَقٌ عَلَيْهِ (١).

ولذا مطلوب منا أن نشعر علي الدوام من صميم قلوبنا، بالتقصير، لأن أول صفة من جهد الحق: التوبة، قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وسيد التائبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إِنَّهُ لِيُعَانُ (٣) عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ " رواه مسلم (٤) .

وعن أبي هريرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة". رواه البخاري. (٥).

(١) رياض الصالحين _ كتاب الدعوات ص ٥٠٥ .

(٢) سورة التوبة _ الآية ١١٢ .

(٣) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : (الْغَيْنُ) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْغَيْمُ بِمَعْنَى ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ ، قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : الْمُرَادُ الْفَتْرَاتُ وَالْغَفَلَاتُ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنَهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَفْتَرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ ، قَالَ : وَقِيلَ هُوَ هَمٌّ بِسَبَبِ أُمَّتِهِ ، وَمَا إِطْلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهَا بَعْدَهُ ، فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، وَقِيلَ : سَبَبُهُ اسْتِغَالَهُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ أُمَّتِهِ وَأُمُورِهِمْ ، وَمُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَمُدَارَاتِهِ ، وَتَأْلِيفِ الْمُؤَلَّفَةِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ فَيَسْتَعْلِفُ بِذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ مَقَامِهِ ، فَيَرَاهُ ذَنْبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ ، وَأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ ، فَهِيَ نَزُولٌ عَنْ عَالِي دَرَجَتِهِ ، وَرَفِيعِ مَقَامِهِ مِنْ حُضُورِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمُشَاهَدَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ وَفِرَاقِهِ مِمَّا سِوَاهُ ، فَيَسْتَغْفِرُ لِذَلِكَ ، وَقِيلَ : يَحْتَمِلُ أَنَّ هَذَا الْغَيْنَ هُوَ السَّكِينَةُ الَّتِي تَغْشَى قَلْبَهُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِ } وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ إِظْهَارًا لِلْعُبُودِيَّةِ وَالِافْتِقَارِ ، وَمُلَازِمَةَ الْخُشُوعِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَاهُ ، وَقَدْ قَالَ الْمُحَاشِي : خَوْفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ خَوْفُ إِعْظَامِ ، وَإِنْ كَانُوا آمِنِينَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقِيلَ : يَحْتَمِلُ أَنَّ هَذَا الْغَيْنَ حَالُ خَشْيَةِ وَإِعْظَامِ يَغْشَى الْقَلْبَ ، وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ شُكْرًا ، كَمَا سَبَقَ ، وَقِيلَ : هُوَ شَيْءٌ يَعْتَرِي الْقُلُوبَ الصَّافِيَةَ مِمَّا تَتَحَدَّثُ بِهِ النَّفْسُ فَهِيَ شَهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (صحيح مسلم شرح النووي).

(٤) رياض الصالحين _ باب الاستغفار ص ٦٣٨ .

(٥) المرجع السابق ص ٦٣٩ .

○ ببركة التوبة أكرم الله ﷺ آدم بالجهد والنبوة، وبعد الجهد جاء: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَقُصِّوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١).

○ التقوى والإصلاح بهذا الجهد . . . كفر الكافر أشد ظلماً من معصية المسلم . . . ومعصية المسلم شديدة الظلمة، لأنه عصي بعد المعرفة.

○ كفر المغضوب عليهم من أعظم أنواع الكفر ، لأنه معصية بعد المعرفة.

○ أول جهد للحق هو تعظيم الأمر والامر الله ﷻ .

○ وأول جهد للباطل هو تحقير الأمر وردده وإهماله.

○ الدجال شيطان صغير ولكن الهروب منه بالإيمان والأعمال الصالحة، ومنها قراءة فواتح سورة الكهف أو الهروب منه إلى الجبال.

○ الشيطان الأكبر الذي يجري من ابن آدم مجري الدم لأنه ملازم له، ولا يمكن الهروب منه إلا بجهد الحق لأن الشيطان يفر من طريق الدعاة، فالمؤذن عندما يؤذن يهرب الشيطان، فعن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى " متفق عليه (٢) . فيفر من الأذان لأنه دعوة، ولا يفر من الصلاة مع أنها فرض،

لأن الدعوة أم الفرائض بها تحيي جميع الفرائض والسنن.

○ أكبر أعداء الداعي : شياطين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَكُلُّ شَاءَ

(١) سورة الأعراف _ الآية ٣٥ .

(٢) مشكاة المصابيح _ باب فضل الأذان وإجابة المؤذن ٢٠٧/١ .

رَبِّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١﴾ .

○ أسلحة الداعي:

(١) الله ﷻ معه: قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٢).

(٢) والملائكة معه : قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (٤).

فمن كان الله وملائكته معه فمن عليه؟

○ أهل الباطل يبغضون بعضهم البعض في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مَّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٦).

(١) سورة الأنعام _ الآية ١١٢ .

(٢) سورة طه _ الآية ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام _ الآية ٦١ .

(٤) سورة الرعد _ الآية ١١ .

(٥) سورة الحشر _ الآية ١٤ .

(٦) سورة الأعراف _ الآياتان ٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (١).

أما أهل الحق في محبة دائمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

وقال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٦).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عليّ عليه السلام ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) سورة الزخرف آية ٦٧ ، قَالَ : خَلِيلَانِ

(١) سورة ص _ الآية ٦٤ .

(٢) سورة الحجرات _ الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران _ الآية ١٠٣ .

(٤) سورة الحشر _ الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٥) سورة الزخرف _ الآية ٦٧ .

(٦) سورة الحجر _ الآية ٤٧ .

مُؤْمِنَانِ ، وَخَلِيلَانِ كَافِرَانِ ، فَتُوفِّي أَحَدُ الْمُؤْمِنِينَ فَبُشِّرَ بِالْجَنَّةِ ، فَذَكَرَ خَلِيلَهُ فَقَالَ :
اللَّهُمَّ خَلِيلِي فَلَنْ كَانَ يَأْمُرُنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ ، وَيَأْمُرُنِي بِالْخَيْرِ ، وَيَنْهَانِي
عَنِ الشَّرِّ ، وَيُبَيِّنُنِي أَنِّي مُلَاقِيكَ ، اللَّهُمَّ فَلَا تُضِلَّهُ بَعْدِي ، حَتَّى تُرِيَهُ ، كَمَا أُرَيْتَنِي ،
وَتَرْضَى عَنْهُ ، كَمَا رَضِيتَ عَنِّي ، ثُمَّ يَمُوتُ فَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمَا ، ثُمَّ لِيَقُولَ :
لَيْتَنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : نِعْمَ الْأَخُ ، وَنِعْمَ
الصَّاحِبُ ، وَنِعْمَ الْخَلِيلُ ، ثُمَّ يَمُوتُ أَحَدُ الْكَافِرِينَ فَيُبَشِّرُ بِالنَّارِ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ خَلِيلِي
كَانَ يَأْمُرُنِي بِمَعْصِيَتِكَ ، وَمَعْصِيَةِ رَسُولِكَ ، وَيَأْمُرُنِي بِالشَّرِّ ، وَيَنْهَانِي عَنِ الْخَيْرِ ،
وَيُبَيِّنُنِي أَنِّي غَيْرُ مُلَاقِيكَ ، اللَّهُمَّ ، فَلَا تَهْدِهِ بَعْدِي ، حَتَّى تُرِيَهُ ، كَمَا أُرَيْتَنِي ، وَتَسْخَطَ
عَلَيْهِ كَمَا سَخِطَ عَلَيَّ ، ثُمَّ يَمُوتُ الْآخَرَ فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمَا ، ثُمَّ يَقُولُ : لَيْتَنِي كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : بئسَ الْأَخُ ، وَبئسَ
الصَّاحِبُ ، وَبئسَ الْخَلِيلُ ، ثُمَّ قَرَأَ : (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)
سورة الزخرف آية ٦٧ " . (١) .

○ إبليس هبط من المكان والمكانة.

○ وفرعون عدو الله ذو باطل كبير ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (٣) فهذا صاحب حظ مزيف وباطل وداخله السخط والنقمة والعذاب.
أما الحظ الكبير الحقيقي الكامل وداخله الرضا والقبول: قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا
جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤) .

(١) شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور للسيوطي .

(٢) سورة الزخرف _ الآية ٥١ .

(٣) سورة النازعات _ الآية ٢٤

(٤) سورة البقرة _ الآية ٣٨ .

وقال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣). هبط من المكان وما هبط من المكانة . بل يرجع إلي مكانه ومكانته بعد فترة الاختبار والامتحان.

○ أهل الحق: وهم الأنبياء وأتباعهم، لا يقهرون الناس علي التبعية لهم ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ (٦).

○ أهل الباطل: وهم إبليس وجنوده لا يقهرون الناس علي التبعية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧).

○ أهل الحق: يفرحون بما لهم عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

(١) سورة يونس _ الآية ٦٢.

(٢) سورة الزخرف _ الآية ٦٨.

(٣) سورة فصلت _ الآية ٣٣ .

(٤) سورة الكهف _ الآية ٢٩ .

(٥) سورة المزمل _ الآية ١٩ .

(٦) سورة المدثر _ الآية ٥٥ .

(٧) سورة إبراهيم _ الآية ٢٢ .

فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١﴾.

○ وأهل الباطل: يفرحون بما عندهم مثل قارون: قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٤).

○ جهد الباطل لإفساد وتشويه الفطرة ، وجهد الحق لإظهار جمال الفطرة.

○ جهد الحق لتوجيه الناس: من المخلوق إلي الخالق، ومن الدنيا إلي الآخرة، ومن الأشياء المادية إلي الأعمال الإيمانية .. وجهد الباطل عكس جهد الحق تماما. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٥).



(١) سورة يونس _ الآية ٥٨ .

(٢) سورة القصص _ الآية ٧٦ .

(٣) سورة الحديد _ الآية ٢٣ .

(٤) سورة الزخرف _ الآية ٥٢ .

(٥) سورة الزخرف _ الآية ٥٢ .

مقارنة

بين الحاجة والمقصد

- قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١)
- المقصد : واحد لكل البشر ، ولكن الحاجات مختلفة.
- العبودية : هي أن تتعرف علي مراد الله تعالى، ثم تقوم عليه.
- السعادة : هي أن يحقق الله ﷻ لك ما تحبه، بالإيمان والأعمال.
- والسعادة : هي لذات مستمرة ، لا يفصل بينها لحظة ألم واحدة (لذة بعد لذة)
- قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٣).
- الشقاء : هو عذاب مستمر، وألم مستمر لا يفصل بينهما لحظة واحدة، ولهذا،
- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٤) ولذلك لا يجوز لإنسان مهما بلغت به الأحوال في الدنيا أن يقول : أنا شقي ، لأن حياته يتخللها فترات من الراحة .

(١) .سورة الذاريات _ الآية ٥٦ .

(٢) سورة يس - الآيات من ٥٥ : ٥٧ .

(٣) سورة الزخرف - الآيات من ٧١ : ٧٣ .

(٤) سورة غافر - الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

- الدنيا : تعب وراحة ، ولكن السعادة والشقاء في الآخرة.
- العبودية : هي أساس السعادة في الآخرة ، فإذا بلغ الإنسان مقصده فلن يفكر فيما أصابه من نقص في الحاجات.. وأما إذا لم يبلغ مقصده فلن يفيد اكتمال الحاجات، مثل : فريق كرة سافر وواجه ظروف صعبة جدا في السفر والإقامة ، ولكن فاز في المباراة، فلا يتذكر الظروف الصعبة، والعكس لو سافر وأقام بكل سهولة ويسر وراحة ولكن انهزم فلا يفرح براحة وسهولة سفره وإقامته بل يحزن ويتألم لأنه لم يحقق مقصده رغم تفاهة المقصد.
- الإنسان في الدنيا بفرح بمقصده ولو كان تافها، وعندما جعلنا الحاجات مقصد، صارت: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١)، لفظ فقط نقوله.
- إذا أراد الإنسان يذهب إلي عمله في الدنيا فلا أحد يرغبه، لأنه شعر أن عمله مقصد، وحتى أنه لا يرغب نفسه، لأن المقصد في قلبه، ولكننا رغبتنا بعضنا في الآخرة نضعفنا وجهلنا.
- المقصد: هو ما أشغل القلب والجوارح في كل وقت، وعلي كل الأحوال، فكرا وعملا.
- أهل الدنيا إذا قلت الحاجة عندهم يغضبوا ، وإذا زادت يفرحوا، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ (٢).
- الحاجة إذا فاتت الإنسان يتعب قليلا ، ولكن لو فاتته المقصد جاء الشقاء الأبدي ، لأنه إذا جاع يتعب ولكن لا يشقى، وإذا مرض يتعب ولكن لا يشقى، ولكن إذا عصي ربه يشقى، لأن المعصية ضد المقصد.

(١) سورة الفاتحة - الآية ٥.

(٢) سورة الرعد - الآية ٢٦.

- الجهد: هو تحمل نقصان الحاجات، من أجل القيام علي المقصد.
- الترف: هو ترك المقصد، من أجل تكميل الحاجات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (١).
- المقصد في وسع الناس في كل الأحوال:
- _ إبراهيم عليه السلام أمام جبروت النمرود ولم يترك المقصد.
- _ أيوب عليه السلام في المرض لم يترك المقصد.
- _ سليمان عليه السلام في الملك ولم يترك المقصد.
- _ يوسف عليه السلام في السجن لم يترك المقصد.
- _ عيسى عليه السلام في الفقر ولم يترك المقصد .
- _ والنبى محمد صلى الله عليه وسلم مرت به كل الأحوال التي مرت بالأنبياء وهو أعبد الخلق إلى الله تعالى.
- ابتلي كثير من الأنبياء والمرسلين والصالحون بنقص الحاجات، ولكن لم يبتلوا بالمعصية (أي بنقص المقصد) .
- الصحابة رضي الله عنهم تقطعت نعالهم في غزوة ذات الرقاع وهم يمشون وراء المقصد .. ونحن تقطعت نعالنا ونحن نمشي وراء الحاجات.. جولتان في الأسبوع ، ولكن كم جولة في السوق كل يوم ؟ من أجل رضا الطفل الصغير تقطعت نعالنا.. فكيف نفعل من أجل رضا الرب الكبير.
- الجنة ليست قائمة علي قوانين الأجور ، ولكن علي المحبة (محبوبنا الأعلى الله جل جلاله) .

○ الكفار عندهم الحاجات، وليس عندهم مقصد.. ولكن الذين عرفوا مقصدهم ، أخذوا النتيجة قبل النهاية ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١).

○ الحاجات كثيرة، ولكن المقصد واحد (رضا الله ﷻ) .

○ تعلمنا الحاجات، ولم نتعلم كيف نقوم علي المقصد.

○ الكافر جعل حاجته مقصد ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (٢).

○ يوم القيامة الذي يوتي كتابه، بيمينه يفرح وينسى الحاجات، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا آفَرُّوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٣).

○ والذي أوتي كتابه بشماله ينسى الحاجات، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ * خذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤).

○ قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصُدُرُ النَّاسُ

(١) سورة مريم - الآية ٣٣ .

(٢) سورة الأحقاف - الآية ٢٠ .

(٣) سورة الحاقة - الآيات من ١٩ : ٢٤ .

(٤) سورة الحاقة - الآيات من ٢٥ : ٣٣ .

أَشْتَاتَا لَيْرُوا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾ الزلزلة دمرت كل الحاجات.

○ القرآن يُشيد بأهل الجنة لقيامهم علي المقصد:

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(١) سورة الزلزلة- الآيات من ١ : ٨ .

(٢) سورة الأنعام - الآية ١٢٧ .

(٣) سورة السجدة - الآية ١٧ .

(٤) سورة الأحقاف - الآية ١٤ .

(٥) سورة الحاقة - الآية ٢٤ .

(٦) سورة النازعات - الآية ٣٥ .

(٧) سورة الرعد - الآية ٢٤ .

(١)، ففي نهاية كل آية يُشيد بقيامهم علي المقصد.

○ نخرج في سبيل الله عز وجل حتى تكون الحاجات خلف المقصد ، ففي الحديث
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ
الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ
رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ نَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا
فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ
بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ نَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ
شِدَّةً قَطُّ " رواه مسلم (٢) .

الأول: كانت الحاجات عنده عالية جداً، والمقصد ضائع.

والثاني: كانت حاجاته شبه معدومة، ومقصده عالي وواضح ومقدم.

○ الإنسان له شيئان:

(١) المقصد: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٣).

(٢) الحاجة: إذا زادت، طغت علي المقصد.

○ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤) .
وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى

(١) سورة الزمر - الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) رياض الصالحين - كتاب الزهد ص ٢٢٣ .

(٣) سورة الذاريات - الآية ٥٦ .

(٤) سورة المائدة - الآية ٣ .

المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١﴾

كل الناس غنيهم وفقيرهم، مريضهم وصحيحهم، يستطيع أن يحقق المقصد..

ولكن لا يستطيع أحد أن يكمل حاجاته وشهواته.

المتأمل في الحياة يجد: صحة ثم مرض.. غني ثم فقر .. شباب ثم هرم .. حياة ثم

موت.. لأنها ليست مقصود الحياة، ولهذا كمل الله مقصد الأنبياء، وابتلاهم بالحاجات،

مثل: أيوب (عليه السلام) ومرضه وفقره.. ويوسف (عليه السلام) وإخوته والسجن.. ومحمد (عليه السلام)

وتسع أبيات ليس فيها إلا ماء، فقد روى الإمام مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: جَاءَ

رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلْ إِلَيَّ بِغَضِ

نِسَائِهِ ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِلَيَّ أُخْرَى، فَقَالَتْ:

مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَا كُلُّنَا مِثْلَ ذَلِكَ لَنَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، فَقَالَ: " مَنْ

يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ؟ " ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ ، قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صَبْيَانِي ،

قَالَ: فَعَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْقُنَا فَأَطْفِئِ السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَاكُلٌ ، فَإِذَا أَهْوَى

لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تَطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا

عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَْا بَضِيفِكُمَْا اللَّيْلَةَ "

(٢) ولم يبتلوا بالمقصد.

وفي دعاء النبي (عليه السلام): كما رواه لنا ابن عمر قال: " قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَنَا مِنْ

خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلَّغْنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا

(١) سورة الشورى - الآية ١٣.

(٢) صحيح مسلم - رقم الحديث: (٣٨٣٦).

تَهَوَّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمْنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَيَّ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا " . (١).

الدين مرتبط بقلب الإنسان وجوارحه، وليس مرتبط بما عنده من الدنيا.. فنجد أغلب أتباع الأنبياء القائمين علي المقصد فقراء، ولهذا قالوا لنوح عليه السلام : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (١) ، وقال لنبويه محمد ﷺ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) وقال له : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ (٣) أي صبر نفسك مع الفقراء.. والله ﷻ عاتبه في عبد الله بن أم مكتوم ﷺ، قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٤).

وقال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) وما

(١) سنن الترمذي _ رقم الحديث: ٣٤٤٨، والسنن الكبرى للنسائي _ رقم الحديث (٩٨٠٤).

(٢) سورة هود - الآية ٢٧ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ٥٢ .

(٤) سورة الكهف - الآية ٢٨ .

(٥) سورة عبس - الآيات من ١ : ٤ .

(٦) سورة المائدة - الآية ٣ .

قال: اليوم أكملت لكم دنياكم.

فرغت بيوت الصحابة من الحاجات ، ولكن ملئت حياتهم وبيوتهم بتحقيق المقصد .

○ الله عز وجل فرغ بيوت زوجات النبي ﷺ من الحاجات لتكميل المقصد .. وفرغت أرحامهم من الحمل حتى يتفرغن ليُعلمن المقصد والقيام عليه، قال تعالى: ﴿ وَأذْكَرْنَ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (١).

○ المسلمون اليوم حبس مقاصدهم في مساجدهم فقط، وتفكروا في حاجاتهم، في كل مكان .

○ كل عمل يُرضي الله فهو (مقصد) .. وكل كلمة تُرضي الله فهي (مقصد) .. ولكن كيف نقوم علي المقصد ؟

هو أن تتفاعل مشاعرنا مع ما يحبه الله عز وجل، مثل: خالد ابن الوليد قال: ما ليلة تهدي إلي بيتي عروس أنا لها محب وأبشر فيها بسلام بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها العدو (٢) . فكان المقصد واضح في حياتهم، فطفي علي حاجاتهم.

○ الله عز وجل لا يحرصنا علي الحاجات، ولكن يحرصنا علي المقصد:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَالِدُكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٤.

(٢) أخرجه أبو يعلى عن قيس بن أبي حازم (انظر كتاب حياة الصحابة _ باب الجهاد _ رغبة الصحابة رضي الله عنهم إلي الجهاد ١ / ٣٧)

(٣) سورة القصص - الآية ٨٧

وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥) .

○ والمتأمل في كل من سورة هود وإبراهيم والرعد .. يجدهم كلهم دعوة .

○ لما نقوم علي المقصد القيام الصحيح، ونقيم غيرنا عليه، نجد الحاجات تراجعت

في حياة الإنسان إلي الخلف .. ثم تكون كل الحاجات في خدمة المقصد (أي تُصرف

النعم في إرضاء المنعم جل جلاله .. ثم يصبح الحصول علي الحاجات عبودية لله

تعالى، مثل:

البيع : قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٦) .

(١) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٤) سورة آل عمران - الآية ١٠٤ .

(٥) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٦) سورة البقرة - الآية ٢٧٥ .

والطعام :قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا
فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (٢).

طلب الرزق : قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٣).

الزواج : قال تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِن
خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٤)، وقال تعالى:
﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ
اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥).

لما كانت هذه الحاجات حسب أوامر الله عز وجل وسنة النبي ﷺ، صارت
عبودية لله تعالى.

○ أعظم مظهر من مظاهر العبودية لله تعالى، هو جهد الدعوة إلى الله ﷻ، قال
تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا

(١) سورة البقرة - الآية ١٧٢

(٢) سورة طه - الآية ٨١ .

(٣) سورة الملك - الآية ١٥ .

(٤) سورة النساء - الآية ٣ .

(٥) سورة النور - الآية ٣٢ .

(٦) سورة مريم - الآية ٤٠ .

(٧) سورة مريم - الآية ٥١ .

﴿ (١) .

وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٢).
 وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).
 ○ الموعود علي الجهد :

الموعود الكبير: الجنة. الموعود الصغير: النصر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ *
 تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
 فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ
 وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

الدنيا دار تربية .. فإذا تأخر الموعود الصغير: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ فإنما
 يتأخر للتربية.. أما إذا تأخر الموعود الكبير ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٥) دليل علي
 غضب الله ﷻ.

انتصار المشركين مع شركهم استدراج من الله ﷻ، ونصر إسرائيل الآن استدراج ،
 لأنهم ليسوا أمة رسالة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا

(١) سورة مريم - الآية ٥٤

(٢) سورة مريم - الآية ٥٦ .

(٣) سورة الأحقاف - الآية ٢١.

(٤) سورة الصف - الآيات من ١٠ : ١٣ ..

(٥) سورة الصف - الآية ١٢ .

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ .

أما هزيمة المسلمين في غزوة أحد تربية من الله ﷻ للأمة إلى يوم القيامة.

الدعوة مفتاح يفتح كل السبل ..النصر ربما يتأخر ، ولكن المعية تكون مع
الداعي من أول لحظة ، فالمعية أهم من النصر ، وهي (التأييد .. الحفاضة .. الثبات
.. الانشراح .. الاطمئنان .. الثقة .

فالنصرة تُعطى للكفار استدراجا .. وتربية للمسلم .. ولكن المعية تعطي للخوادم
فقط .

○ والنصرة ممكن أن تكون فتنة واستدراج، وهي لعلو دنياك علي دنيا غيرك.. ولكن
المعية لعلو دينك ، فالصحابية في غزوة أحد الله ﷻ نصرهم ولكن بعضهم فتن
فانهزموا .. وفي حنين البعض ركن للعدد والعدة ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي
مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحَبْتَ ثُمَّ وَلِيَتْكُمْ مَدْيَنَ ﴿٣﴾ فانهزموا ، وعندما زال عنهم ذلك ، نصرهم الله عز
وجل ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ
تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ .

○ الإيمان والجهد يحقق المقصد ، والمقصد يأتي بالموعود الكبير ، وهو ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ

(١) سورة الأعراف - الآية ١٨٢ .

(٢) سورة القلم - الآية ٤٤ .

(٣) سورة التوبة - الآية ٢٥ .

(٤) سورة التوبة - الآية ٢٦ .

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾.

○ أي شيء يتحقق بعد الموت فهو موعود كبير، لأنه دائم، قال تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) ﴿٢﴾.

○ أما النصر فهو موعود صغير لأنه ينتهي.. وأحيانا يكون الموعود الصغير للفتنة، قال تعالى: ﴿ وَالْوِاسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لَنَنْفِتْنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (٣) فالموعود الصغير تفتن به ، أما الموعود الكبير تُكرم به.

○ حب الله ﷻ يأتي بالنصر.. فيكون حب الله مقدم علي ما سواه.. فحب الله يأتي بالقدس وفلسطين.. فكانوا معنا ولما انشغلنا بالحاجات عن المقصد، نُزعتنا منا، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤).

○ لما تركنا الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فخرجوا من الدين.. ظلمناهم بترك الدعوة حتى تركوا الدين.. وظلمونا بإخراجنا من أرض الله فلسطين

○ ما الفرق بين المقصد والموعود ؟

المقصد: ما يحبه الله جل وعلا.

(١) سورة الصف - الآية ١٢ .

(٢) سورة الرعد - الآية ٣٥ .

(٣) سورة الجن - الآيات ١٦ ، ١٧ .

(٤) سورة الحج - الآية ٤١ .

والموعود: ما نحبه نحن.. فإذا أقمنا أنفسنا علي ما يحبه الله ﷻ، من (الإيمان والتقوى والإنابة والاستقامة والدعوة والصلاة والذكر وقراءة القرآن .. الخ.

○ فالله ﷻ يعطينا ما نحبه، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّر طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مَّصْفَى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُل الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (١) والنظر إلي وجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢).

○ الله ﷻ جعل المقصد ميسر لكل إنسان، فعن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَي أَحَدِكُمْ مِّن شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ " رواه البخاري (٣)(٤).

○ ولكن الحاجات غير ميسرة لكل واحد ، فلا يستطيع أي إنسان أن يتحصل علي كل احتياجاته في الدنيا، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

(١) سورة محمد - الآية ١٥ .

(٢) سورة يونس - الآية ٢٦ .

(٣) صحيح البخاري « كتاب الرقاق » باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك _ رقم الحديث (٦١٢٣).

(٤) قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِيهِ أَنَّ الطَّاعَةَ مُوصِلَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَنَّ الْمَعْصِيَةَ مُقَرَّبَةٌ إِلَى النَّارِ وَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ قَدْ تَكُونُ فِي أَيْسَرِ الْأَشْيَاءِ . وَتَقَدَّمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَرِيبًا حَدِيثُ ابْنِ الرَّجْلِ لَيْتَكُم بِالْكَلِمَةِ الْحَدِيثُ فَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَرْحَمُهُ اللَّهُ بِهَا وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ تَحْصِيلَ الْجَنَّةِ سَهْلٌ بِتَصْحِيحِ الْقَصْدِ وَفِعْلِ الطَّاعَةِ وَالنَّارُ كَذَلِكَ بِمُؤَافَقَةِ الْهَوَىٰ وَفِعْلِ الْمَعْصِيَةِ (فتح الباري شرح صحيح البخاري).

لَمَنْ نَرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١﴾ .

○ في طلب الحاجات :

قال تعالى: ﴿ فَاْمْتَسُوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٢) .

وفي طلب المقصد :

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ... ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ فَفَرِّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ... ﴾ (٦) .

○ الحاجات مهمة والمقصد أهم .

○ مشاعر الإنسان تابعة لمقصده الذي يضحى من أجله بدون تكلف .

○ إذا كانت الحاجات في خدمة المقصد تأخذ حكم المقصد، يعني الدنيا تصير ديناً .

وإذا كان المقصد في خدمة الحاجة يأخذ حكم الحاجة، يعني الدين يصير دنياً .

○ الله عز وجل وعد بقاء الحاجات ، وما وعد بقضاء الشهوات في الدنيا ، قال

تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا

كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة الإسراء - الآية ١٨ .

(٢) سورة الإسراء - الآية .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٣٣ .

(٤) سورة الحديد - الآية ٢١ .

(٥) سورة الذاريات - الآية ٥٠ .

(٦) سورة الحج - الآية ٧٨ .

(٧) سورة هود - الآية ٦٧٨ .

وَسَلَّمَ): " أَيُّهَا النَّاسُ ! لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرَّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ - وَفِي رِوَايَةٍ : وَإِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ - نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ " رَوَاهُ فِي (شَرْحِ السُّنَّةِ) وَالْبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الْإِيمَانِ) إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ (وَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ) . (١).

○ وأخيرا : من عرف مقصده قدم له جهده .



مقارنة

بين جهد الداعي وجهد السياسي

• السياسي المسلم المخلص ، مثل الوزير والبرلماني وخلافه وكذلك الداعي مقصودهما خدمة الأمة ، والاثنين لهما الأجر من الله تعالى.

السياسي اهتمامه بإصلاح أحوال الناس أكثر من اهتمامه بإصلاح الأعمال ، فالمرأة الباغية من بني إسرائيل التي سقت الكلب، غفر الله لها، لأنها أصلحت حاله ، فما بالنا بمن يصلح مأكولات ومشروبات ومواصلات وسكن وصحة الإنسان المكرم عند الله تعالى، فلا شك أن له الأجر من الله تعالى إذا صلحت نيته، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج ، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملاً خفة ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ، قال : في كل كبد رطبة أجر " متفق عليه (١).

وعن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس " .رواه مسلم (٢). وفي رواية له عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " مرَّ رجلٌ بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : لأنحني هذا عن طريق المسلمين لئلا يؤذيهم فأدخل به الجنة " متفق عليه (١).

(١) صحيح البخاري _ رقم الحديث (٢٢٠١)، صحيح مسلم « كتاب السلام » باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامه ... رقم الحديث (٤١٦٩).

(٢) صحيح مسلم « كتاب البر ، والصلة ، والأداب » باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ... رقم الحديث (٤٧٥١).

وفي رواية لهما: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " (٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . (٣).

• أما الداعي فاهتمامه الشديد بصلاح الأعمال، وصلاح الأعمال تبدأ بصلاح الجوارح ، وصلاح الجوارح بصلاح القلب ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " متفق عليه (٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . (٥).

(١) مشكاة المصابيح « كتاب الزكاة » باب فضل الصدقة _ رقم الحديث (١٩٠٤).

(٢) المرجع السابق ص ١٠١ .

(٣) رياض الصالحين _ باب قضاء حوائج المسلمين ص ١٤٥ .

(٤) المرجع السابق _ باب الورع وترك الشبهات ص ٢٦٧ .

(٥) المرجع السابق _ باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأقوال والأفعال البارزة والخفية ص

• سيدنا موسى عليه السلام وجد فساد في أحوال وأعمال بني إسرائيل ، فكان شغله الشاغل إصلاح الأعمال، وفي فترة إصلاح الأعمال، جاءت عليهم بعض الأحوال ، يعني جاءت عليهم المشقة والبلاء أثناء القيام بالجهد ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ آلِهَتُكَ قَالَ سَنَقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وكذلك لو نظرنا إلى حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، لوجدنا أنهم وقعت عليهم المشقة والبلاء ، في فترة التربية بمكة المكرمة.

• السياسي أول ثمار جهده ينعكس علي نفسه وأهله وأولاده، فتصلح أحوالهم، فيتحسن مطعمهم ومشربهم ومسكنهم وملبسهم ومركبهم.

• أما الداعي: أول ثمار جهده ينعكس علي نفسه وأهله وبيئته، وذلك بإصلاح أعمالهم، بسبب الدعوة والتعليم وإقامتهم علي الأعمال قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٢).

• وقال تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٣).

(١) سورة الأعراف _ الآيات من ١٢٧ : ١٢٩.

(٢) سورة الأحزاب _ الآيات ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة هود _ الآية ٧٣.

- السياسي نهاية فكره محلي لا يتجاوز بلده، فممكن أن نقول وزير مصري .. وزير أردني، وليس وزير عالمي مشغول بإصلاح أحوال الناس ي بلده، وفي كل العالم .
- أما الداعي: أول فكره وجهده للعالم، فلا نقول داعي مصري أو سعودي ولكن عالمي مثل : الرسول ﷺ وصحابته الكرام .
- السياسي يحتاج إلي قوة فكرية وعلمية واقتصادية وعشائرية ، حتى يؤثر في مركز الثقل ، حتى يستطيع قضاء حاجاته ، وحاجات الناس.
- أما الداعي لا يحتاج إلي الأسباب المادية ، فحتى لو كان أعمى أو فقير أو عبد مثل : بلال وعمار وصهيب ، يستطيع القيام بهذا الجهد المبارك.
- لا يمكن توحيد فكر السياسة في العالم، فكل واحد يتفكر حسب أحواله وأسبابه وبلده.
- ولكن الداعي عالمي الفكر والجهد والأسلوب، والهم والدعاء والغاية.
- الأحوال المخالفة تضعف شخصية السياسي وربما يفقد منصبه .
- أما الداعي فالأحوال المخالفة تقوي شخصيته وتربيته.
- السياسي تفرض عليه شخصيته السياسة بالرد والنقد وإظهار العيوب .
- أما الداعي ليس عنده الرد والنقد، ولكن عنده الترغيب والدعوة.
- السياسي يتكلم عن المخلوق أكثر مما يتكلم عن الخالق، ويتكلم عن الدنيا أكثر مما يتكلم عن الآخرة، ويتكلم عن الأسباب أكثر مما يتكلم عن الأعمال.
- والداعي يتكلم عن الخالق ويتكلم عن الآخرة، ويستحي أن يذكر المخلوق والأسباب المادية والدنيا.
- السياسي يقوم منصبه علي أساس الشهرة، وربما أصاب ذلك المفتي ومعلم الدين والفقير.
- أما الداعي لا يأخذ بدعوته شهرة فقط، قال تعالى: ﴿ وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

الْآخِرِينَ ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾^(٢)، وبعض الأحيان يكون غير مرغوب .

• السياسي جهده جهد الخواص ولا يصلح للسياسة كل الناس . . أما الدعوة فيلح لها كل الناس حتى النساء والصبيان والعبيد، وأصحاب الأعذار مثل: المرضى والفقراء وأصحاب العاهات.

• النبي ﷺ قام بالدعوة إلى الله ﷻ لإصلاح الأعمال ، وبعدها فتح الله ﷻ بأفضل سياسة راشدة، وعندما أنزل الله الأوامر لإصلاح الأحوال، فكان التنفيذ الفوري، فانصلحت الأحوال فور التنفيذ.



(١) سورة الشعراء _ الآية ٨٤

(٢) سورة مريم _ الآية ٥٠ .

فقه

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

(٢) ﴿

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ

رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكَرَى لَأُولِي النَّالِبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ

صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٧).

(١) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم - الآية ٥٤ .

(٣) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٤) سورة مريم - الآية ٥٦ .

(٥) سورة الأحقاف - الآية ٢١ .

(٦) سورة مريم - الآية ١٦ .

(٧) سورة ص - الآيات من ٤١ ، ٤٤ .

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾^(١)
 وقال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ
 يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ *
 إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴾^(٣) .
 وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ
 وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى: ﴿ فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ﴾^(٥) في دعوتهم ومستلزماتهما من الصفات .
 حتى مشاعر القتال بعواطف ومشاعر الدعوة، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾^(٦) .

أعظم كتاب هو القرآن، ما فصل فيه فقه الصلاة ولا فقه الصيام ولا فقه الحج
 والزكاة والذكر فالرسول ﷺ في خمسة دقائق علم الآيات فقه الصلاة قال ﷺ : "
 صلُّوا كما رأيتموني أصلي " رواه البخاري عن مالك بن الحويرث^(٧) ولكن القرآن
 فصل الدعوة، ولم يتركها الله لمذهب معين، ولا حتى للرسول ﷺ يفصلها.

(١) سورة ص _ الآية ٤٩ .

(٢) سورة ص _ الآيات من ١٧ : ٢٠ .

(٣) سورة ص _ الآيات من ٤٥ : ٤٨ .

(٤) سورة يوسف _ الآية ٣ .

(٥) سورة الأنعام _ الآية ٩٠ .

(٦) سورة التوبة _ الآية ٥ .

(٧) مشكاة المصابيح - باب تأخير الأذان - ١ / ٢١٥ .

فالعباداة على نهج الرسول ﷺ أما الدعوة على نهج ١٢٤٠٠٠ نبي ورسول
 لَوَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
 وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
 وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
 الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
 ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَمَن يَكْفُرْ بِهَا هُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
 قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿١﴾ اقتداء اللاحق
 بالسابق وليس الأفضل بالفضل، قال تعالى: وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
 لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢﴾ وليس
 لتخرج نفسك .

وقال تعالى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٣) وليس إنما أنت ذاك فكل داعي ذاك
 وليس كل ذاك داعي ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَكِّرٍ﴾ (٤) وردت بعد قصة
 دعوة (نوح .. موسي.. لوط عليهم السلام) في سورة القمر وهي سورة مكية .
 وليس فيها: لقد يسرنا القرآن للقتال ﴿ فذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (٥) دعوة .
 فإبليس لا يحمل عصا ولا سكيناً ولا سلاحاً وليس معه نقود، ولكنه فقط يزين
 ويحرض ويرغب ويوسوس .

(١) سورة الأنعام _ الآيات من ٨٣ : ٩٠ .

(٢) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٣) سورة الغاشية _ الآية ٢١ .

(٤) سورة القمر _ الآية ١٧ .

(٥) سورة ق _ الآية ٤٥ .

فالمريض، والأعمى والأعرج والمشلول ومقطوع اليدين والكسيح والشيخ الهرم المتقدم في السن والفقير والأمي.. كل هؤلاء يستطيعون تزيين وترغيب الناس للباطل أو للحق، ولا يستطيعون القتال.

ولذا الدعوة عمل الأمة لاحتياج كل فرد لها، لأنها تحمي النفس وتمجد الله، وجننا لا نلتفت لأنفسنا بالتمجيد (تمجيد النفس مشاعر إبليسيه) فأبليس قريب جدا من القلوب فيوسوس لها بالباطل.

وبالدعوة يأتي الخوف من نفوسنا، والدعوة فيها إتعاب البدن وليس اللسان والعقل فقط.

وأیضا فيها إذلال النفس لله، فلا يستطيع الشيطان العبور للقلب والفكر والسلوك ، لأن المعبر قد تم تدميره (وهو أنا) ولذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾^(٢)، فسُلطان إبليس على المصلين والصائمين والذاكرين والحجاج والعمار، وليس له سلطان على الدعاة قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٥) الآية الأولى في سورة الإسراء والثانية في الحجر والثالثة في النحل وكلها سور مكية .

(١) سورة الأنعام _ الآية ١١٢ .

(٢) سورة الفرقان _ الآية ٣١ .

(٣) سورة الإسراء _ الآية ٦٥ .

(٤) سورة الحجر _ الآية ٤٢ .

(٥) سورة النحل _ الآية ٩٩ .

ومثال ذلك الأذان والصلاة فالأذان دعوة يفر منه الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع الأذان، ولكن عند الصلاة يحضر ويوسوس .

فعند الدعوة يستنجد الشيطان بإخوانه من شياطين الإنس لوقف الداعي لأنه لا يستطيع إيقافه مباشرة، أما عند الصلاة فلا يستنجد بأحد ولكن هو بنفسه يوسوس في صدور المصلين.

ولكن عند الدعوة يحرك شياطين الإنس فيقول الشيطان لهم فهموه وانصحوه كيف يترك أولاده كيف يترك زوجته، كيف يترك عمله، لماذا يعرض نفسه للمشقة والتعب والاستهزاء والضرب والطرده وربما القتل ، قولوا له عمك هذا بدعة وليس صلاتك أو صيامك أو ذكرك بدعة ولكن دعوتك، قال تعالى: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرَّسْلِ) (١) ولذا افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه في سورة الفاتحة ببيان مقصد الإنسان وما يعينه على ذلك قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢) وختم القرآن بسورة كاملة للاستعاذة من الشيطان بثلاث أسماء الله تعالى هم الرب ، الملك ، الإله قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ (٣) لأنه يجري في ابن آدم مجرى الدم .. أي يعرف رغبته وشهوته وأشواقه وأمنيته .. فيستغل كل ذلك لإضلاله وهو أقسم بالله على إضلال آدم وذريته .

ولذا هو يجتهد ليلا ونهارا في ذلك، ويستخدم كل الحيل والوسائل لتحقيق غرضه، وواضح نجاحه الباهر والكبير في ذلك.

ولذا كم عدد الكفار الآن، وكم عدد العصاة من المسلمين ؟ وكم عدد المسلمين

الغافلين عن مقصدهم وتركهم جهد الإيمان(جهد الدعوة)؟

(١) سورة الأحقاف _ الآية ٩ .

(٢) سورة الفاتحة _ الآية ٥ .

(٣) سورة الناس _ الآيات من ١ : ٣ .

حتى من يتوجه للدين يشغله بالفتوى والعلم والحفظ والكلام ويستغل فيه نعمة الحفظ ونعمة القراءة والكتابة ونعمة البيان باللسان الفصيح حتى ينفخه ويكبر له ذلك حتى يقول أنا العالم الفلاني، أنا الدكتور والمتخصص في كذا وكذا، أنا المحفظ ، أنا المجود، أنا القارئ (أنا العلمية) فهو يوجب هذه المشاعر حتى لا نعظم مشاعر الدعوة، أي مشاعر الرحمة والشفقة والرأفة على الأمة، ولذا مدح الله الدليل الفطري وليس الدليل الشرعي في صاحب يس، فهو تحرك فورا متأثر من صفات الدعوة المتحركين فنحرك فورا ودعا إلي الله تعالى مثلهم بفطرته السليمة ولم يأمره أحد بذلك (الدليل الشرعي) .

فهناك جهدان ، جهد الباطل بقيادة إبليس الطاغوت الأكبر، وجهد الحق بقيادة (١٢٤٠٠٠) نبي ورسول والله ما أقسم على هدية بني آدم ، لأنه لو أقسم ما استطاع الشيطان أن يضل واحد منهم ، ولكن الله قال ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى﴾^(٢).

فأصبح جهد إدخال الحق في حياة كل واحد مسئوليته الشخصية.

فإذا أهمل في ذلك فسوف يجد نفسه في حزب الشيطان لأنه يجتهد عليه، ولذا أول سورة في القرآن قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) ولكن الله قسم فقط على هداية الداعي، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٤) وقال تعالى:

(١) سورة البقرة _ الآية ٣٨.

(٢) سورة طه _ الآية ١٢٣.

(٣) سورة الفاتحة _ الآية ٥.

(٤) سورة العنكبوت _ الآية ٦٩.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١) قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٢) لأنه لا يكون داعي إلا كان مجتهد، لإدخال الحق في غيره ولا يكون داعيا إلا إذا كان فيه صفات حقيقية، ولذا الله أقسم وأكد على هدايته.

وأيضا الشيطان داعي للباطل والمسلم داعي للحق أقوى من الباطل، لأن الحق مؤيد من الله والباطل غير مؤيد من الله.

فقه الدعوة: لا بد أن نتعرف علي الخالق والمخلوق.

فقه العبادة: تعرف الفاتحة والطهارة والأركان.

العبادة قوقعة: مسجد، بيت شغل.

أما الدعوة كل الخلق أي كل الأماكن، إذن يمر على أصناف الناس بأحوالهم من أعلى درجة في المعصية إلي أقل معصية.

وكذلك طبائع الناس المختلفة، لين الجانب، وشديد الطبع ، الكريم والبخيل ، الذكي وقليل الفهم ، الأمي والمتعلم . الكبير والصغير ، المؤدب وقليل الأدب ، عند الاطمئنان وعند الخوف ، في الحر والبرد ، في الليل والنهار . في الشباب والهرم في الصحة والمرض ... ما تنقبت أقدام الصحابة في العبادة في مكة أو في مسجد الرسول ﷺ ومعرفة أنهم أفقه وأعلم وأعمق المسلمين علما وفهما ولكن تنقبت في الدعوة والجهد للدين.

فصعاليك مكة لو عبدوا الله في بيت الله الحرام لمدة سنة لكانوا أفضل الناس فكل عبادة بمائة ألف.

(١) سورة محمد _ الآية ١٧.

(٢) سورة الكهف _ الآية ١٣.

أما فقه الدعوة كل نفس تعبد الله، كل الناس تصلي لله، كل الناس تصوم لله، كل الناس تذكر الله كل الناس ترحم على بعض، كل الناس لا تغش بعض .. تحقيق الإسلام الكامل في كل الناس، فهذا مزاج الدين والأجور في ذلك لا يعلمها إلا الله. الكافر يلزمه مرة واحدة في حياته أن يقول لا إله إلا الله، إلا في الصلاة، ولكن الداعي كم يذكر لا إله إلا الله أثناء دعوته ليلاً ونهاراً، سرا وجهراً.

قال تعالى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾^(١) . وليس ذاكراً ، فالمذكر أقوى من الذاكراً ملايين المرات ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢) أي ذكر الناس ، وليس ذكر إبراهيم في نفسه، ولكن في دعوته قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(٣) ما ذكر: ما نسبه ، ما عمله ، ما زمانه، ما لونه، ما سنه، ما مسافة سيره، جمال الدعوة أنه مطلق في كل مكان، حتى في أخصب الأماكن ، قرية الخبائث الذي كان يدعو فيها سيدنا لوط، بمعنى يري الخبائث، وجيرانه يري أعمالهم الخبيثة، ووجوههم عليها غضب الله ، ولكن هو يقول يا قوم يا قوم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٤) أما في العبادة اذهب إلي أطيب الأماكن المسجد مكان طيب ، مكان هادئ ، والناس فيه طيبين ، في الحرام المكي والنبوي تعز نفسك .

في الدعوة كل يوم يمشي وراء الناس بإذلال النفس ، يوسف في الجب . في الرق عند الظلمة في السجن .

والرسول ﷺ يمشي وراء الناس في الأسواق والنواصي ويعرض نفسه على الناس ومعروف رد الناس عليه ومعروف ما حدث له في الطائف.

(١) سورة الغاشية - الآية ٢١ .

(٢) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٣) سورة يس - الآية ٢٠ .

(٤) سورة الشعراء - الآية ١٦١ .

فلو قال يوسف والرسول عليهما الصلاة والسلام هؤلاء لا يصلحون للدعوة ما أصبحوا كواكب سواء أخوة يوسف أو الصحابة مثل سيدنا عمر وكذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وعمير بن وهب كانوا أعداء للرسول ﷺ ويقاثلونه فأصبحوا كواكب، أفضل خلق الله بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فما هو العمل الذي حول كل هؤلاء ؟ ليس الصيام والصلاة والزكاة والذكر وقيام الليل ليوسف أو النبي وهذا جرم كبير ولكن هو حولهم بالدعوة فقالوا معه وأصبحوا كواكب أولياء أدلة للحق قال تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) ولكن من هذا ؟ قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢) فالمحفوظ فقط هو الداعي إلى الله .

مثال : لو أن ملكا أو رئيسا للدولة أراد أن يكرم أحد أقاربه الأعمام عليه جدا فهل يوظفه مثلا كناس أو خفير أو عتال على عربة نقل أو فراش في مدرسة (مع احترامنا لكل الوظائف) ؟ ولكن يوظفه في أحسن وظيفة عنده وبأعلى أجر وكل الناس تقول عنه أنه محفوظ لأنه قريب الملك ، والملك يحبه ويعزه ، وأيضا من هم أفضل وأكرم وأشرف وأعز ناس عند الله ؟ هم الأنبياء فما كانت وظيفتهم ؟ الدعوة إلى الله، ولذا هو نسبهم لنفسه سبحانه وتعالى: نبي الله، رسول الله، خليل الرحمن ، كليم الله ، روح الله ، عبد الله ؟ عباد الرحمن، أولياء الله قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾^(٣) .

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٤ .

(٢) سورة فصلت _ الآية ٣٥ .

(٣) سورة الشورى _ الآية ١٣ .

صفات اليهود

قال تعالى: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٤).

وعن أبي هريرة ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٥) ، قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة الفاتحة - الآيتان ٦ ، ٧ .

(٢) سورة الأنفال - الآية ٢١ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٩٣ .

(٤) سورة النساء - الآية ٤٦ .

(٥) سورة البقرة - الآية ٢٨٤ .

وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ ، فَقَالُوا : أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ كَلَّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نَطِيقُ ،
 الصَّلَاةَ ، وَالصِّيَامَ ، وَالْجِهَادَ ، وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَمَا نَطِيقُهَا ، قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ،
 قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا
 أَلْسِنَتُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ
 آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
 غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(١) ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ، نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ ﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا
 إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾^(٢) ، قَالَ : نَعَمْ ، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾^(٣) ، قَالَ : نَعَمْ ، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِنَا ﴾^(٤) . ، قَالَ : نَعَمْ ، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ نَعَمْ وَاعْفُ عَنَّا
 وَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٥) قَالَ : نَعَمْ " رواه
 مُسْلِمٌ .^(٦)

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ
 لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٨٦ .

(٤) سورة البقرة - الآية ٢٨٦ .

(٥) سورة البقرة - الآية ٢٨٦ .

(٦) كتاب رياض الصالحين _ باب وجوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دعي إلى ذلك وأمر

بمعروف أو نهى عن منكر ص ١١٦ .

ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (١) وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " . قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَأَبُو وَقْدٍ اللَّيْثِيُّ اسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ وَتَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " (٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " رواه الترمذي (٤) .

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ ، أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " رواه البخاري (٥) .

○ من فقه الدعوة أن نعرف الشر حتى نتوقاه، فننتقز من الصفات الذميمة لا من

(١) سورة الأعراف - الآية ١٣٨ .

(٢) في كتاب الفتن _ باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم ٢١٨٠ ، ص ٥٥٤ .

(٣) رواه أبو داود برقم ٤٥٩٦ ، والترمذي برقم ٢٦٤٠ ، وابن ماجه برقم ٣٩٩١ .

(٤) في كتاب الإيمان _ باب ما جاء في افتراق الأمة برقم ٢٦٤١ ، ص ٦٥٩ .

(٥) رياض الصالحين _ باب العلم ص ٤٧٨ .

- الذات ، فقد يموت اليهود في العالم وتبقي اليهودية لأن اليهود ذوات واليهودية صفات قبيحة.. لو بقي اليهود في بلادهم ولم يؤذونا فلم نحاربهم.
- يجب أن نخاف من الصفات القبيحة والذميمة، فخوف عمر من النفاق جعله من أبعد الناس عنه.
- مطلوب المغيرة من حياة الكفار إلي المطابقة والمماثلة لحياة المؤمنين الصالحين.
- نخرج في سبيل الله ﷺ لنطلب الكمال .. أما الأنبياء (عليه السلام) الله ﷻ كملهم ثم طالبهم بالدعوة إليه.
- حياة الأنبياء والمرسلين كلها مضيئة، ولكن يختلفون في الإضاءة مثل النجوم.
- الأصل في الدين حياة الأنبياء والمرسلين .
- إذا كان الإنسان معه الحق لا يتأثر بالباطل والأمثلة كثيرة:
- فالله ﷻ صنع حياة موسى عليه السلام في بيئة فرعون الفاسدة.
- وكذلك امرأة فرعون كانت في بيئة فرعون الفاسدة.
- وكذلك كل الأنبياء الحق الكامل كان معهم فلم يتأثروا بالباطل الذي في أقوامهم، بل هم قاموا بتغيير البيئة للأفضل والأكمل بعد جهد الدعوة إلي الله.
- وإذا كان الإنسان معه الباطل، فلنوح وامرأة لوط وابن نوح ووالد إبراهيم .. وإبليس عليه اللعنة عاش وسط الملائكة ﴿ وَهُمْ لَا يَعْتُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(١) ولكن لم يتأثر بالبيئة.
- اليهودية تسمم القلب.. فاليهودية في تل أبيب (الذات) .. واليهودية في بيوتنا (الصفات) (٢) فعن الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ

(١) سورة التحريم _ الآية ٦ .

(٢) ومعناه: أن حياتنا فيها كثير من حياتهم.

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " طَهَّرُوا أُنْفِيَّتَكُمْ ، فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا تُطَهَّرُ أُنْفِيَّتَهَا " (١).

(١) المعجم الأوسط للطبراني « بَابُ الْعَيْنِ » مَنِ اسْمُهُ : عَلِيُّ الْحَدِيثِ : ٤١٨٩ .
قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٤١٨ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي " الْأَوْسَطِ " (١١ / ٢ مِنْ " الْجَمْعِ بَيْنَ زَوَائِدِ الْمُعْجَمِينَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَحْزَمٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا ، وَقَالَ : لَمْ يَرَوْهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ وَلا عَنْهُ إِلَّا الطَّيَالِسِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ زَيْدٌ . قُلْتُ : وَهُوَ ثِقَةٌ حَافِظٌ وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ رِجَالٌ مُسْلِمٌ غَيْرُ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ الرَّازِيُّ قَالَ الذَّهَبِيُّ : حَافِظٌ رِحَالٌ جَوَالٌ . قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ لَيْسَ بِذَلِكَ ، تَفَرَّدَ بِأَشْيَاءٍ . قَالَ ابْنُ يُونُسَ : كَانَ يَفْهَمُ وَيَحْفَظُ ، وَزَادَ الْحَافِظُ فِي " اللِّسَانِ " : وَقَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ قَاسِمٍ : وَكَانَ ثِقَةً عَالِمًا بِالْحَدِيثِ . وَقَالَ الْمَنَاوِيُّ : قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ خِلا شَيْخِ الطَّبْرَانِيِّ . قُلْتُ : كَانَ الْهَيْثَمِيُّ تَوَقَّفَ فِيهِ فَسَكَتَ عَنْهُ ، وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ . وَمِثْلُهُ حَسَنُ الْحَدِيثِ إِذَا لَمْ يَخَالَفْ ، لَا سِيَّمَا إِذَا لَمْ يَتَفَرَّدَ بِمَا رَوَى ، وَهَذَا الْحَدِيثُ كَذَلِكَ . فَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢ / ١٣١) مِنْ طَرِيقِ خَالِدِ بْنِ إِيَّاسٍ - وَيُقَالُ ابْنُ إِيَّاسٍ - عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَامَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ ، فَنَظَّفُوا ، أَرَأَيْتُمْ قَالَ : أُنْفِيَّتَكُمْ وَكَمَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ " ، قَالَ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مَسْمَارٍ فَقَالَ : حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : " نَظَّفُوا أُنْفِيَّتَكُمْ " ، قَالَ أَبُو عِيْسَى : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَخَالِدُ بْنُ إِيَّاسٍ يُضَعَّفُ ، وَيُقَالُ ابْنُ إِيَّاسٍ (سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ ، «كِتَابُ الْأَدَبِ» بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّظَافَةِ رَقْمُ الْحَدِيثِ : (٢٧٤٣) . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَخَالِدُ بْنُ إِيَّاسٍ يُضَعَّفُ .

قُلْتُ : وَفِي التَّقْرِيبِ : مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ وَالْحَدِيثُ أوردته ابن القيم في " زاد المعاد " (٣ / ٢٠٨) فقال: وفي مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله طيب... الحديث فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود ، يجمعون الأكباء في دورهم . فلا أدري إذا كان عند البزار من طريق خالد هذا أم من طريق أخرى . فقد وجدت له طريقا آخر ، ولكنه مما لا يفرح به ، أخرجه الدولابي في " الكنى " (٢ / ١٦) عن أبي الطيب هارون بن محمد قال : حدثنا بكير بن مسمار عن عامر ابنسعد به . ورجاله كلهم ثقات غير أبي الطيب هذا فليس بطيب ! قال ابن معين : كان كذابا . ووجدت للحديث شاهدا بلفظ : " نَظَّفُوا أُنْفِيَّتَكُمْ ، فَإِنَّ الْيَهُودَ أَنْتَنُ النَّاسَ " رواه وكيع في " الزهد " (٢ / ٦٥) : حدثنا إبراهيم المكي عن عمرو ابن دينار عن أبي جعفر مرفوعا و الله أعلم . (الألفية جمع (فناء) و هو الساحة أمام البيت .

- فمحاربة اليهود علي مدار ٢٤ ساعة فرض عين علي كل مسلم ومسلمة.
- الذي يجلس يأتيه الذباب، ذبابة، ذبابة، ولكن لو خرج وتحرك في الهواء يذهب الذباب .. فلا بد من الحركة للدين حتى تخرج من حياتنا اليهودية.
- من صفات اليهود في القرآن :

(١) استئفال الأوامر:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

أما أصحاب الرسول ﷺ فكانوا يفرحون بالوحي، ويبكون علي فقدان الوحي كما حدث مع أم أيمن حينما زارها الصديق والفاروق ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: " انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَنَا أَكُونُ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا ." رواه مسلم (٢) فخرج في سبيل الله ﷺ حتى نقول: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) ونغاير اليهود.

(٢) الإقبال علي الشهوات وترك المجاهدات:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا

(١) سورة البقرة _ الآية ٩٣ .

(٢) صحيح مسلم « كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ » بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللَّهُ ... رقم الحديث (٤٤٩٩) .

مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾.

الله ﷻ رزقهم المن والسلوى في التيه بدون التعب ، فيصبحون فيجدونه معلق في الشجر، وظلوا هكذا أربعين عاما ، فلم يصبروا على المن والسلوى، فلم يستحيوا أن يسألوا موسى عليه السلام أن يدعو الله أن يرزقهم ما ذكر في الآية.. أما أصحاب الرسول ﷺ فقد صبروا على تحمل الجوع حتى أكلوا ورق الشجر.. ولذا نخرج في سبيل الله ﷻ حتى نقلل من الشهوات.

(٣) اليهود يمجدون أنفسهم ولا يحبون أن يظهر الخير من عند غيرهم: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

ولكن أصحاب الرسول ﷺ قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٣).

(٤) اليهود يفترون على الله الكذب:

قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٤).

أما المسلم: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ

(١) سورة البقرة _ الآية ٦١ .

(٢) سورة البقرة _ الآية ٩١ .

(٣) سورة البقرة _ الآية ٤ .

(٤) سورة النساء _ الآية ٥٠ .

(٥) سورة التوبة _ الآية ١١٩ .

نَحْبُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١﴾ . فشهد الله ﷻ بصدق المؤمنين .

أما المنافق فسمته الكذب يأخذ من صفات اليهود:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا إِذَا أُوتِيَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " متفق عليه (٢) .

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ ، أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا ؟ قَالَ : نَأ " رواه مالك والبيهقي في شعب الإيمان مرسلا (٣) .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ ، قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : " مَنْ كَذَبَ ذَهَبَ مَاءٌ وَجْهُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ ، وَنَقِلُ الصُّخُورِ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَيْسَرُ مِنْ إِفْهَامِ مَنْ لَا يَفْهَمُ " (٤) .

(٥) البهتان: كان اليهود في المدينة يقرؤون صفة رسول الله ﷺ في التوراة ويقولون للأنصار إن هذا الزمان أوان بعثة نبي ، فإذا ظهر سنتبعه ونقتلكم شر قتلة ، فلما بعث ﷺ ، آمن به الأنصار، وكفر به اليهود وحسدوه وحاربوه وحاولوا قتله ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٥) . فهذا عبد الله بن سلام الحبر اليهودي يخبر النبي ﷺ أنهم قوم بهت، وإليك قصة إسلامه: فَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقِيلَ :

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٢٣ .

(٢) كتاب رياض الصالحين _ باب تحريم الكذب ص ٥٣١ .

(٣) مشكاة المصابيح _ كتاب الآداب _ باب حفظ اللسان والغيبة والشتيم ٣ / ١٣٦٤ .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان _ رقم الحديث: (٤٤٦٨) .

(٥) سورة البقرة _ الآية ٨٩ .

جاء نبيُّ الله فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبدُ الله بنُ سلامٍ وهو في نخلٍ لأهلهِ
يخترِفُ لهمُ منه ، فعجلَ أن يضعَ الذي يخترِفُ لهمُ فيها ، فجاءَ وهي معه ، فسَمِعَ
منَ نبيِّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم رجعَ إلى أهلهِ ، فلَمَّا خلا نبيُّ الله صلَّى الله
عليه وسلَّم جاءَ عبدُ الله بنُ سلامٍ ، فقالَ : أشهدُ أنك نبيُّ الله حقًّا ، وأنتَ جئتَ
بالحقِّ ، ولقد علمتِ اليهودُ أني سيدهمُ وابنُ سيدهمُ ، وأعلمهمُ وابنُ أعلمهمُ ،
فادعهمُ واسألهمُ عني قبلَ أن يعلموا أني قد أسلمتُ ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمتُ
قالوا في ما ليسَ في . فأرسلَ نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليهمُ فدخلوا عليه ، فقالَ
لهمُ نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا معشرَ اليهودِ ، ويحكمُ ! اتقوا الله ، فواللهِ
الذي لا إلهَ إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولٌ حقًّا ، وأني جئتكم بحقِّ ، أسلموا . فقالوا :
ما نعلمه ، فأعادها عليهمُ ثلاثًا وهمُ يجيبونه كذلك . قالَ : أيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ
سلامٍ ؟ قالوا : ذاك سيِّدنا وابنُ سيِّدنا ، وأعلمنا وابنُ أعلمنا ، قالَ : أفرأيتم إن أسلمَ
؟ ، قالوا : حاشَ لله ما كانَ أن يسلمَ ، فقالَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : يا ابنَ
سلامٍ ، اخرجِ إليهمُ ، فخرجَ إليهمُ ، فقالَ : يا معشرَ اليهودِ ، ويحكمُ ! اتقوا الله ، فواللهِ
الذي لا إلهَ إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حقًّا ، وأنه
جاءَ بالحقِّ ، فقالوا كذبت ، فأخرجهمُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وفي صحيح البخاريِّ أيضًا ، من حديثِ حميدٍ ، عن أنسٍ ، قالَ : سمعَ عبدُ الله بنُ
سلامٍ بقُدومِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو في أرضٍ له ، فأتى النبيُّ صلَّى
الله عليه وسلَّم فقالَ : إنني سأنك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيُّ ، ما أولُ أشراطِ
السَّاعةِ ؟ وما أولُ طعامِ أهلِ الجنَّةِ ؟ وما ينزعُ الولدُ إلى أبيه أو إلى أمِّه ؟ ، قالَ :
أخبرني بهنَّ جبريلُ أنفًا ، (قالَ : جبريلُ ؟) قالَ : نعم ، قالَ : ذلكَ عدوُّ اليهودِ من
الملائكةِ ، قالَ : ثم قرأَ هذه الآيةَ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ
اللهِ ثُمَّ قَالَ : أمَّا أولُ أشراطِ السَّاعةِ فنارٌ تخرجُ على الناسِ من المشرقِ إلى المغربِ

، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتُوا ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي بِهِتُونِي . فَجَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟ قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدُنَا ، وَابْنُ سَيِّدِنَا ، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟ قَالُوا : أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . قَالُوا : شَرْنَا وَابْنُ شَرِّنَا . وَانْتَقَصُوهُ ، قَالَ : هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : كَانَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ حِينَ أَسْلَمَ ، وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَرَفْتُ صِفَتَهُ وَاسْمَهُ ، وَهِيَائَتَهُ ، وَالَّذِي كُنَّا نَتَوَكَّفُ لَهُ ، فَكُنْتُ مُسِرًّا لِذَلِكَ صَامِتًا عَلَيْهِ ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ نَزَلَ مَعَنَا فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى أَخْبَرَ بِقُدُومِهِ ، وَأَنَا فِي رَأْسِ نَخْلٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا ، وَعَمَّتِي خَالِدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ تَحْتِي جَالِسَةً ، فَلَمَّا سَمِعْتُ الْخَبَرَ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَبَّرْتُ ، فَقَالَتْ لِي عَمَّتِي حِينَ سَمِعَتْ تَكْبِيرِي : لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ مَا زَادَ . يَعْنِي إِنْ فَعَلْتُ . قَالَ ، قُلْتُ لَهَا : يَا عَمَّتِي ، هُوَ وَاللَّهِ أَخُو مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، وَعَلَى دِينِهِ بُعِثَ بِمَا بُعِثَ بِهِ ، فَقَالَتْ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَهْوَى النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نُبَشِّرُ بِهِ أَنَّهُ يُبْعَثُ مَعَ نَفْسِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهَا : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَذَلِكَ إِذَا . قَالَ : ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِي فَأَمَرْتُهُمْ فَأَسْلَمُوا ، وَكَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنَ الْيَهُودِ ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ : إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتُوا ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي بَعْضِ بَيْوتِكَ تُعَيِّبَنِي عَنْهُمْ ، ثُمَّ تَسْأَلَهُمْ

عَنِّي ، كَيْفَ أَنَا فِيهِمْ ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ؟ فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي بِهِتُونِي وَعَابُونِي . قَالَ : فَأَدْخَلَنِي بَعْضَ بِيُوتِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَأَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟ قَالُوا : سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، وَحَبْرْنَا وَعَالِمُنَا ، قَالَ : فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ قَوْلِهِمْ خَرَجْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ! اتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ اسْمُهُ وَصِفَتُهُ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ وَأَعْرِفُهُ . قَالُوا : كَذَبْتَ ، ثُمَّ وَقَعُوا فِيَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ بُهَتَ ، أَهْلُ غَدْرٍ وَكَذِبٍ وَفُجُورٍ ؟ ! قَالَ : فَأَظْهَرْتُ إِسْلَامِي وَإِسْلَامَ أَهْلِ بَيْتِي ، وَأَسْلَمْتَ عَمَّتِي ابْنَةَ الْحَارِثِ فَحَسَنَ إِسْلَامُهَا .

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنْهُ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَنْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ ، فَقَالُوا : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لَأَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعَمُوا الطَّعَامَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ - تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ . فَعُلَمَاءُ الْقَوْمِ وَأَحْبَابُهُمْ كُلُّهُمْ كَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) ، فَمِنْهُمْ مَنْ آثَرَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ آثَرَ الدُّنْيَا وَأَطَاعَ دَاعِيَ الْحَسَدِ وَالْكَبْرِ .

وَفِي مَغَازِي مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : كَانَ بِالْمَدِينَةِ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْثَانٌ يَعْبُدُهَا رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَتْرُكُونَهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ وَعَلَى تِلْكَ الْأَوْثَانِ فَهَدَمُوهَا ، وَعَمَدَ أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أُخْتَبِ أَخُو حَيِّ بْنِ أُخْتَبِ ، وَهُوَ أَبُو صَفِيَّةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ مِنْهُ ، وَحَادِثُهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُصَرَّفَ الْقِبْلَةُ نَحْوَ

المسجد الحرام ، فقال أبو ياسر : يَا قَوْمِ أَطِيعُونِي ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَاءَكُمْ بِالَّذِي كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَهُ ، فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُخَالِفُوهُ . فَانْطَلَقَ أَخُوهُ حَيٌّ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْيَهُودِ يَوْمَئِذٍ - وَهُمَا مِنْ بَنِي النَّضِيرِ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا ، فَقَالَ : أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ وَاللَّهِ لَا أَرَاهُ لَهُ عَدُوًّا أَبَدًا ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو يَاسِرٍ : يَا ابْنَ أُمَّ أَطِيعَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ ، ثُمَّ اعْصِنِي فِيمَا شِئْتَ بَعْدَهُ لَا تَهَيْكُ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَطِيعُكَ ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَاتَّبَعَهُ قَوْمُهُ عَلَى رَأْيِهِ . !

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ أَنَّهَا قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِ أَبِي وَعَمِّي أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمَا مِنِّي ، لَمْ أَلْقَهُمَا فِي وَادٍ قَطُّ إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَاءَ ، نَزَلَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَغَدَا إِلَيْهِ أَبِي وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبِ مَغْلَسِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاءَا إِلَيَّ مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ ، فَجَاءَا فَاتْرَيْنِ كَسَلَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَا ، فَهَشَشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا نَظَرَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، فَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ يَقُولُ لِأَبِي : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، قَالَ : تَعْرِفُهُ بِنَعْتِهِ وَصَفْتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، قَالَ : فَمَاذَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ، قَالَ : عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَعَكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَتَعَلَّبَهُ بْنُ سَعِيَةَ ، وَأَسَدُ بْنُ سَعِيَةَ ، وَأُسَيْدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودٍ ، فَأَمَنُوا وَصَدَّقُوا وَرَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ ، قَالَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْيَهُودِ : مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَلَا اتَّبَعَهُ إِلَّا شِرَارُنَا ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ خِيَارِنَا مَا تَرَكَوْا دِينَ آبَائِهِمْ وَذَهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ لَيْسُوا سِوَاءَ مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَأَوْلَيْكَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِنْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ " (١).

وقال تعالى: ﴿ وَبَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

لذا نخرج في سبيل الله ونغايير اليهود.. ونتبع الرسول ﷺ عمليا.

(٦) الغلو في الدين: قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ

لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ (١).

(١) أخرجه الترمذي ٤ / ٣٨٦ (١٨٥٤) وقال: حسن صحيح غريب. ورواه البخاري والبيهقي عن أنس، وابن إسحاق عن رجل من آل عبد الله بن سلام، والإمام أحمد، = ويعقوب بن سفيان عن عبد الله بن سلام، والبيهقي عن موسى بن عقبة وعن ابن شهاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣ /

(٢) سورة النساء_ الآية ١٥٦.

(٣) سورة النساء_ الآية ١٧١.

(٤) سورة المائدة_ الآية ٧٧.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢).

فحكم الله عليهم بالكفر: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

(٧) وصف الله بما لا يليق به ﷺ : قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَغُلُّوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٦).

(٨) احتقار الآخرين : قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

(١) سورة البقرة_ الآية ١١٦.

(٢) سورة التوبة_ الآية ٣٠.

(٣) سورة المائدة_ الآية ١٧.

(٤) سورة المائدة_ الآيتان ٧٢ ، ٧٣.

(٥) سورة المائدة_ الآية ٦٤.

(٦) سورة آل عمران_ الآية ١٨١.

لذلك أفسدوا في الأرض ، والفساد في الأرض طرق العلو في الأرض..أما أصحاب الرسول ﷺ كان عندهم احترام الآخرين.

ولذا نخرج في سبيل الله ﷻ حتى نتعلم احترام الآخرين، حتى نغايير حياة اليهود. (٩) التقصير مع تزكية النفس: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٢). وليس ذلك فحسب بل يقولون: نحن شعب الله المختار .

أما نحن أمة محمد ﷺ ما قلنا عن أنفسنا بل الله ﷻ قال عنا : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣).

ونقولها (ولا فخر) ونكررها لنشجع أنفسنا ونقوم على المسئولية ونخدم الناس.

ولذا نخرج لأننا أمة الخير نحب الخير للغير، وندعوهم للخير حتى نغايير صفات اليهود.

(١٠) التحايل واتباع الهوى: كما في قصة أصحاب السبت قال تعالى: ﴿ وَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا

(١) سورة آل عمران _ الآية ٧٥.

(٢) سورة النساء _ الآية ٤٩.

(٣) سورة آل عمران _ الآية ١١٠.

(٤) سورة البقرة _ الآية ٦٥.

قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعِّثَنَّ عَلَيْهِمُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾.

(١١) ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢).

(١٢) موالة الكفار: قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

أما أمة الحبيب محمد ﷺ: قال الله تعالى عنهم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤).

(١٣) الجبن: قال تعالى: ﴿لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مَّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ (٥).

(١) سورة الأعراف _ الآيات من ١٦٣ : ١٦٧.

(٢) سورة المائدة _ الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) سورة المائدة _ الآيتان ٨٠ ، ٨١ .

(٤) سورة المجادلة _ الآية ٢٢ .

(٥) سورة الحشر _ الآية ١٤ .

(١٤) فرقة القلوب واختلافها: قال تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

ولكن أهل الإيمان:

قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السَّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

ولذا نخرج في سبيل الله ﷺ لتجميع الأمة بالكامل، قلبا قبل القلب، والأفكار قبل الأقطار .. فبالدعوة تكون الأمة أمة حقيقية، وبنغاير صفات اليهود.

(١٥) أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله ﷺ: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها في سبيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤).

(١) سورة الحشر - الآية ١٤.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٣.

(٣) سورة الفتح - الآية ٢٩.

(٤) سورة التوبة - الآية ٣٤.

(١٦) إيذاء الدعاة (الأنبياء عليهم السلام) : قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (١).

(١٧) الحرص علي الحياة: قال تعالى: ﴿ وَكَتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

والملاحظ أن كلمة حياة جاءت نكرة غير معرفة بـ ال وهذا دليل علي أنهم يحرصون علي أي حياة (حياة البهائم .. حياة الشياطين).

(١٨) المشاعر الدنيوية: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

اليهود عندهم لا إله إلا الله وليس عندهم محمد رسول الله . . ولكن النصاري ما عندهم لا إله إلا الله ولا محمد رسول الله . . ومع ذلك سهل علي النصاري الدخول في الإسلام عن اليهود ، لأن النصراني ضال وعندما يعرف الحق يستجيب، أما اليهودي فهو متكبر والمتكبر ليس له نصيب في الهداية ، مثل إبليس فلا يقبل الحق . . وكذلك المسلم المتكبر إذا طلب منه الخروج يرفض مع أنه يعلم أنه حق (ما

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٦٩

(٢) سورة البقرة _ الآية ٩٦.

(٣) سورة التوبة _ الآية ٤١.

منعه إلا الكبر) .٠٠ بخلاف المسلم العاصي الضال سهل عليه أن يخرج في سبيل الله ﷻ .

ولذا نخرج في سبيل الله لتحويل مشاعرنا من الدنيا إلي الآخرة ونغاير صفة اليهود.

(١٩) ترك الجهد للدين: قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (١). (٢).

ولكن الصحابة ﷺ لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لأخذ العير ووجد أن أبا سفيان قد نجا بالقافلة وأتى خبر مسير قريش فاستشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم .

وفي رواية فقام أبو بكر فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن الاسود فقال : يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول لك كما قال قوم موسى لموسى { فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون (٣)، عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فأشرق وجه رسول الله ﷺ وقال له خيراً ودعا له.

وذكر موسى بن عقبة وابن عائد . أن عمر قال يا رسول الله ﷺ إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقابلك فأهب لذلك أهبتة .

(١) سورة المائدة _ الآية ٢٤ .

(٢) سورة المائدة _ الآية ٢٤

(٣) وفي ابن هشام متبعون.

وأعد لذلك عدته ثم استشارهم ثالثاً ففهمت الأتصار أنه يعنيهم وذلك أنهم عدد الناس فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وجزاه الله خيراً فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنك تعرض بنا قال : أجل وكان إنما يعنيهم لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم فاستشارهم ليعلم ما عندهم فقال سعد : يا رسول الله قد آمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما أردت ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأتصار ترى عليها ألا ينصروك إلا في ديارهم وإني أقول عن الأتصار وأجيب عنهم :

... فاطعن حيث شئت ... وصل حبال من شئت ... واقطع حبال من شئت ... وخذ من أموالنا ما شئت ... وأعطنا ما شئت ... وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ... وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لرأيك ... فو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان . وفي رواية برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك .

والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجلٌ واحد .. وما نكره أن نلقى عدونا غداً .. وإنا لصبرٌ في الحرب .. صدق في اللقاء .. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك .. ولعلك خرجت لأمر فأحدث الله غيره فسرنا على بركة الله فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكون كالذين قالوا لموسى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ^(١) . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون . فأشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسر بقول سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم ^(٢) .

(١) سورة المائدة - الآية ٢٤

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد - ٤ / ٤٢ ، حياة الصحابة - ١ / ٣٩٦ .

وعن عبد الله بن مسعود ، قال : " لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمَقْدَادِ مَشْهَدًا لِأَنَّ أَكُونَ أَنَا صَاحِبُهُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ . كَانَ رَجُلًا فَارِسًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا غَضِبَ احْمَارَّتْ وَجْنَتَاهُ ، فَأَتَاهُ الْمَقْدَادُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَالَ : أَبَشِّرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) ، وَكَانَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَنَكُونَنَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ ، وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ ، أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ . رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَدَدَ النَّاسِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا بُرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَيَّ دَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ فِي ذِمَامِنَا ، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَتَخَوَّفُ أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نُصْرَتَهُ إِلَّا مِمَّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : وَاللَّهِ ، لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَجَلُ ، قَالَ : فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهودَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَاْمُضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَا أَرَدْتَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إِنْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا غَدًا . إِنَّا لَصَبِيرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ ، صَدَقَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهُ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِقَوْلِ سَعْدِ ، وَنَشِطَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبَشِّرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ . ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ ذِفْرَانَ ، فَسَلَكَ عَلَى ثَنَابِيَا ، يُقَالُ لَهَا : الْأَصَافِرُ ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا عَلَى بَلَدٍ ، يُقَالُ لَهَا : الدَّبَّةُ ، وَتَرَكَ الْحَنَانَ بِيَمِينِ ، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرِ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ " (١) .

(١) تاريخ الطبري _ رقم الحديث: (٥٣٧)، مسند أحمد بن حنبل « مسند العشرة المبشرين بالجنة

أعظم ذم في القرآن:

قال تعالى: ﴿ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٢).

قالهما الله ﷻ للمنافقين ، فهم علي شاكلة اليهود .

إذا تحركت الأقدام تحركت الأفهام.

إذا تحركت الأقدام تحركت القلوب إلى علام الغيوب حتى تنال المطلوب.

أقعد وأقعد غيري هذا تشبه باليهود . . أما أتحرك وأحرك غيري هذا هو

المطلوب.

جزاء القعود والتقصير . . الكبر والتعالي علي الدين . . ولذا بعد كل كلمة نقولها

نرغب الناس علي الخروج والحركة للدين . . حتى الناس يسمونا جماعة الخروج . .

وبذلك نغير صفة اليهود .

... « مُسْنَدُ الْمُكْتَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ » مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ _ رَقْمُ الْحَدِيثِ

(٣٥٦٨)، تَارِيخُ دِمَشْقَ لابن عساکر « حَرْفُ الْمِيمِ » ذَكَرَ مِنْ أَسْمَاءِ مَقْدَادٍ _ رَقْمُ

الْحَدِيثِ (٦٥١٥٦)، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لابن سعد « طَبَقَاتُ الْبُدْرِيِّينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ذَكَرَ ... » وَمِنْ

حُلَفَاءِ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ مِنْ قِبَائِلٍ ... _ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٢٠٩)، دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ « الْمُدْخَلُ إِلَى

دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةٌ ... » جَمَاعُ أَبْوَابِ غَزْوَةِ بَدْرِ الْعُظْمَى _ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٩٢١)، وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ

طَرَفًا مِنْهُ _ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٦٨٣)

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ - آيَةُ ٤٦ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ - آيَةُ ٨٣ .

اليقين

علي الكلمة الطيبة (لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

• قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١).

• لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ من علمها ؟ الذي عاش تحت ظلالها طول الحياة العمر كله . . من تعلمها تعلم عبودية ٢٤ ساعة .

• لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تقتضي منك أن تظل علي مدار ٢٤ ساعة أن تنفي الخوف من غيره ﷺ، تنفي أن تقصد غيره ﷺ، تنفي طوال ٢٤ ساعة أن يلتفت القلب إلي غيره ﷺ ، تقتضي علي مدى (٢٤) تتقلب وتثوى وتتحرك وتسكن ، تحت ظلال لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

• ليس المقضى من علم لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أن نلتزم بمنهج العبودية لمدة ٥ دقائق خلال الصلاة، في الصلاة العبودية والانصياع، ثم بعد الصلاة نتحلل، لهذا جاء بعد لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } كل حركة لا بد أن تحكمها لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كل سكرة لا بد أن تحكمها لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

• لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شريعتك ، وشريعة كل مؤمن ، تستغفر لتقصيرك وتقصير كل مؤمن ، وكل مؤمنة {وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } ، حتى تقوم بحق لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، تفعل الخير وتستغفر والمخاطب فاعلم، سيد الخلق ﷺ ، سيد من علم ، خير من علم ، سيد الخلق كمل علمه والله ﷺ يقول له ﷺ : { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ، ازداد كمالا بالعلم ، ازداد كمالا بمعرفة لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

• علم الإيمان بحر لا ساحل له، لا تقول خلاص علم الإيمان وصل، والله يقول لنبيه (سيد الخلق ﷺ): { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ازداد علما ازداد معرفة ازداد كمالا . .

هذه الآية في أي سورة ، في القرآن المكي أم القرآن المدني ؟ سورة محمد سورة مدنية ، نزلت في المدينة وهو يجاهد من أجل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وهو يؤذي من أجل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وهو يذل نفسه من أجل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وهو يصبر من أجل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، نزلت في أواخر العهد المدني يعني ٢٠ سنة وهو يضحى من أجل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، والله ﷻ يقول : { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } .

• إذن فقه الأحكام محدود، كيف تتوضأ ؟ وقت قليل تتعلم ، ولكن علم الإيمان ما له أول ولا آخر، كلما تجتهد تزداد علم الإيمان، علم الإيمان مقرون بقوة الجهد، ما تستطيع أن تتعلمه وأنت جالس ، توحيد الربوبية توحيد الألوهية، معنى لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : نفي وإثبات .

• أنت الآن تتعلم السورة ، ولكن ما جاءت الحقيقة ، أنت الآن تصور الإيمان ، تصور أسد ، تصور الخوف من الله ، تتصور نار حامية ، وما نزلت دمة واحدة ، ولكن الذي عنده علم ، دليل العلم ما تكلموا ، عن علم لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ولكن الدليل : الخوف ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ^(١) دليل العلم ليس الكلام عن الخوف ، دليل الإيمان ليس الكلام عن الإيمان، دليل الخوف ليس الكلام عن الخوف ، ولكن تخاف من الله وتتقي ما يغضب الله، دليل التوكل ليس الكلام عن التوكل، ولكن دليل العلم أنه توكل على الله ، دليل التضحية ليس الكلام عن التضحية، دليل العلم أن تضحى من أجل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، تأتي الحقيقة .

علم رسول الله ﷺ صلاته في دقائق ، قال ﷺ : " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي " رواه البخارى عن مالك بن الحويرث ^(٢) صلى فصلوا.

(١) سورة المائدة - الآية ٨٣ .

(٢) مشكاة المصابيح - باب تأخير الأذان - ١ / ٢١٥ .

في الحج : حج مرة واحدة في العمر ، فتعلمت الأمة كلها، ما كتب لهم شيئا عن الحج فقط يقول اعملوا مثلي، فعن جَابِرًا يَقُولُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَأَأَدْرِي لَعَلِّي لَأَأُحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ^(١)، يطوف فيطوفوا ، يسعى فيسعون ، لكن علم الإيمان طلب منهم الجهد مدي الحياة حتى يظل هذا العلم راسخ في قلوبهم : قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢).

• الهداية كمال الإيمان ، تستطيع أن تكون مفتي كبير وأنت تسمع كلام الفتوى ، لأن الفتوى بالسمع ، تذهب إلي المفتي فتسأله في مسألة في الطلاق ، فيقول لك: اسمعني، وليس اتبعني، لأن المفتي ما يريد أن يُطلق، هذا الطلاق رجعي . . هذا الطلاق بائن بينونة كبرى . . زوجتك تحل لك . . زوجتك لا تحل لك، حلال أو حرام ، فقط اسمعني . . أما علم الإيمان، علم الدعوة إلي الله ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي؟ لا ﴾ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿^(٣) اسمعوني أهدكم ؟ اتبعوني أهدكم.. ما أجلسهم وجلس معهم، وقال: اجلسوا ، اسمعوني، ماذا أقول عن لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! ما كتب له شيئا في تفسير لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

- لو خرج صحابي من قبره وسألته عن توحيد الربوبية أو توحيد الإلوهية ما يعرف لأنه مصطلح جديد، ليس المصطلح خطأ، ولكن لا تفرضه علي الناس.
- ليس علم الإيمان كلمات ننظمها، ونردها علي ألسنتنا، ولكن كيف تتوجه القلوب

(١) صحيح مسلم _ كتاب الحج _ باب اسْتِحْبَابِ رَمِي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا وَبَيَّانِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ _ رقم الحديث: (١٢٩٧).

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٦٩ .

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

بالكلية إلى الله ﷻ، يقول أحد الصالحين اللهم ! وجه قلوبنا إليك حتى لا يقع منها نظر إلا عليك ، كيف تتوجه مشاعر قلوبنا إلى الله ، كيف تمتلئ قلوبنا بهم دين الله ﷻ، كيف تمتلئ قلوبنا بحب أوامر الله ﷻ.

• قال تعالى: ﴿ وَحَصَلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(١) فالثروة الإيمانية في الصدور، والثروة المادية في الجيوب، لا تستطيع أن تضع دينار واحد في قلبك ، ولا تستطيع أن تضع ذرة واحدة من الإيمان في جيبك، ولو دليل لنا إله إلا الله بالألسنة لأخذ المنافق درجة ممتاز علي الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٢) ، والرسول ﷺ لا يعجب بكلام الدنيا، لا يعجب بهزل ، ولا بغناء، ولا ثرثرة، يعجب بكلام صدق عن ربه .

• { يُعْجِبُ قَوْلُهُ } وما عنده ذرة إيمان، حتى يأخذ هوية في المجتمع الإسلامي، ضغط علي لسانه وسمع كلام الرسول، وتكلم كلام الرسول أمام الناس (كلام الإيمان)، فكان عبد الله بن أبي زعيم المنافقين يقف كل جمعة بجوار المنبر، محمر الوجه، ويحرض الناس علي الجهد ^(٣) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ

(١) سورة العاديات - الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٠٤ .

(٣) قال عبد الله بن إسحاق في السيرة (١٥٣/٣) ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعني مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له مطيعين ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس قال يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنا قلت بجرا الآن قمت أشدد أمره فلقية رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا ويلك مالك قال قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنا قلت بجرا الآن قمت أشدد أمره قالوا ويلك

مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١﴾ يعني زي إسلامي لحية طويلة وثوب قصير، قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مِّنْ مَّسْنَدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِیْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢) ولكن أين السيرة والسريرة؟، إذن لَأ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تقتضينا الصورة الإسلامية النبوية، لا نستعزئ بها، والصورة مهمة، لكن أين السيرة والسريرة؟ .

• لَأ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تجمل صورتك وسريرتك وسيرتك، فتجملنا بصورة المسلم وهذه الصورة لا تكلفنا شيء، اللحية أسهل من الحلق، الحلق يكلفك، والترك فقط (أعفو اللحي) فالصورة مهمة ولكن لا تكلفني.

• معنى لَأ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : كيف اجتهد علي سريرتي المملوءة بثروة الإيمان ، وكيف اجتهد علي جوارحي بالأعمال التي يريدنا الله ﷻ .

ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ قال والله ما أتبعني أن يستغفر لي وقال قتادة والسدي أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعا رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الأنصار = على ذلك الغلام فلاموه وعذموه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه أي لست فاعلا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبي الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبيرة أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال: ليخرجن الأعز منها الأذل فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبي ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون) إلى قوله (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷻ لووا رعوسهم) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبيرة وقوله إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير - تفسير سورة المنافقون)

(١) سورة البقرة - الآية ٢٠٤ .

(٢) سورة المنافقون - الآية ٤ .

• فدلّيل الإيمان عند المنافق كلمات طيبة، وما في تضحية طيبة، ولذا ما قبل منه هذا الدليل: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

• ودليل علم لنا إله إلا الله عند الصحابة أن الإيمان موجود، دليل أن قلوبهم تمتلئ بالإيمان ، التضحية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢) يشري، يضحى، من أجلها هاجر ،من أجلها بذل ،من أجلها ناصر، من أجلها أنفق، من أجلها أعطي ﴿ فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ (٣) من أجلها بذل كل ما في وسعه.

• مع أن المؤمن كلامه طيب ، ولكن مدحه بأحسن دليل ، تبدأ لنا إله إلا الله (علم الإيمان) بالكلمة الطيبة وتنتهي بالجهد الطيب، الكلام الطيب بداية الطريق والتضحية الطيبة نهاية الطريق، الكلمة الطيبة ، في خط البداية: بيانات طيبة ، حتى نمكن لنفي المخلوق وعدم التأثر بالمخلوق ، ونمكن لعظمة الخالق في قلوبنا، وننفي هيبة المخلوق من قلوبنا، وننفي جمال وجلال المخلوق ، وحتى ننفي هيمنة المخلوق، وحتى نتأثر بالخالق، فلا بد بالتضحية الصادقة.

• لهذا نخرج في سبيل الله يومين ثلاثة، ويكون تركيزنا علي علم الإيمان، وعلم الأحكام حاجته غير حاجتي، علم الإيمان حاجتك حاجتي ، حاجة مشتركة ، كيف يأتي في قلوبنا الخوف من الجليل ، والشوق إلي موعود الله من الجنان ، حالنا اليوم مثل : حال أهل الأعراف، لا حال أهل الجنة ، ولا حال أهل النار، قال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا

(١) سورة البقرة - الآية ٨ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٠٧ .

(٣) سورة الليل - الآية ٥ .

لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ (فإذا نظروا إلى أهل الجنة فيطمعون أن يدخلهم الله الجنة (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يجلسون على منزلة بين المنزلتين ينظرون إلى أهل الجنة ويطمعون وينظرون إلى أهل النار، فحن حالنا مثل حال أهل الأعراف نسمع عن وصف الجنة، وحال أهلها فنقول اللهم اجعلنا من أهلها . . . ونسمع عن وصف النار وحال أهلها فيها، فنقول اللهم لا تجعلنا من أهلها، فيقول المفسرون ما هي إلا أيام والكريم يعطيهم ما طمعوا (وَهُمْ يَطْمَعُونَ) ويأمنهم مما خافوا، إذا اجتمع الخوف والرجاء في قلب المؤمن، الخوف والطمع الحقيقي وتمكن، وليس ساعة في الخروج وتبخر، ولكن ٢٤ ساعة ترجو ما عند الله، وتخاف عذاب الله ﷻ، متى يتمكن الخوف في قلبك، عندما تدخل في بيتك مع زوجتك وأولادك، ولم تنسى هذا المقام (٢).

قال أهل الجنة: ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (٣) وما قالوا: إنا كنا في مساجدنا . . . وما قالوا: في جهادنا . . . وما قالوا: إنا كنا في خروجنا . . . لكن قالوا: { فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ } ، والآن لما دخلت البيت تلهو، وتضحك وتلعب، حالك يقول: هذا بيتي ليس بيت الله، مرح عائلي!! لكن هم كما وصفهم الله: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا

(١) سورة الأعراف - الآيات من ٤٦ : ٤٨ .

(٢) وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيته قال إني ذكرت قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فلا أدري أنجوا منها أم لا . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير - في تفسير سورة مريم) . وكما حدث مع أبي ريحانة عند رجوعه من الجهاد .

(٣) سورة الطور - الآية ٢٦ .

وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١﴾ ليس في مساجدهم ، بل في بيوتهم ، لأن هذه الآية مكية ، والحياة المكية لم يكن فيها مساجد غير المسجد الحرام ، إلا أنهم كانوا لا يستطيعون إقامة شعائرهم الدينية في المساجد .

• لا بد أن يتمكن الخوف في قلبك علي مدي ٢٤ ساعة وأنت طامع فيما عند الله ﷻ ، خائف مما عنده .

• " إذا اجتمع الخوف والطمع في قلب المؤمن إلا أمنه الله مما يخاف وأعطاه ما يرجو "

• الله ﷻ أجلس أهل الأعراف هذه الجلسة أهل الغيبية، حتى نستفيد منها نحن أهل الدنيا : { وَهُمْ يَطْمَعُونَ } .

• وجاء في المثل: إن الكريم إذا أطمع أطمع . . . يطمعك حتى يُعطيك . . . أما البخيل يطمعك ولا يُطعمك . . . يذهب بك إلى البحر ويرجعك عطشان .

• عسي في لغة العرب تفيد الترجي . . . أما في القرآن تفيد اليقين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) حتى تظل في مقام الطمع، في عبودية الطمع ، : { فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } وهكذا نَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . . حتى نعيش أطماع الإيمان علي مدي الـ ٢٤ ساعة ، نَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تقتضي أن نعيش الشوقيات الإيمانية طوال ٢٤ ساعة .

• نقول : نَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وفي قلوبنا الأطماع الدنيوية ٢٤ ساعة .. نقول : نَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وفي قلوبنا المخاوف الدنيوية ٢٤ ساعة . . . نخاف من الهمم ، نخاف من الفقر ، نخاف من المرض ولكن نار حامية وما في خوف!!! . . . لو قتلها مليون مرة

(١) سورة السجدة - الآية ١٦ .

(٢) سورة التوبة - الآية ١٨ .

- والأطماع الدنيوية في قلبك، فما علمت لآ إله إلا الله فقط علمت لفظ لآ إله إلا الله .
- كم مرة أوجب علينا ربنا أن نقول: لآ إله إلا الله ؟ مثلا: رجل كافر، أسلم ، كم مرة يجب عليه أن يقول : لآ إله إلا الله وجوب عيني بعد إسلامه خارج الصلاة؟
 - ج : يجب عليه أن يقولها ، مرة واحدة خارج الصلاة ، وباقي المرات نافلة ، لكن كم مرة يذكر بها ، ﴿ قُلْ لَمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ﴿ قُلْ لَمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)
 - كان الصحابي أول ما يسلم وينطق بكلمة التوحيد لآ إله إلا الله، فيقول: يا رسول الله ! ائذن لي، أن أذهب إلي قومي لأدعوهم إلي الله، لعل الله يمن بي عليهم ، كما من بك علي . انهمك الصحابة بالتذكير ب لآ إله إلا الله ، ونحن فقط ، نقول : لآ إله إلا الله . . . التذكير بها فرض عين.
 - يجب لكل أذن في العالم أن تسمع لآ إله إلا الله، ليس لنا فقط.
 - تشاغلنا بالمندوب عن الواجب . . . قل: لآ إله إلا الله بلسانك ألف مرة (سنة)، تذكر بها الغافل (فرض) .
 - في الذكر: ذكر، وفي التذكير : ذكر أقوى.
 - لما تشتغل بالدعوة إلي الله ﷻ ، الله ﷻ يوقظ قلبك ، أول صحوة في قلبك أنت . . . نذكر ونذكر ، نركع ونركع . . . هكذا طريق الإيمان .
 - طريق العباد قبل هذه الأمة : ذكر من غير تذكير ، فلما غاب سيدنا موسى ﷺ ٤٠ يوما ، عن قومه اللذين رباهم علي العبادة وليس علي الدعوة ، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

(١) سورة الأنعام - الآية ١٢ .

(٢) سورة المؤمنون - الآية ٨٤ .

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ (١) تربوا علي يد نبي من أولي العزم من الرسل ، والله ﷻ أراهم الآيات ، شق لهم البحر ، أغرق عدوهم فرعون وقومه ورأوا بأعينهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٢) ما سمح الله لأمة تري مهلك عدوها ، إلا لبني إسرائيل ، حتى يشفي غليلهم ، ورأوا آيات عجيبة ، وغاب عنهم مربيهم موسى ﷺ الذي رباهم علي العباداة والذكر ، فتبخرت لنا إلهة إلهة الله ، وعبدوا العجل ، فما أسرع وأسهل أن يفتن العابد ، وما أصعب أن يفتن الداعي ، الشيطان ما يستطيع أن يفتنه : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (٣) . لفظ { عبادي } يعني عبودية الدعوة ، فما كان في مكة صيام ، لكن ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤).

• ما غاب موسى ﷺ سنة ولا سنتين ، فقط ٤٠ يوما ، ففتن أهل لذكر وأهل العباداة ، أهل قيام الليل .

• اجتمعت صناديد قريش حتى يفتنوا قلب سمية بنت الخياط (زوجة ياسر وأم عمار) الداعية إلي الله ﷻ ، فما استطاعوا

• إذن كيف نمكن لنا إلهة إلهة الله في قلوبنا ، نركع ونركع غيرنا ، نسجد ونسجد غيرنا ، نخاف ونخوف غيرنا ، نتشوق إلي موعود ونشوق غيرنا ، نتبين ونبين عظمة ربنا ، ونتحرك من أجل لنا إلهة إلهة الله ونحرك الأمة كلها ، حتى يعبد الله وحده في الأرض . . هذا هو الطريق أن نتكلم عن لنا إلهة إلهة الله . . هذا هو العلاج لضعف الإيمان نخرج في سبيل الله ﷻ ونخرج غيرنا . . أما الداء نقعد ونقعد غيرنا ،

(١) سورة يونس - الآية ٨٧ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٥٠ .

(٣) سورة الحجر - الآيات من ٤٢ .

(٤) سورة مريم - الآية ٤١ .

نضحك ونضحك غيرنا . . والله لو قرأت مجلدات في تفسير لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لو قرأت عن توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، صير فيلسوف كلام ، وليس فيلسوف تضحية وعطاء ، ما استفدت شيئاً بدون أن تضحى من أجل لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

• كان الصحابة ﷺ أحق الناس بهذه الكلمة لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ (١) كلمة التقوى : هي لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ضحوا من أجلها ، فألزمهم الكلمة لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ووقفهم أن يلتزموا بمطالب لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، طيلة حياتهم .

• لا نصير أهل لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ونحن لا عيين . . متى جاءت الأهلية ؟ عندما ضحوا من أجلها ، في صلح الحديبية (٢) ألزمهم لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أمراً يخالف نفوسهم ، أصعب

(١) سورة الفتح - الآية ٢٦ .

(٢) بعثت قريش سهيل بن عمرو ليوقع الصلح - فلما رآه رسول الله ﷺ قال : " قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا " وفي لفظ: فقال رسول الله ﷺ : " سهل أمركم " وجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متربعا، وكان عباد بن بشر وسلمة بن أسلم بن حريش على رأسه - وهما مقتعان في الحديد - فبرك سهيل على ركبتيه فكلم رسول الله ﷺ فأطال الكلام وتراجعا، وارتفعت الأصوات وانخفضت، وقال عباد بن بشر لسهيل: اخفض من صوتك عند رسول الله ﷺ والمسلمون حول رسول الله ﷺ جلوس، فجرى بين رسول الله ﷺ وبين سهيل القول حتى وقع الصلح على ان توضع الحرب بينهما عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم بعضا، وان يرجع رسول الله ﷺ عامه هذا، فإذا كان العام المقبل قدمها فخلوا بينه وبين مكة، فأقام فيها ثلاثا فلا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف في القرب لا يدخلها بغيره، وانه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه - وان كان على دين محمد - رده الى وليه، وانه من أتى قريشا ممن اتبع محمدا لم يردوه عليه، - وان بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عيبة مكفوفة، وانه لا اسلال ولا اغلال، وانه من حب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. فكره المسلمون هذه الشروط وامتعضوا منها، وأبى سهيل إلا ذلك فلما اصطلحوا ولم يبق إلا الكتاب

أمر وجه إليهم ، قبل رسول الله ﷺ الصلح ، أنُعطي الدنية في ديننا ، والنبى الكريم ﷺ الذي يبلغ عن الله ، وقع الصلح ، وهم تعودوا الجهاد ، والآن ما في جهاد ، ممنوع الجهاد ١٠ سنوات ، ومتى وقع الصلح وليس المسلمون في عزة ، ومكة يحكمها الكفار ، والكعبة فيها الأصنام ، والشروط قاسية علي الصحابة : الذي يسلم نرده علي الكفار حتى يقتلوه!!! إيش هذا الصلح ؟!!! هذا خلاف النفس !!! أنُعطي الدنية ، ولكن ألزمهم . . ما استخدموا الحمية ، أحيانا يتسم الإنسان بالحمية عن لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وهو يكسر مطالب لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ والله يقول لك: { خذِ الْعَفْوَ } إنسان يقول لك بدعة ، . . اصبر عليه من أجل لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أين { خذِ الْعَفْوَ } بدعة . . تقول والله أنتقم منه . . أنت تنتقم لنفسك ، أنت لستُ أُغير علي لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ من الخالق الذي شرع لك لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لستُ أُغير علي العبادة من المعبود ، الله يقول لك : { خذِ الْعَفْوَ } كيف تأخذك الحمية ، الحمية صفة الكفر ، الحمية بخار ينبعث من النفس ،

وثب عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أُلست نبي الله حقا ؟ قال: بلى. قال: أُلسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال: بلى، قال: أُليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال: بلى. قال: علام نعطي الدنية في ديننا ؟ ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : " إني عبد الله ورسوله ولست اعصيه ولن يضيعني وهو ناصري " قال: أو لُيس أنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف حقا ؟ قال: " بلى، فأخبرتكَ انك تأتيه العام ؟ قال: لا: قال: " فانك آتية ومطوف به " ، فذهب عمر إلى أبي بكر متغيظا ولم يصبر، فقال: يا أبا بكر: أُليس هذا نبي الله حقا ؟ قال: بلى. قال: السنا على الحق وهم على الباطل ؟ أُليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟ قال: أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بعرزه حتى تموت، فوالله انه لعلى الحق. وفي لفظ فانه رسول الله. فقال عمر: وأنا اشهد أنه رسول الله، قال: أو لُيس كان يحدثنا انه سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال: بلى، فأخبركَ انك تأتيه العام ؟ قال: لا. قال: فانك آتية ومطوف به. فلقي عمر من هذه الشروط أمرا عظيما (انظر كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد).

فالنفس تغضب ، وهو يعمل بموجب هذا الغضب .

• فغضب الكفار كيف يأتينا محمد عنوة، فغضبوا لأنفسهم، ولو قضيت الحمية، بالحمية، لكسرت مطالبنا إلهنا الله .

• قال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^(١) فكان ذلك فتحا : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(٢).

• نخرج في سبيل الله لتتعلم ، فكل يوم يلزمننا علم الإيمان، علم مشترك ، كيف يقوي إيمانك ، وإيماني وإيمان الأمة كلها ، يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣) أحب إلي من المعصية .

• قال أحد السلف الصالح : وددت أن أقطع إربا ، إربا ، ولا يعصي الله في الأرض .
• و قال أحد السلف الصالح أيضا : وددت لأن تغلي بي المراحل ، ولا يعصي الله في الأرض .
غيرة علي لنا إلهنا الله.. دلائل علي قوة الإيمان ، دلائل علي قوة التضحية ، هذا علم الإيمان الذي نحتاجه كل ثانية تمر علينا .. أما علم الأحكام: أنت تاجر ، أنت تحتاج أن تتعلم الأحكام التي تتعلق بالتجارة .. وهذا يريد أن يطلق ، نقول له : اسأل مسألتك، فلسنا كنا بحاجة إلي هذا العلم .. أما علم العبادات : فكنا نحتاج إليه كيف نتوضأ ؟ كيف نُصلي؟ كيف نصوم ؟
• كيف تأتي عندنا ثروة الإيمان ، و ثروة الأعمال .

(١) سورة الفتح - الآية ٢٦ .

(٢) سورة الفتح - الآية ١ .

(٣) سورة يوسف - الآية ٣٣ .

- معني قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾^(١) يعني اذكر فقه دعوة إبراهيم عليه السلام ، فقه الجهد الذي يقوي إيمانك ، ويحيي هذه الكلمة في قلوب الآخرين ، وينشر الإيمان .
- وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(٢) يعني اذكر فقه دعوة موسى عليه السلام ، فقه تحصيل الإيمان .
- الصحابة رضي الله عنهم يقولون : تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن ، فازدنا به إيماننا .
- ما كل الناس تعلموا القرآن ، ما كان القرآن في مكة مكتوب ، هذا سمع : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾^(٣) وهذا ما سمع بها ، ما في مصحف .
- يقول : لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ويشغل في الدعوة ، وقد سمع سورة ، وقد سمع سورتين .
- تعلموا عملي خذ العفو، قبل أن يقرعوا { خذ العفو } .
- تعلموا تطبيق ادفع بالتي هي أحسن، قبل أن يقرئوا الحكم القرآني: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(٤) .
- تعلموا جهد الأنبياء ، قبل أن يسمعو سورة الأنبياء .
- تعلموا جهد الأنبياء من جهد نبينا ﷺ .
- تعلموا حلم الداعية من حلم نبينا ﷺ .
- تعلموا أخلاق الداعية من أخلاق نبينا ﷺ .

(١) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٣) سورة الإخلاص - الآيات من ١ : ٤ .

(٤) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

- تعلموا كرم الداعية من كرم نبينا ﷺ.
- تعلموا الجهد من الجهد ﷺ ولو انتظروا حتى ينزل قرآن الدعوة كله لخرب العالم لبعده عن مقتضي الإيمان بالله.
- نتعلم من القديم في الدعوة ، والجديد يخرج ليتعلم من القديم .
- نتعلم ونعلم، نتعلم الجهد بالجهد، تتحرك مع ناس سبقوك ٣ أيام أو أكثر علي قدر استطاعتك، وتُحرك آخرين معك ليتعلموا الجهد.
- ما معني: " تعلمنا الإيمان " ؟ أي تعلمنا جهد الدعوة، الذي نحصل به الإيمان، والذي نكسب به الإيمان، ونقوي به الإيمان.
- ما قرعوا للتبرك، يقرأ الآن: { وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ } وما عنده استعداد، يشتغل بشغل إبراهيم ﷺ .. ويقرأ { وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى } وما عنده استعداد ، أن يشتغل بشغل موسى ﷺ.
- يقرأ سورة يوسف، وما يلفت نظره: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) الذي هي محور السورة .. ولكن الذي يلفت نظره: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٢) فيقول : يا شيخ ! ما معني { وَهَمَّ بِهَا } ، هكذا .
- قال رسول الله ﷺ : " إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله " (٣). والمعني أن تحرم الأمة فهم القرآن الكريم . . لأن أكثر من نصف

(١) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٢) سورة يوسف - الآية ٢٤ .

(٣) ذكره الحافظ بن أبي الدنيا في كتاب نذم الدنيا ، عن فضيل والترمذي في الدر. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معضلاً من حديث الفضيل. انتهى.

الوحي، القرآن المكي، والقرآن المكي في الدعوة.

• فإذا تركت الدعوة ، تصبح قراءة القرآن للتبرك .. ما نقرأ آية الوضوء بس فقط للتبرك ، لكن نقرأها ، ونجودها ، ونتبرك بها ، ونطبقها .

• يقرأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) ثم يأتي في نهار رمضان بالطعام ثم يأكل وهو يقرأ الآية !!! فنقول له : يا حبيبي ، هذا ما يصح ؟

فخطأ من يقرأ آيات العبادات ولا يطبقها ، أما من يقرأ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) . ولا يطبق ، فنقول: ما شاء الله هذا قارئ عظيم !!! الله يفتح عليك !!! ولا نخطأ من يقرأ آيات الدعوة ولا يطبقها.

• إذا من جهالة الأمة، أنها أعطت نفسها الحق في أن تقرأ آيات الدعوة بدون تطبيق.

• إذا قرئ القارئ : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ } أعظم مشهد في الحياة الإيمانية عند إبراهيم ، إذ تحرك لغيره .. وجاءت عنده الحرقه .. كيف يعصي الله ؟ ، ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾^(٤) . تلتف لأبيه: { يَا أَبَتِ } كلمة مملوءة بالحنان والعطف، ولو يقل له : يا كافر كيف تعصى الذي خلقك ؟

• لذا نخرج نتجول في الشارع، وفي النوادي والمقاهي، ونقول: يا أخي تعال معنا إلى المسجد، يا أخي فلاحنا ونجاحنا في هذا الدين .. الله ﷻ خلقنا من أجل أن نعبد،

(١) سورة البقرة - الآية ١٨٣ .

(٢) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٣) سورة القصص - الآية ٨٧ .

(٤) سورة مريم - الآية ٤٢ .

ونعبده لأنه صاحب النعم...الخ.

- إذا قرئ القارئ: { يَا أَبَتِ } وجودها مثل القارئ عبد الباسط، إذا فسرهما مع دقائق التفسير، وجاء بصرفها ونحوها، الله أكبر ! شعراوي زمانه !!! ولكن إذا خرج ٣ أيام يُطبقها ، مثل ما مشى إبراهيم عليه السلام لأبيه .
- فإذا اشتغلت بتطبيقها ٣ أيام ، يقولون عليك: درويش كبير .
- صيام الأنبياء نُسخ .. تصوم علي نهج نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .
- صلاة الأنبياء نُسخت .. تُصلي علي نهج نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .
- ولكن لا تتجول علي طريقة نبيك وحده، بل علي طريقة ١٢٤ ألف نبي ورسول ، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدَهُ ﴾ (١) وممنوع أن تهتدي بهداهم في التيمم والوضوء والصلاة والصوم وغيرها من العبادات.
- وعلم الدعوة هو علم الإيمان.
- وجهد الدعوة هو جهد الهداية والإيمان.
- يقوى الجهد بقوة الإيمان .. ويضعف الجهد بضعف الإيمان .
- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) وبقوة المجاهدة تأتي قوة الهداية .. وبضعف المجاهدة تضعف الهداية .. وبانعدام المجاهدة ينعدم الإيمان .
- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . (٣) علي الأقل القلب يتغير وقلق ويحزن .

(١) سورة الأنعام - الآية ٩٠ .

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٦٩ .

(٣) رياض الصالحين - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• وصلنا إلي حد يري الإنسان المرأة المتبرجة ، ويرى الفسق وقلبه ينشرح ، ما يتغير قلبه ولا يحزن .

• لكن لو رأي البول والغائط علي فراشه ، تتهيج مشاعره ويغضب ويتقزز ، لكن في بيته الغيبة والنميمة ، يتعطر بها ، ليس في قلبه إنكار .

• اذا ما قلبك تغير ، علي الأقل ينكر ، فماذا بقي في قلبك من الإيمان ، فعن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان ، حبة خردل " ، قال أبو رافع : فحدثته عبد الله بن عمر ، فأنكره علي ، فقدم ابن مسعود ، فنزل بقناة ، فاستتبعتني إليه عبد الله بن عمر يعوده ، فانطلقت معه ، فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث ، حدثنيهِ كما حدثته ابن عمر ، قال صالح : وقد تحدث بنحو ذلك ، عن أبي رافع وحدثنيهِ أبو بكر بن إسحاق بن محمد ، أخبرنا ابن أبي مریم ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، قال : أخبرني الحارث بن الفضيل الخطمي ، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبي رافع ، مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " ما كان من نبي ، إلا وقد كان له حواريون ، يهتدون بهديه ، ويسنون بسنته " ، مثل حديث صالح ، ولم يذكر قديم ابن مسعود ، واجتماع ابن عمر معه . (١) رواه مسلم .

• نسمع آيات الوعيد مرارا وتكرارا ، حتى قلوبنا تستنكر المعصية .

(١) صحيح مسلم « كتاب الإيمان » باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان _ رقم الحديث (٧٤).

- ونسمع آيات الوعد مراراً وتكراراً ، حتى قلوبنا تستبشر وتفرح وتشتاق إلي ما عند الله تعالى فتقبل علي طاعته ومحبته والدعوة إليه .
- ثلاث عشر سنة في مكة والقرآن يفصل لك الجهد الذي يكسبك الإيمان بالله تعالى.. وأجمل علم الأحكام .. كيف نحصل الإيمان مفصل في القرآن .. فقه الدعوة مفصل .. فقه الصلاة مُجمل .. مع أن أعظم عبادة الصلاة أمرنا الله بها أمراً مجملاً: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (١) .
- لو تقرأ القرآن مع التدبر والفهم، ألف مرة، لا تستطيع أن تعرف كيف نُصلي الفجر ، ولا كيف نُصلي الظهر.
- الصلاة عبادة مهمة وأين تفاصيلها ؟ قال: اذهب إلي المصدر الثاني (السنة النبوية المشرفة) .. لكن المصدر الأول (القرآن الكريم) لأهم قضية في حياتك .. ما أشرح لك كيف نُصلي فيه.. لكن لتفهم فيه جهد الأنبياء ، حتى تستلم نيابة النبوة .
- جهد الدعوة مفصل، كيف أثر علي إنسان في ظلمة المعصية ؟ يفصل لك كيف تبش فوجهه، تُعطيه الهدية، كيف تقوم الليل تدعو له؟ كيف تصبر ؟ كل ذلك فصله في القرآن .
- كيف أركع ؟ فقه مجمل لأنه فقه عبادة .
- كيف أركع ؟ فقه مفصل لأنه فقه دعوة .
- قوله تعالى : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } فقه مجمل .
- وقوله تعالى: (وآتوا الزكاة) مجمل ،كيف نصاب زكاة البقر ، فقه مجمل ،

والمببت بمنى ركن ولا واجب.

والمجمل ، كيف نفهمه ؟

نستعين بالعلماء أصحاب المذاهب الفقهية، لأن العالم يستطيع أن يشرح هذا المجمل ويفصله .. وأي مذهب المالكي أو الشافعي أو الحنفي أو الحنبلي .. وفي المذاهب الفقهية في المسألة الواحدة رأي ورأين وثلاثة وأربعة، وأكثر من ذلك، ولا يضرنا اختلاف العلماء لكن إنسان في الظلمة، سنوات ما دخل المسجد ، طيلة حياته ما صلى لله ركعتين ، كيف نخرجه من ظلمة المعصية ؟ كيف نخرجه من ظلمة الخمارة ؟ كيف نخرجه من ظلمة الغفلة ، ونأتي به إلى رحاب الدعوة ؟ قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) كيف تخرج الناس من الظلمات ؟ تستخدم أي مذهب ، المالكي أو الشافعي ؟ ممنوع الالتفات إلى المذاهب ، لماذا ؟ لأن ربنا ﷻ من فوق عرشه تولى بنفسه تبيان تفاصيل العملية التي تُخرج بها أخاك من الظلمة ، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرِّسَالِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَبَلِّغْ لَهُم بَلَاغُ النَّاسِ قَوْمٌ فَاسِقُونَ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة المعارج - الآية ٥ .

(٣) سورة المزمل - الآية ١٠ .

(٤) سورة الأحقاف - الآية ٣٥ .

(٥) سورة هود - الآية ٤٢ .

(٦) سورة مريم - الآية ٨٧ .

الْجَمِيلَ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) انظر إلي أخلاق إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مَّنيبٌ﴾ (٥) انظر في سورة يوسف، وكيف صبره وتفكره لهداية إخوته ، سنين!!!

• القرآن ينزل ، أكثر من نصف القرآن يبين لك هذا الفقه ، ويسمي هذا الفقه بالفقه الأكبر ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٦).

• قوله تعالى: { لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } ثمرة الفقه أن يهلكك للدعوة { وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ } يقولون هذا مفتي كبير، تصير مفتي كبير تبطل تشتغل بالدعوة !!! ، لا تصير كبير حتى تشتغل بالدعوة .

• كل الأمة فقهاء دعوة ، يقول ابن تيمية (رحمه الله) : فقهاء الفتوي عشرين صحابي ونيف .. يعني حوالي ٢٥ صحابي .. العبادلة: عبد الله بن مسعود ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمرو، عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن عمر.

• لكن ربعي بن عامر ما اشتغل بالفتوى، ولكن قال قولته العظيمة أمام رستم قائد الفرس: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلي عبادة الله ، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا والآخرة ، وأرسلنا بدينه إلي خلقه لندعوهم إلي الله ... الخ .

(١) سورة الحجر _ الآية ٨٥ .

(٢) سورة طه - الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٤) سورة الشعراء - الآية ١٣٥ .

(٥) سورة هود - الآيتان ٧٤ ، ٧٥ .

(٦) سورة التوبة - الآية ١٢٢ .

- ما في صحابي يقول: يا رسول الله أنا ما أعرف أن أدعو زوجتي، أنا ما أستطيع أن أزور جاري وأدعوه إلي الله.
- جهد الدعوة جهد الأمة .. والفقهاء في هذا الجهد فقه الأمة.. والتبصر بهذا الجهد بصائر للأمة جميعا .
- وفقه الفتوى فقه خاص.
- قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) ومن يتبصر يا رسول الله ! ويدعو؟ : { أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } .
- نوعين من الفقيه : _____ :

(١) فقه الفتوى : حتى تتعلم هذا الفقه لا تجلس مع الأحباب ، بل اذهب إلي العلماء وتعلم منهم.

(٢) فقه الدعوة : لو تريد أن تتعلم فقه الدعوة لا تسأل عالم جالس في بيته ، فلو أتينا بأكبر شخصية علمية وأقل شخصية علمية عندنا أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وما يحفظ القرآن ، فقط عنده قصار السور مع الفاتحة ، لكن أخذ دورة تدريبية في فقه الدعوة إلي الله لمدة أربع شهور ، وقلنا لهم عندنا مشروع دعوي ، ووجهنا الكلام أولاً لأكبر شخصية علمية ، يا شيخ : عندنا شباب في الخمار ، ما صلوا ولا ركعة واحدة لله ، فعلمني بموجب العلم الشرعي والفقه الذي تعلمته ، حتى نخرجهم من الظلمة ، فجزاه الله خيراً ذهب معنا ، وعندما دخل الخمار ، ووجد المسلم يشرب الخمر ، فأخذ يخطب ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) يا شيخ ! هذا ليس مكان المنبر.. عنده فقه الفتوى وما عنده فقه الدعوة.. وأخونا الذي ما عنده إلا

(١) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٢) سورة المائدة - الآية ٩٠ .

الفاتحة وما يعرف يكتب اسمه، لكن خرج أربع شهور أخذ دورة تدريبية في الدعوة إلى الله: أنه في الدعوة لا يذكر حلال ولا حرام ، ولا يذكر الأحكام ، ويتلطف مع المدعو .. أولاً تعريف اسمي فلان، ما اسمك ؟ محمد .. ما شاء الله ! علي اسم النبي ، من أي البلاد أنت ؟ أنا مسرور بلقائك ، ويبتسم في وجهه ، ويقبل رأسه ، ثم يقول يا أخي أنت غذاؤك عندي ، ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (١) تعرف تأليف ، أيه رأيك لو تأتي مع المسجد ؟ وبطرق أو آخر أتى به إلى المسجد ، ثم جلس معه المشايخ جلسة إيمانية، ثم رغبوه في أن يمكث معهم لمدة ثلاثة أيام ، وفي أثناء الثلاثة أيام تغير حاله وازداد إيمانه، ثم رجع بنية التفكير لغيره، ثم نوى الاستقامة علي جهد الدعوة إلى الله تعالى.. فهذا الذي يسمى فقيه في الدعوة إلى الله الذي استطاع أن يجلب غيره لبيئة الإيمان.

• فقه: { خذ العفو }، فقه: { ادفع بالتي هي أحسن }، فقه: { قم الليل }، حتى يدعو لأخيه، فقه: لا تشمت بأخيك ، فيعافيه الله وبيبتليك ، فقه : حسن الظن بالمخلوق ، مش مخلوق شارب خمر أتركه .

• ليس رسالة الطبيب تحقير المريض، بل رسالة المريض يبعث أمل الشفاء في نفس المريض ، ويتبسم في وجهه.. في الخمر وارتكاب الفواحش لكن يقول له : أنت رجل مسلم ربنا يحبك جعلك من أمة النبي ﷺ .

• أول فقه في الإسلام: فقه الدعوة إلى الله ، فرغ الله لهذا الفقه أبدان الصحابة ثلاث عشر سنة.. الكعبة أمامه في مكة ولكن لا يحج ولا يعتمر، فرغ أجسامهم لهذا الجهد.. وفرغ عقولهم لهذا الجهد.. وفرغ ألسنتهم لتلاوة آيات الجهد .. تخرج في سبيل الله في النهار تقوم بجهد إبراهيم عليه السلام وجهد الأنبياء عليهم السلام .. وفي الليل تقرأ: والمطلقات، لك الحق .. لك الحق تقرأ سورة الطلاق، ولكن الداعية في مكة إذا قام

يُصلي ما في آيات في الطلاق ، ولا آيات في الربا، في النهار جهد إبراهيم، وفي الليل {وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} {وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى}، قرآن دعوة ، فكر دعوة ، فتأصل علم الإيمان ، تأصل جهد الإيمان.

- فقه الدعوة أساس هذا الدين ، الفكر الدعوي أساس هذا الدين .
- مثال الأمة مع هذا الجهد : مثال البناء مع الأساس ، مثل : رجل يريد أن يبني عمارة تتألف من عشرين دور ، ومعه ولكن ليس عنده فكرة عن فن العمارة والبناء ، فأتى بالمهندس ، فالمهندس قال له: أريد أنبهك علي أنني سأظل أقيم الأساس في مدة تقرب من سبع شهور ، ونحتاج فيها مال كثير ، قال: ما هو الأساس؟ حتى يكون الأساس متين فنضع فرشاة حديد في الأرض مع أسمنت مع رمل مع زلط ، وكل ذلك يكون مخفي في الأرض ، ثم نقيم القواعد ثم الأعمدة ، وهذا الأساس يتحمل ما يأتي عليه من أدوار ، ثم نقيم البناء حجر علي حجر ، وبعد أنقيم العمارة ثم رأينا أن نغير شبك ، باب ، فلا بأس ، أما الأساس ممنوع يتحرك من مكانه .. كذلك ١٣ سنة والقرآن يأسس العواطف الدعوية في قلوب المؤمنين ، هذا هو الأساس . ولكن ناسخ منسوخ ، ممكن { خذِ الْعَفْوَ } هي الأساس ثم يأتي حال يتطلب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴾^(١) ولكن لا ننسى الأساس فمثلا قاتلت رجلا في المعركة ، ثم قطع يدك اليمنى أو اليسرى، ثم بعدها ، قال : لا إله إلا الله ، فلا تعتدي عليه ، بل تفرح به وبإسلامه ، ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) يعني لا تنسى الأساس { خذِ الْعَفْوَ }، تغلظ عليه ، فلا بأس ، ولكن مثل الأب ، والابن لو حمل العصا ، يحملها بعواطف الأبوة ، فنحمل عصا الدعوة بعواطف حب الهداية لنا وللناس ، بحب

(١) سورة التوبة - الآية ٧٣ ، وسورة التحريم - الآية ٩ .

(٢) سورة التوبة - الآية ١١ .

الإيمان لنا وللناس ، بحب الخير للناس ، حب أن تدخل الجنة وتدخل غيرك الجنة .

• القرآن ثلاث عشر سنة يأسس حب الهداية للناس.

• لما ذهبت العواطف صار بنيان لا أساس له.. كل من خرج في سبيل الله ، أصبح عنده فقه من فقه الدعوة إلي الله .. والذي ما خرج وجلس، يا ليتته لما جلس ، سكت ويكون عنده الأدب ، يا ليتته جاهل فقط ، بل جاهل ويشوش ، أين الدليل ؟ لا يدري ولا يدري أنه لا يدري.

• أيها الأحبة هذا فقه الأمة، هذا جهد الأمة، هذا جهد الأنبياء، هذا العلم الذي نتفرغ له، ونجتمع عليه، ومع ذلك نحترم علماؤنا، ونجلهم، ونسألهم المسائل الفقهية، حتى ولو كانوا مخالفين لنا، فلولا العلماء لعبدنا الله علي جهل.



الفرق

بين جهد التعليم وجهد الدعوة

- في جهد التعليم يجوز للمفضول أن يُعلم الأفضل ، فموسي تعلم من الخضر مع أن مقام الداعي أفضل .
- التعليم : جهد نبوي .. الدعوة : جهد نبوي .
- رسول الله معلما (وهو خير من علم) : معلما مع أصحابه ، مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي هريرة رضي الله عنهم ، ينور عقولهم .
- رسول الله داعيا (وهو خير من دعا إلي الله) : داعية مع أبي جهل وأمثاله .
- الدعوة : علي غير الراغبين ، تقول للمدعو : جنة عرضها السماوات والأرض ، يقول لك : خليها لك ما أريدها .
- التعليم : علي الراغبين .
- أين ميدان الداعية ؟
- ميدانه علي العصاة والمذنبين ، ناس في ظلمة وأنت تريد أن تخرجهم منها ، أهل الخبائث ، هل يصلحون أن يكونوا طلبة علم ؟ !!! .
- أين ميدان موسي عليه السلام داعية ؟ ميدانه : { اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ } فهل يصلح فرعون أن يكون متعلما ؟! . فهل يقول الله عز وجل يقول للداعي اذهب إلي القوم الطيبين ؟ !!! . لا ، فقد قال الله عز وجل لموسي عليه السلام : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ اأَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

- فالدعوة في الأصل علي غير الراغبين { لتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } تخرجهم من ظلمة الكفر أو ظلمة المعصية .
- أرسل معظم بني إسرائيل ، علي المسلمين العصاة من قومهم .
- دعوة سيدنا يوسف عليه السلام لإخوته، وهم ليسوا كفار، مسلمين عندهم ظلمة الحسد، ليخرج هذه الظلمة من قلوبهم.
- وكان قوم موسى عليه السلام مسلمين ، يقولون لا إله إلا الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١)
- إسرائيلي يُصلي ، وإسرائيلي لا يُصلي .. فما قال لهم أسلموا لأنهم مسلمين ، وما قال لهم آمنوا ، لأنهم مؤمنين ، لكن ضعاف الإيمان ، فقال لهم : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢). فقط أمرهم ، بما أمره الله بأن يغيروا حياتهم .
- فجهد الدعوة علي كافر حتى يُسلم، أو علي عاصٍ حتى يُقلع عن معصيته.
- فالتعليم: علي الراغبين، لتخرجهم من الظلمات، أي تخرجهم من بيئة الغفلة إلي بيئة الطاعة، بيئة المسجد، فإن لم تجعل له بيئة، فربما يرجع إلي ما كان عليه.
- رسول الله معلما: يجلس في مجلسه، ما يُحرك قدمه ويمشي للأسواق، يجلس والصحابة يأتون إليه.
- أما رسول الله داعيا : يذهبُ إلي الطائف.. ولو أن أهل الطائف طيبون لأتوا إليه ، ليتعلموا الدين .

(١) سورة إبراهيم - الآية ٥ .

(٢) سورة يونس - الآية ٨٧ .

- تحرك قدمك وتمشي للذي في الظلمة، لأن هذا العاصي لا يحب أن يراك، ولا يحب أن يأتيك، فتذهب أنت إليه.
- أول كلمة في أي قصة دعوية، تخاطب رجلك (اذهب) .
- أول كلمة في قصة صاحب يس، وجاء .
- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) . ائت (دليل الحركة) .
- حجة الله ﷻ علي الذي يموت في الظلمة غافلاً: رجل ذهب إليه، قال تعالى : ﴿كَلِمًا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (٢) .
- المقصد: أن تلتقي بالناس، تتكلم مع الناس، تجتهد علي الناس.
- الوسيلة: أخرج للناس ، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .
- أخرجت : وسيلة .. تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر: مقصد .
- فقدمت الوسيلة علي المقصد.
- مثال لتوضيح أهمية الوسيلة : السفر ليس من أركان ولا واجبات الحج ، ولكن واجبات الحج الطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، وكذلك السفر ليس من واجبات الحج ولكن حتى نتمكن من الحج.. وكذلك السفر ليس أمر من أمور الدعوة ، الدعوة : قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) سورة الشعراء - الآية ١٠ .

(٢) سورة الملك - الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

- الْجَاهِلِينَ» (١) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢).
- كذلك السفر والحركة ليست من واجبات الدعوة .. لكن المقصد ، اعف عنه ، احلم عليه رغبه ، اقبل منه ما استعد أن يقوم به ، ولكن قبل ذلك اذهب إليه .
 - وسيلة الداعي: حركة القدم.. ووسيلة العلم : تحرك القلم .
 - في الجامعات تحرك أقلامنا، نكتب، ونكتب.. نقرأ ونقرأ .
 - لا يكون داعية حتى يتحرك في الدعوة .
 - في التعليم العزة عند المعلم، يذهب إليه الطالب، ويقول علمني .
 - وفي الدعوة: الداعي هو الذي يذهب إلى الناس، ويتذلل إليهم حتى تقبل منه دعوته .
 - في التعليم : يحسن الطالب الطلب، ويتودد إلى أستاذه ، يا أستاذي علمني .
 - أما في الدعوة: الداعي لا يقول للمدعو تعال اسمع جنتك من مكان بعيد، بل يتودد للمدعو يا أخي ! يا حبيبي ! ويتذلل إليه حتى يقبل.
 - العلم يؤتى (المتعلم طالب وراغب) .
 - الداعي يذهب إلى أخيه، ففي الدعوة أنت أيها الداعي طالب والمدعو هو المطلوب.
 - ما في أحوال مخالفه عند المعلم ، فكل الطلاب يحترمونه.. فرسول الله ﷺ معلما لا يوضع علي رأسه سلي الجذور في التعليم .. بل يجلسون حوله ﷺ وكان علي رؤوسهم الطير ، احتراماً وتوقيراً.
 - ولكن كيف الأحوال وهو يدعو :

(١) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

قال تعالى : ﴿ أَعْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْكَ إِذٍ يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذٍ يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (٥).
 أَلِهَتِكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٧).

- فالداعي يمر بأحوال عددها، وأنواعها لا تنحصر ، يُجادل، يُشتم ، يُضرب ، يهان ، يُستهزأ به، يؤذي بكل أنواع الأذى، ومع كل الأحوال يلتزم بالصبر والسلوك الطيب، حتى تتم له التربية (٨).

(١) سورة القمر - الآية ٢٥ .

(٢) سورة الدخان - الآية ١٤ .

(٣) سورة الحجر - الآية ٦ .

(٤) سورة الزخرف - الآية ٤٩ .

(٥) سورة الفرقان - الآية ٤١ .

(٦) سورة الأنبياء - الآية ٣٦ .

(٧) سورة غافر - الآية ٥ .

(٨) وقد حدث هذا أمامي بالفعل ، فكننا خارجين في سبيل الله في إحدى قري ميث غمر (أتميدة) ، وبعد صلاة العصر تحركنا للزيارات، وكان دليلي الشيخ / صلاح زايد (رحمه الله) ، فمررنا بأحد

- تستطيع أن تكون معلما مع عزة نفس.. وتستطيع أن تكون مفتيا مع عزة نفس ..
وتستطيع أن تكون قاضيا مع عزة نفس.. ولكن لا تستطيع أن تكون داعية إلا
بإذلال نفسك.. فرسول الله ﷺ يوضع علي رأسه سلي الجزور في ميدان الدعوة
إلي الله، ويضرب ويشتم ، ويضرب أصحابه أمامه.
- لهذا في التعليم يحتاج الطالب إلي الهدايا حتى يثبت ، لأن في تحصيل العلم يجلس
سنوات يتعلم ، فلا بد من هدايات الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ، حيث أمره بالصبر..
وكذلك علي المتعلم أن لا ينظر إلي عيوب معلمه، وأن يحترمه ويجله.
- وفي الدعوة يحتاج الداعي إلي الله ، إلي الهدايا حتى يثبت ، حتى ولو كان .
- سيد الخلق ﷺ يحتاج إلي الهدايا:
- قال تعالى: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١).

المزارعين ، وهو يسقي ماشيته (الجاموسة) من حوض الطلمبة ، وكان بينه وبين الرجل صلة
قراية ، كما أخبرني ، فقال له الشيخ / صلاح : أخونا محمد سيكلمك في كلام الخير والإيمان ، فقام
الرجل بصفعه علي وجهه صفة كادت تطير رأسه منها ، ثم قال : أنت يا ولد ! هتعرفني الدين يا
جاهل ؟ ، أنا عالم ، يا ابن كذا وكذا وانها عليه بالشتائم ، وما كان من أخي صلاح إلا أن سكت
فأخذته وذهبت به إلي داخل حقل من الحقول وجلسنا في قناة هذا الحقل ، وأخذتُ أتكلم معه لأطيب
خاطره ، وأقول له النبي ﷺ فعل معه كذا وكذا وألقي علي رأسه فرث الجذور ، وقيل له ساحر
ومجنون وكذاب وكاهن ، وضرب وشتم ، وأنت الآن تحصلت علي مقام من مقامات النبوة ، فوجدته
منشرح ، وكأنه لم يُصبه أي أذي ، ثم قمنا وتحركنا ، ثم مررنا علي الرجل ، فو الله ! ما استطعت
أن ألقى عليه السلام ، ولكنني فُجئت بأخي صلاح يقول بأعلى صوته : السلام عليكم .

ولقد أخبرني الشيخ / رضا الطماوي أن الشيخ صلاح جاء لحضور الشورى يوما ، فمال عليّ
الشيخ مسعد خليل وقال : هؤلاء أولياء الله الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا .. ()
رحمه الله رحمة واسعة .

أخي الحبيب يُعجبني قول الدكتور / محمد العريفي: ضع بصمتك .. فأين بصمتي وبصمتك أيها
الحبيب في هذا الجهد الطيب المبارك.
(١) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

وقال تعالى: ﴿ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرِّسَالِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَعَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

يَمْكُرُونَ ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي

هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧).

– فلا تستمر في الدعوة حتى تأخذ الهدايا فتذهب من حين لآخر إلي مركز الدعوة لتأخذ الهدايا، هدايات للخارجين، هدايات للعائدين، هدايات للقدمات، هدايات للجدد، هدايات لأهل الخدمة، هدايات لأهل النصر، تذهب إلي الهند إلي الباكستان لتتعلم أصول الدعوة إلي الله ممن سبقوك في الجهد .

(١) سورة الحجر - الآية ٨٥ .

(٢) سورة المعارج - الآية ٥ .

(٣) سورة المزمل - الآية ١٠ .

(٤) سورة الأحقاف - الآية ٣٥ .

(٥) سورة الحجر - الآية ٨٨ .

(٦) سورة النحل - الآية ١٢٧ .

(٧) سورة هود - الآية ١٢٠ .

- فإذا استغيت عن الهدايات، ومشيت لوحيدك، يصدك الشيطان، وينحيك عن الطريق، ويجعلك تضجر، وتترك الدعوة .. يا لله ! ثبتنا علي الجهد .
- والقرآن مليء بالهدايات، اقرأ سورة يوسف ، اقرأ قصة سيدنا موسى .
- الطالب يسمع هدايات من المعلم: كما سمع سيدنا موسى عليه السلام من معلمه الخضر عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (١).
- جهد المعلم علي عقل الطالب ليثريه بالمعلومات.. أحكام الطهارة، أحكام الوضوء.
- جهد الداعي علي قلب المدعو، يكرمه، يشوقه، يحلم عليه، يتودد إليه، يقوم الليل يدعو له . . حتى القلب يتحول مشاعره من الدنيا إلي الآخرة من المخلوق إلي الخالق ، من الأشياء والأسباب إلي الأعمال .
- لكن في جهد المعلم، عندما يُعلمني: كيف أتوضأ هل أضعها في قلبي ؟ كيف أحج، هل أضعها في قلبي ؟ يقول: هذه الكلمة محلها في الإعراب فاعل مرفوع بالضمّة، هل أضعها في قلبي ؟ كل هذه المعلومات محلها العقل.
- متي ينجح المعلم وتكون شخصيته قوية ؟ تقول: يا طالب، كيف حال أستاذك ؟ فيقول ما شاء الله عليه، يُعلمنا اللغة العربية، يُعلمنا النحو والصرف، يُعلمنا الفقه، يُعلمنا التفسير.. ولكن لو قلت له: يا طالب، كيف حال أستاذك في الإكرام ؟ كيف حال أستاذك في قيام الليل ؟ قال: ليس لي علاقة بكرمه ، ولا قيامه .
- قوة المعلم بقوة المعلومات ولو كنت بخيل تنجح في التعليم ، لكن لا تستطيع أن تؤثر علي قلبه إلا بقوة الصفات .

- وقوة الداعي حتى يؤثر في المدعو ، بقوة صفاته لا بقوة معلوماته ، المدعو ينظر كم عنه من الكرم ؟ كم عنده من الحلم ؟ ، كم عنده من الرحمة عليه ؟ كم عنده من الصفح ؟ كم عنده من الخوف عليه ؟ كم عنده من حب الخير له ؟ كم عنده من الهمم والشفقة عليه .
- ما تعطيك قصة الداعي المعلومات، بل تعطيك الصفات .. فقصة إبراهيم عليه السلام تُبرز لك حلم إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (١) .، وقصة أيوب عليه السلام تُبرز لك، صبره ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٢) .
- قوة المعلم بقوة المعلومات ولو كنت بخيل تنجح في التعليم ، لكن لا تستطيع أن تؤثر علي قلبه إلا بقوة الصفات .
- مُعلم ما عنده معلومات، مُعلم لغة عربية، ولكن ما يعرف الفاعل من المفعول به ، ولكن كل يوم يقدم للطلاب الطعام والدجاج ويكرمهم ، الطلاب يقولون يا أستاذ ما جننا لناكل دجاج ، جننا لنتعلم .



(١) سورة هود - الآية ٧٥ .

(٢) سورة ص - الآية ٤٤ .

تعظيم الخالق

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٥) .

(١) سورة الملك - الآية.

(٢) سورة الفرقان - الآيتان ١ ، ٢ .

(٣) سورة الزخرف - الآية ٨٥ .

(٤) سورة الشورى - الآية ٤٩ .

(٥) سورة الحديد - الآيات من ٢ : ٦ .

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) .

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٤) .

كل هذه الآيات معناها واحد تبين أن هذا الكون ملك لله وبيد الله .. والله يكرر هذه الآيات ليزداد عندنا الإيمان.

نذكر الناس بكبرياء الله وعظمته وآثار قدرته ونعمه حتى يحبونه ويعظمونه.

المشاهدات في معركة مع الغيبيات:

(١) سورة الجاثية - الآية ٢٧ .

(٢) سورة النجم - الآية ٣١ .

(٣) سورة الأنعام - الآيات من ١٢ : ١٥ .

(٤) سورة إبراهيم - الآيتان ٤ ، ٥ .

لا يكون الرجل وطنيا حتى يسمع الأناشيد الوطنية مرة بعد أخرى ، حتى يأتي عنده الحماسة والشجاعة، فكذلك إذا أراد الإنسان أن يكون مؤمنا لا بد أن يكرر آيات الإيمان، كما مر في الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته.

توحد وتكبر وتعظم ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾^(١) حتى تهدم من قلبك ما تراه عينك، فالمشاهدات في معركة مع الغيبيات، لأن الأشياء الحسية مثل العين هي مصدر الفتن فجاء الأنبياء عليهم السلام ليهدموا جميع الأشياء المشاهدة من القلب، فنبى من الأنبياء {هود عليه السلام} مهاجم المباني: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أُوَعِّظْتُمْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

ونبي آخر {صالح عليه السلام} لما وجد قومه في مزارعهم وحدائقهم مطمئنين آمنين فرحين قال لهم، كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

(١) سورة المدثر _ الآية ٣.

(٢) سورة الشعراء _ الآيات من ١٢٣ : ١٤٠.

يُصَلِّحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ .

ونبي آخر أرسله الله إلى قوم سبأ ليدعوهم إلى توحيد الله وشكر نعمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَدْدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْتَمَ مِنْ يَوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢﴾ .

يقول ابن كثير في البداية والنهاية :

عن ابن عباس ، يقول: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبَأٍ، مَا هُوَ أَرْجُلٌ أَمْ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ؟ فَقَالَ: " بَلْ هُوَ رَجُلٌ وَكَأَنَّ عَشْرَةَ ، فَسَكَنَ الْيَمَنَ مِنْهُمْ

(١) سورة الشعراء _ الآيات من ١٤١ : ١٥٩ .

(٢) سورة سبأ _ الآيات من ١٥ : ٢١ .

سِتَّةً، وَبِالشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ ، فَأَمَّا الْيَمَانِيُّونَ : فَمَذْحَجٌ وَكِنْدَةُ وَالْأَزْدُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَأَنْمَارٌ وَحَمِيرٌ ، عَرَبَاءُ كُلِّهَا ، وَأَمَّا الشَّامِيَّةُ فَلَخْمٌ وَجَذَامٌ وَعَامِلَةٌ وَعَسَّانٌ " (١).

وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الغطيفي، هو السائل عن ذلك، كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك، والله الحمد.

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها، وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن، وأحدهم تُبَعٌ، وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم، كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك.

وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشحر وحضرموت تُبَعًا، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك مصر فرعون، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك الهند بطليموس.

وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس، وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام، وقد كانوا في غبطة عظيمة، وأرزاق دارة، وثمار وزروع كثيرة، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد، فلما بدلوا نعمة الله كفرًا أحلوا قومهم دار البوار.

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً. وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي، فالله أعلم.

والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال، وسجدوا للشمس من دون الله، وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً، واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ

(١) مسند أحمد بن حنبل « مسند العشرة المبشرين بالجنة ... » ومن مسند بني هاشم رقم الحديث (٢٧٨١)، والمستدرک علی الصحیحین - « کتاب التفسیر » تفسير سورة سبأ - رقم الحديث (٣٥١٥) ٢ / ٤٢٣.

جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكُلِ خَمَطٍ وَأَتَلِ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ
نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ { (١) .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم، أن سد مأرب كان صنعته أن المياه تجري من بين جبلين، فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جداً، حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة، وزرعوا الزروع الكثيرة.

ويقال: كان أول من بناه سبأ بن يعرب، وسلط إليه سبعين وادياً يفد إليه، وجعل له ثلاثين فريضة يخرج منها الماء، ومات ولم يكمل بناؤه، فكملة حمير بعده، وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ.

وكانوا في غبطة عظيمة، وعيش رغيد، وأيام طيبة، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها؛ فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته.

وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث، ولا الدواب المؤذية، لصحة هوائهم، وطيب فنائهم، كما قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } (٢).

فلما عبدوا غير الله، وبطروا نعمته، وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم، وطيب ما بينها من البساتين، وأمن الطرقات، سألوا أن يباعد بين أسفارهم، وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شراً، كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى: البقول، والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل، فسلبوا تلك النعمة

(١) سورة سبأ - الآيات ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة إبراهيم - الآية ٧ .

العظيمة، والحسنة العميمة، بتخريب البلاد، والشتات على وجوه العباد، كما قال تعالى:
 { فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ }

قال غير واحد: أرسل الله على أصل السد الفأر، وهو الجرذ، ويقال: الخلد، فلما
 فطنوا لذلك أرسدوا عندها السنانير، فلم تغن شيئاً، إذ قد حم القدر، ولم ينفع الحذر،
 كلا لا وزر، فلما تحكم في أصله الفساد، سقط وأنهار، فسلك الماء القرار، فقطعت تلك
 الجداول والأنهار، وانقطعت تلك الثمار، ومادت تلك الزروع والأشجار، وتبدلوا بعدها
 برديء الأشجار والأثمار، كما قال العزيز الجبار: { وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ
 خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ }.

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هو الأراك، وثمره البربر، وأثل وهو:
 الطرفاء، وقيل: يشبهه، وهو حطب لا ثمر له { وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ } وذلك لأنه لما
 كان يثمر النبق، كان قليلاً مع أنه ذو شوك كثير، وثمره بالنسبة إليه كما يقال في
 المثل: لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى.

ولهذا قال تعالى: { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ } أي: إنما
 نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا، وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك
 محارمنا.

وقال تعالى: { فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
 شَكُورٍ } وذلك أنهم لما هلكت أموالهم، وخربت بلادهم، احتاجوا أن يرتحلوا منها،
 وينتقلوا عنها، فتفرقوا في غور البلاد ونجدها، أيدي سبأ شذ رمذر.

فنزلت طوائف منهم الحجاز، ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة، وكان من أمرهم ما
 سنذكره، ومنهم المدينة المنورة اليوم، فكانوا أول من سكنها. ثم نزلت عندهم ثلاث
 قبائل من اليهود: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، فخالقوا الأوس والخزرج،
 وأقاموا عندهم، وكان من أمرهم ما سنذكره.

ونزلت طائفة أخرى منهم الشام، وهم الذين تنصروا فيما بعد، وهم: غسان، وعاملة، وبهراء، ولخم، وجذام، وتنوخ، وتغلب، وغيرهم، وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة، أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي.

قال ابن إسحاق: وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء، فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النقلة عن اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به.

فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده.

وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك، مجتازين يرتادون البلدان، فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجلاً، ففي ذلك قال عباس بن مرداس:

وعك بن عدنان الذين تلعبوا
بغسان حتى طردوا كل مطرد

قال: فارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلاد، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزل الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مرأ، ونزلت أزد السراة السراة، ونزلت أزد عمان عمان.

ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه، وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات.

وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهناً.

وقال غيره: كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة، فأخبرت بقرب هلاك بلادهم، وكأنهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلط على سدهم، ففعلوا ما فعلوا، والله أعلم.

وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة، فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١).

فكان كل نبي يركز على شيء في قلوب الناس، لأن كل شيء من دون الله طاغوت، فيقوم النبي بالدعوة إلى الله وتوجيه قلوب الناس إلى الله وهدم الطاغوت الذي في قلوبهم.

ولكن بالحكمة لأن القلوب غير مهيأة، وعلوم الغيب كلها غيبية فالقلوب تحتاج إلى تنظيف وتهياة: لا إله (تنظيف وتهياة وتخلية) إلا الله (تحلية).

علي الداعي ألا ينظر إلى أشياء الناس، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

(١) البداية والنهاية الجزء الثاني.

(٢) سورة التوبة - الآية ٥٥.

(٣) سورة التوبة - الآية ٨٥.

(٤) سورة طه - الآية ١٣١.

(٥) سورة الحجر - الآية ٨٨.

وقال تعالى: ﴿ لَا يَغْرُنَّكَ تَلْبُؤُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١) .

أول مرحلة من مراحل المعرفة بالله هي كلمات، قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

فأول الطريق لآدم مع ربه (التوبة) وهي أول عتبة لسعادته، علمه كلمات يدعو بها، وهذه الكلمات ممزوجة بالبكاء والتضرع إليه أربعين سنة.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

فأول درجة يسلكها العبد في الوصول إلى الله تعالى هي (المعرفة) .

المعرفة: هي إيمان بعلم بدهي، بأنك تعلم بأنك وما تملكه لا تساوي شيء ، وأن الله بيده كل شيء ، وأن تعرف أن قضية الدين هي قضيتك، خلقت من أجلها، قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤) .

النزعة الفردية:

النبي (القدوة) محمد ﷺ خرج يدعو الناس من أجل نفسه، لأن القضية قضيته،

فالله عز وجل قال له: يا محمد أعلن لماذا تدعو؟ ولماذا تجتهد؟ ولماذا تضحي؟

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (١) .

(١) سورة آل عمران _ الآيات من ١٩٦ : ١٩٨ .

(٢) سورة البقرة _ الآية ٣٧ .

(٣) سورة البقرة _ الآية ١٢٤ .

(٤) سورة فصلت _ الآية ٤٦ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٢) .

فالله عز وجل يخوف النبي محمد ﷺ كما يخوف بلال ؓ، فكان رسول الله ﷺ أخوف الناس وأعبد الناس وأتقى الناس وأكرم الناس وأحلم الناس وأعلم الناس، أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " متفق عليه (٣).

فالنبي ﷺ من باب الخوف والرجاء والشفقة على نفسه وعلى الخلق دعا إلى الله، ومع أن الأمة كلها دخلت في رحمة الله بسببه، فكذلك رحم ﷺ بهداية الأمة التي من أجلها قدم التضحيات.

وأبو بكر الصديق ؓ دعا الناس إلى الله، لأن القضية قضيته هو، فهو خرج ودعا الناس إلى الله من أجل نفسه أولاً ثم من أجل البشرية ثانياً.

(١) سورة الأنعام _ الآية ١٦ .

(٢) سورة الإسراء _ الآيتان ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) صحيح البخاري « كتاب النكاح » باب الترغيب في النكاح _ رقم الحديث (٤٧٧٦)، وصحيح مسلم كتاب النكاح ، باب من استطاع منكم الباءة فليتزوج رقم (١٤٠١)

أحيانا ينتفع الداعي فقط بدعوة الناس، ولا ينتفع المدعو حيث أنه لا يستجيب لدعوة الداعي، وهكذا تأتي المنفعة بالنزعة الفردية، حيث تشعر أنت أيها الداعي أنك أنت المحتاج.

فالطبيب لماذا يتعلم الطب؟ بالطبع ليكون طبيبا ويتحصل علي المنصب والراتب، فهو أراد أن ينتفع هو، ولكنه في الحقيقة سينفع الآخرين. فهكذا أنت تخرج داعيا الناس إلي الله من أجل نفسك أنت، وتشعر بالحقيقة أنك أنت المحتاج.

بسبب خوفك من الله تخرج إلي الناس، ومن باب رجاء ثواب الله تخرج إلي الناس لتدعوهم إلي الله، تستفيد وتُفيد.



اللَّهُ

خالق الأشياء والأحوال

قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

خالق الأشياء وخالق الأحوال، خالق كل شيء، خالق عزتك، وخالق ذلتك، خالق نصرتك، وخالق هزيمتك، خالق جنتك، وخالق نارك، خالق سعادتك، وخالق شقاوتك، خالق السعادة وخالق الشقاء.

وناصية المخلوق بيد خالقه: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣) المخلوق خلق من أجل أن يجند للخالق سبحانه وتعالى، لا يمكن أن تجند مخلوق لك، جلدك هذا يشهد من أجل الله لا من أجلك، إذا استشهده الله عليك شهيد، وإذا استنطقه نطق.. فأبي أرض تسعنا وأي سماء تفضلنا إن سخط الله علينا.

خالق كل شيء خالق الأشياء والأحوال من أجل أن يبيلونا بالأشياء والأحوال، يخلق الأحوال للابتلاء، ويوفقك للإيمان والأعمال ليسعدك، قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٤) وما قال: لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ حَالًا؟؟.

(١) سورة الأنعام _ الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الكهف _ الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الفتح _ الآية ٤ .

(٤) سورة الملك _ الآية ٢ .

الأحوال ظروف والمظروف الأعمال الصالحة، فلا يسعد الإنسان بأحواله ولا يشقى بأحواله.. خلق حال الغنى ليبتليك لا ليسعدك وخلق حال الفقر ليبتليك لا ليشقك، قال تعالى: ﴿ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١) نبلوكم بحال الشر في الدنيا وحال الخير.

فليست رسالتنا التجمل بالأحوال، وليس رسالتنا الترقى بالأحوال، والترقى بالعفش والكنبيات، ليس رسالتنا أن نتخلص من حال الفقر لأن فيه ذلّة ونتمتع بحال الغنى لأن فيه عزة، فما أعز قارون بغناه ولا أذلّ يوسف في سجنه وفقره.

يا أيها الأحبة لله سنن في هذه الدنيا يعطيك حال، ولكن من سنته يستحيل تثبيت الأحوال، يعطيك الصحة ثم تصاب بالمرض يعطيك الحياة ويستحيل تثبيت حال الحياة، بلحظة وإذا هو ميت (فلا فقرٌ يدوم ولا ثراءً).

فمن سنن الله في هذه الدنيا (تثبيت الأحوال محال) كما يقلب الليل والنهار يقلب الأحوال.. فقير وبساعة وإذا هو غني، غني وبلحظات وإذا هو فقير، صحيح وبلحظات وإذا هو مريض أصابته الجلطة ونقل إلى المستشفى، فليس رسالتنا تثبيت الأحوال، بل رسالتنا، كما قال تعالى: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢) تثبيت الاستقامة، تثبيت الأعمال، تثبيت قيام الليل، تثبيت كيف تعيش الحياة الدعوية وحتى يوم القيامة، تثبيت الكلام الطيب، تثبيت الفكر الطيب، رسالتنا مقصد حياتنا في كل حال في حال المرض نقول اهدنا لا نقول في حال المرض اشفنا، الشفاء حاجتنا والهداية مقصد حياتنا.. في حال الفقر لا نقول أغننا من الفقر بل اهدنا الصراط المستقيم.. وفي حال السجن لا نقول يا الله أطلق سراحنا بل اهدنا.

(١) سورة الأنبياء _ الآية ٣٥.

(٢) سورة الفاتحة _ الآية ٦.

فإنه سبحانه وتعالى جعل مقصد المسلم في كل حال طلب الهداية وطلب الرضا من الله ، يا الله كيف في كل حال ترضى عنا ، يا الله كيف في كل حال أتكلم الكلام الذي يرضيك ، وأعمل العمل الذي يرضيك ، فخلق الله الأحوال ومستحيل تثبيت الأحوال في الدنيا ، وخلق الأحوال في الآخرة لتثبت حال الشباب يثبت حال المذات يثبت وحال الحياة يثبت ما في موت، حال العز يثبت.

ما خلقتنا في هذه الدنيا حتى نعيش حال ونحافظ عليه (فلا فقر يدوم ولا ثراء) فتثبيت الأحوال محال ربح نفسك، فممكن الدنيا ترفعك لكن بعدها تنزلك وتكسر رأسك، لكن حال الرفعة في الجنة يدوم ترفعك وتظل مرفوع، ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (١) إذا الفرش مرفوعة، فكيف القصور؟؟ ما معنى الفرش مرفوعة؟؟ ليس بحسب عقلك مرفوعة، الذي قال مرفوعة ربنا العظيم، آلاف الأميال وتتظامن لك كما يتظامن البعير لصاحبه حتى يركبه، إذا الفرش مرفوعة كيف قصورها؟؟.

فتثبيت الأحوال في الدنيا محال.. هذه أول سنه والسنة الثانية: الترقى بالأحوال في الدنيا محال، فلما تنتقل من فقر إلى غنى لا تترقى عند الله، بل تترقى عند زوجتك

(١) سورة الواقعة_ الآية ٣٤ .

(فيها سر مرفوعة) أي عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له.
(وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) أي عالية وطيفة ناعمة.

روى النسائي وأبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) قال ارتفاعها ما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمس مئة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة. (تفسير ابن كثير)

تقبلك على جبينك أما عند الله ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ﴾ (١).

كيف يا رب أترقى وأتقرب إليك؟

قال تعالى: ﴿ إِيَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (٢) هات إيمان وأعمال ثم خذ درجات.

السنة الأولى تثبيت الأحوال محال والسنة الثانية الترقى بالأحوال محال.... فلا تترقى بجمال ملبوسك ولذيذ طعامك وعظيم مركبك فمثل ما قالوا: كلب ركبنا بالطائرة بالدرجة السياحية الأولى وجاءت المضيئة وشدت الحزام على بطنه وقدمت له اللحم وقالت يا سيدي هل يصبح سيد ولا يبقى كلب؟؟ بل يبقى كلب، فهذا الكلب لو احترمه الإنسان لا يترقى، والأسد إذا جاع يبقى أسد فالأسد بصفاته يترقى والكلب بصفاته والإنسان بصفاته، الكلب كلب بصفاته ليس بمأكله يأكل اللحم والأسد يأكل اللحم، والأسد أسد بصفاته، والمسلم مسلم بصفاته يترقى ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٣).

بسبب هذه الصفات الله أعطاهم الدرجات العالية في الجنة ليس الأكالون الشرابون الذين اشتروا السرور وغرف النوم.

ربنا من فوق عرشه يمجّد هذه الصفات ﴿ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ (٤) وبشر هؤلاء بالترقية وبشرهم بالمجد وبشرهم بمحبة الله لهم ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

(١) سورة سبأ_ الآية ٣٧ .

(٢) سورة سبأ_ الآية ٣٧ .

(٣) سورة التوبة_ الآية ١١٢ .

(٤) سورة التوبة_ الآية ١١٢ .

(٥) سورة التوبة_ الآية ١١٢ .

فمن قبل حصير وبنام عليها مثل الأسد له زئير، والآن غرف نوم وبنام عليها
 الأكالون الشرابون اللعابون اللاهون الغافلون عن دين الله.
 تثبيت الأحوال محال والترقي بالأحوال محال فلا يسعد الغني بغناه ولا يشقى
 الفقير بفقره.

فالنار فيها كل الأحوال فيها الملك الذي كان يعص الله، والمملوك الذي كان يعص
 الله، والأعمى الذي يعص الله، ليس الأعمى مسكين إذا كان يعص الله مجرم ليس
 مسكين والبصير الذي يعص الله والصحيح الذي يعص الله والمريض الذي يعص الله
 والمثلول الذي يعص الله.

والجنة فيها كل الأحوال: الملك الذي كان يطيع الله، والمملوك الذي يطيع الله،
 والأعمى الذي يطيعه، والبصير الذي يطيعه، والصحيح الذي يطيعه، والمريض الذي
 يطيعه ((فالأحوال للابتلاء والأعمال للنجاة)) كيف ننجو؟؟ ليس بالأحوال بل
 بالأعمال.

ليل ونهار تأخذ شهادات ودكتوراه وتوسع ففكر في الدنيا حتى البيت تبنيه،
 فأفكارنا تخدم كيف الترقى بالأحوال.. وعند الموت حالنا واحد قبرك مثل قبوري لا
 قبوري أكبر من قبرك! ولا قبرك أكبر من قبوري!.

وتبدأ الأحوال التي تثبت فالأحوال التي نترقى بها، أحوال القبر، أحوال الحشر،
 أحوال الجنة، فالذي تظله مظلة العرش والشمس يوم القيامة لا تحرقه يا الله ما
 أحسن حاله، والقاعد عند المكيف في الدنيا مبسوط إنما هذا الحال للابتلاء لا نحمده
 ولا نقبحه فلا نقبح الأحوال ولا نحمدها.

لكن ربنا حمد صفة ﴿ وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (١) بصرف النظر عن حاله لو نام على غرفة النوم وفيه هذه الصفة يدروون بالحسنة السيئة مرحباً به، ولو نام على حصير وما فيه هذه الصفة لا مرحباً به.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢).

أكل لحمة طرية وخشع في صلاته مرحباً به وأكل خبز يابس وما خشع في صلاته لا مرحباً به.. لا نقبح الأحوال ولا نحمدها، فالنبي ﷺ كان إذا وجد لحماً لا يقول لا آكل لحم بل يأكل، وإن وجدَ خلأً يأكل ويقول نعم الأدم الخل، كما في الحديث عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا : ما عندنا إلا خل فدعا به ، فجعل يأكل به ويقول : نعم الأدم الخل (رواه مسلم(٣)(٤) فنحمد الله على كل حال.

فإذا شكوت الأحوال شكوت ربك، وإذا شكوت الأعمال شكوت نفسك، عندما تقول ما هذا الحال؟؟ وكأنك تقول ما هذا الرب، لكن قول لماذا ديني ناقص، ما عندي

(١) سورة القصص _ الآية ٥٤ .

(٢) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢ .

(٣) صحيح مسلم « كتاب الأشربة » باب فضيلة الخل والتأدم به _ رقم الحديث (٢٠٥١).

(٤) في الحديث فضيلة الخل ، وأنه يسمى أدمًا ، وأنه أدمٌ فاضلٌ جيّدٌ . قال أهل اللغة : الأدم بكسر الهمزة ما يؤتدم به ، يقال : أدم الخبز يأدمه بكسر الدال ، وجمع الأدم بضم الهمزة والدال ، كإهاب وأهب ، وكتاب وكتب . والأدم بإسكان الدال مفردٌ كالإدام . وفيه استحباب الحديث على الأكل تأنيصًا للمأكلين . =

= وأما معنى الحديث فقال الخطابي والقاضي عياضٌ : معناه مدح الافتصار في المأكَلِ ومنع النفس من مآذٍ الأطمعة .

تقديره انتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ، ولما يعز وجوده ، ولما تتأنقوا في الشهوات ، فإنها مفسدة للدين ، مسفمة للبدن . هذا كلام الخطابي ومن تابعه . والصواب الذي ينبغي أن يجزم به أنه مدح للخل نفسه ، وأما الافتصار في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد آخر . والله أعلم (شرح مسلم للنووي).

خشوع في الصلاة، ما عندي ذكر ولا تلاوة قرآن ، الناس تخرج وأنا لا أستطيع الخروج، والناس يقوموا الليل وهم كبار في السن، وأنا شاب لا أستطيع القيام، يا الله أشكو لك عجزِي وكسلي: فقد روى الحاكم والبيهقي عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْغَفْلَةِ، وَالْعَيْلَةِ، وَالذَّلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكَفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالْفُسْـُوقِ، وَالشَّقَاقِ، وَالنَّفَاقِ، وَالسَّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ، وَالْبُحْمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَالْبَرَصِ، وَسَوْءِ الْأَسْقَامِ ". قال الألباني صحيح .

وورد بعض هذه الأدعية في عدة أحاديث في الصحيحين والسنن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لأبي طلحة : التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر ، فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم ، فكننت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل فكننت أسمعته كثيراً، يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ ، .. " (١) .

وعن أبي هريرة ، كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ " (٢). ليس من المرض.

(١) صحيح البخاري _ رقم الحديث (٢٦٩٣).

(٢) سنن أبي داود _ رقم الحديث: (١٣٢٣)، السنن الكبرى للنسائي _ رقم الحديث (٧٥٨٢) _ ٧٥٨٣ _ ٧٥٨٤) ، السنن الكبرى للبيهقي _ رقم الحديث (١٢١٦٨) ، السنن الصغرى للنسائي _ رقم الحديث (٥٣٩٦ _ ٥٣٩٧) ، سنن ابن ماجه _ رقم الحديث (٣٨٤٠) ، الأدب المفرد للبخاري _ رقم الحديث (٩٧٦)، صحيح ابن حبان _ رقم الحديث (١٠٤٣)، المستدرک علی الصحیحین (١٨٨٠) / ١ / ٥٣١، الدعاء للطبراني _ رقم الحديث (١٢٤٥)، الدعوات الكبير للبيهقي _ رقم الحديث (٢٨٥).

هكذا إذا شكونا الأعمال شكونا أنفسنا وظلمنا أنفسنا، لكن إذا شكوت الأحوال شكوت ربك وكأنك تقول ما هذا الرب، فما أحسنك عندما تشكو الأعمال، فعندها ربنا يأخذ بيدك ويغفر لك سوءها ويهديك إلى أحسنها.

أيها الأحبة هذا العصر عصر التفاني لتحقيق الدنيا فمن أجل البيت الجميل لا تحدد أربعين يوم شغل بل تسلّم نفسك للخليج عشرين سنة، ومن أجل تحسين أعمال تخرج ثلاث أيام بشق الأنفس، تُقترّر تَقْتِير على الترقى بالأعمال.

فكيف يأتي عندنا فكر الأنبياء، وهم الأنبياء، وأعمال الأنبياء، نخرج فقط ثلاث أيام ولكن كيف نشترى كراسي جميلة والسيارة الطيبة تقدم شيك مفتوح إذا تريد سنتين مستعد عشر سنوات وإذا فنشوك تغضب (يعني إذا أنهوا عملك لترجع إلي بلدك)، فنشكو الله مصيبتنا في هذا الزمان ومصيبة أولادنا وأزواجنا الكل هكذا، وإذا أردت أن تفهم الناس هذا الأمر فأول ما يقف في وجهك زوجتك تقول لك ما بالك، دَرَوشت؟؟

فإذا عشنا بيئة الأعمال الإيمانية الكل يترقى بالأعمال، وعندما نخرج في سبيل الله بسبب قوة البيئة الإيمانية يستحي الواحد أن يسألك كم راتبك؟؟. تجد الكل يسأل عن الدين، إذا لابد أن نعيش في بيئة الأعمال حتى نترقى بالأعمال، لكن عندما نعيش في بيوتنا وكأنك تنطح في صخر، فنهرب من بيئة الأشياء إلى بيئة الأعمال من بيئة سيارتي وثلاجتي إلى بيئة جولة في سبيل الله زيارة دعوة تعليم، من بيئة النسبة لأنفسنا (لي، عندي، حقي، ملكي) إلى بيئة النسبة إلى ربنا (له، له) وليس (لي)، عندما تقول (لي) تصبح مثل فرعون ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾^(١). لكن الذي فهم، ماذا يقول ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ﴾^(٢). هو المالك وليس أنا. فنخرج حتى نترقى من كلمة

(١) سورة الزخرف_ الآية ٥١ .

(٢) سورة الأعراف_ الآية ١١٨ .

(عندي، عندي) إلى كلمة عنده ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (١). هذا هو الفكر الطيب ﴿ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ (٢). تترقى من كلمة (بيدي) بيدي عشرين ألف درهم إلى ﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣) بيده ملك السماوات والأرض. هكذا قبل الموت إذا ما كان عندك أعمال ترقيك، رحمت في داهية خطر عليك، لأنه إما عملك يرفعك وإما عملك يضعك، لا نسبك يرفعك ولا نسبك يضعك، ما الذي يجعل الإنسان يهوي في جهنم سبعين خريفاً؟ أعماله، وما الذي يجعل الإنسان يرتفع في قصور الجنة؟ أعماله.

لماذا خلقنا الله ﷻ ؟

هل قال الله: ليبلوكم أيكم أسوء عملاً؟؟ لا ، بل قال: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٤) عندما ينتهي حسن العمل تنتهي الدنيا عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " لَأَتَقَوْمُ السَّاعَةِ حَتَّىٰ لَأَيُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ " ، وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَ : " لَأَتَقَوْمُ السَّاعَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ . " رَوَاهُ مُسْلِمٌ . . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - ، يَقُولُ " : لَأَتَقَوْمُ السَّاعَةِ حَتَّىٰ لَأَيُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ . " رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٦) .

(١) سورة الأنعام _ الآية ٥٩ .

(٢) سورة الحجر _ الآية ٢١ .

(٣) سورة يس _ الآية ٨٣ .

(٤) سورة الملك _ الآية ٢ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي - باب ذهاب الايمان آخر الزمان ١٧٨/٢ .

(٦) في مستدرکه - باب الفتن والملاحم -رقم الحديث (٣٥٥٨) / ٤ / ٤٩٤ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى رَجُلٍ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ " رواه الحاكم (١).

فالجامعات لا تفتح حتى تخرج الراسبين بل حتى تخرج الناجحين ليعلموا الأمة. لو نسبة النجاح عشرة بالمائة، لا بأس من أجل عشرة بالمائة تبقى الجامعات مفتوحة، لكن جامعة لا أحد ينجح فيها تغلق، فما دام في الأرض واحد يقول الله ربنا يفرح بهذه الدنيا، فيها من يعطي جوهرة الله.

فجمال الأعمال الطيبة (جواهر) ليست لك بل عند ربنا، كما جوهرة الله الذهب والفضة لعينك جوهرة الأعمال له، فمن يحدد قيمة جواهر الدنيا؟ التي خلقت من أجل الإنسان، فإذا مات كل البشر لا يصبح لهذه الجواهر قيمة لأن الحمار لا يعرف قيمة الجواهر، فلو وضعت أمام الحمار جوهرة وروثه بقر لا يشم الجوهرة ويفرح بها، فتسقط قيمة الجواهر إذا ما اشتراها الإنسان، وتسقط قيمة هذه الجلسة الإيمانية (الأعمال) إذا ما تقبلها ربنا.

فالأعمال الطيبة لها قيمة عند الله، والسيارة الطيبة لها قيمة عند الناس، لكن بسمتك الطيبة لا أحد من الناس يعطيك أجر عليها، لكن لو تقبلها الله ﷻ تصبح لها قيمة عظيمة، الله تعالى يقول يوم القيامة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ، أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي " رواه مسلم (٢).

(١) المستدرک علی الصحیحین « کتاب الفتن والملاحم » لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله - ٤ / ٤٩٥ .

(٢) صحيح مسلم « کتاب البرِّ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالْأَدَابِ » باب في فضل الحبِّ في الله - رقم الحديث (٤٦٦١)

جوهرة، جلستك معي والمحبة المتبادلة جوهرة، سبحان الله من فمك جوهرة، فمتى تكون رسالتنا في الدنيا نخرج بهذه الجواهر من الدنيا إلى الآخرة لكن الأشياء تستطيع أن تخرج كيلو سكر من الدنيا إلى الآخرة؟ فتخرج العفش والأثاث من الدنيا إلى الآخرة؟ لا.

فالتلقي بالأحوال المحال فلماذا ربنا خلق الأحوال؟ لأن الأحوال ظروف والمظروف الأعمال... قالوا: صانع ذهب، تأتيه امرأة تقول أريد خاتم وامرأة أخرى تريد سوار ورجل يريد أن يشتري لزوجته سحّاب (عقد) فيعمل قوالب مختلفة من الذهب فإذا أراد خاتم صغر القالب، وإذا أراد سوار جعله مستدير واسع، وإذا أراد صنع سحّاب جعله طويل، هكذا حتى تخرج أنواع من الجواهر، والعبودية جواهر فإذا أراد ربنا ﷺ أن يستخرج عبودية الصبر أعطاك حال مخالف.

ما قال في حق سيدنا أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١) وأعطاه الصحة مليحة، لكن سَطَّ عليه المرض حتى يستخرج عبودية الصبر.

وإذا أراد الله جوهرة أخرى مثل عبودية الشكر أعطاك حال الغنى والحال الموافق.

وإذا أراد عبودية الحلم ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٢) الحلم جوهرة، قَدَّر عليك أن تخرج في سبيل الله وتقابل واحد سفيه حتى يستخرج عبودية الحلم، ولا يمكن أن تستخرج عبودية الحلم ونحن مع بعض حلیم مع حلیم، فلما ترى واحد سفيه يسبك ويشتمك لا تقول ما أسوء هذا الحال وما هذه البلوى؟ بل أفرح وأقول هذا وقت عبودية الحلم.

(١) سورة ص - الآية ٤٤ .

(٢) سورة هود - الآية ٧٥ .

وإذا أراد الله جوهرة التعليم أرسل إليك واحد جاهل حتى تعلّمه الدين، فلما ترى واحد لا يعرف سورة الفاتحة وقال لك: أرجوك أقرني، لا تقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وبعدها تقرئه عشر مرات وتملّ وهو لا يعرف يصححها بل أقرئه خمسين مرة وافرح وقل هذا وقت عبودية التعليم.. فلو لا الفقير ما كانت عبودية الصدقة، على من سوف تتصدق؟ على الغني؟!

وهكذا الأحوال ظروف والمظروف العبادة.. ففي كل حال الأمة تقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١) في حال المرض {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فلكل عبادة حال ولكل حال عبادة، ولكل عبادة وقت ولكل وقت عبادة، لهذا الفقيه ليس الذي يقرأ الكتب ويحفظها، بل الفقيه الذي يعرف في هذا الحال ما هي العبودية التي يحبها الله، في هذا الحال الذي أنا فيه ما هي العبودية التي يحبها الله؟. مثال: جاءك ضيف وأنت تقرأ القرآن وما كملت الجزء اليومي وتريد أن تكمل الجزء فمن أحسن عبودية الآن أن تكمل الجزء أم تُرحّب بالضيف؟ إذا جاء حال الضيف أترك عبودية التلاوة وهات عبودية الكرم أحضر الطعام والشراب.

لكل حال عبادة ولكل عبادة حال: فلما نخرج نتعلم هذا الفقه ... نزور الغني حال الغنى ونتعلم كيف أتكلم معه ونزور الفقير حال الفقر ونتعلم كيف أتكلم معه، وهكذا كيف نتحرك كيف نتصرف في كل وقت، فعبادة الليل غير عبادة النهار، ما أجملك في النهار وأنت تطرق الأبواب لزيارة المسلمين فأحسن عبودية في النهار قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا
وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١﴾. تمشي إلى الناس وتحاسنهم.
وأحسن عبودية في الليل أن تقوم بين يدي الله وتدعو لنفسك وللناس وتتعلق
بالله.

أحسن عبودية في الليل أن تقول يا كريم وفي النهار تتخلى بالكرم، وأحسن
عبودية في الليل تقول يا حلیم وفي النهار تتخلى باللحم، وفي الليل تقول يا ودود
وفي النهار تتودد لعباد الله.

وهكذا أيها الأحبة عندما أصبحت العبودية قراءة كتب لم نعد نتحرك لهذا ربنا
جعل لنا حكمة، المعلومات الآن تخزن في حديدة صغيرة (إصبع الذاكرة) فمرة زرت
دكتور في الجامعة أراني حديدة صغيرة قال فيها عشر آلاف كتاب، لكن الأعمال الطيبة
تخزن؟؟ بسمتك تخزن؟؟ عواطفك تخزن؟؟ عواطف الخوف من الله تخزن؟؟
الرجبة في ما عند الله تخزن؟ فما في الصدر لا يخزن إلا في الصدر.
أعظم عبودية:

هي الإخلاص والتوجه إلى الله والخشوع والرجبة والرغبة في ما عند الله ﴿
وَحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (٢) فالذي في صدرك من جواهر إيمانية ليس لها محل آخر
إلا في صدرك والذي في عقلك خزنها في الحديدة.. (فمعلوماتك خزنت لكن عواطفك
التي يحبها الله وإيمانك ومقصد حياتك همك حزنك فرحك لا يستطيعوا أن يخزنوها).

(١) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٢) سورة العاديات _ الآية ١٠ .

فكيف نعطي الله هذه الجواهر من العبودية ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) الأحسن من الخروج الفرح بالخروج، والأسوأ من السيئة والغيبة التلذذ بها والفرح بها.

لهذا أفضل الأحوال ما كان سببه حمل دين الله وإحياء دين الله والالتزام بطاعة

الله.

فمن أحسن فقر؟؟

الفقر الذي سببه الدين وليس قلة الشغل، فأجمل فقر ذكر في القرآن الكريم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

ما هو سبب الفقر ليس قلة الشغل بل بسبب الإحصار في سبيل الله مثل فقر أهل الصفة، فسينا أبو هريرة ؓ وجد شغل لكن لو فتح دكان لذهبت الأحاديث التي سمعها من النبي ﷺ فما وصلنا من رسول الله معظمه كان عن طريق أذن أبو هريرة فقال حتى لا تضيع الأمة ويصلها حديث رسول الله ﷺ سأصبر على جوعي في سبيل الله.

وأحسن حال: ما كان سببه الدين وأساء حال ما كان سببه الغفلة عن الدين.

وأحسن غنى: ما كان سببه الدين وأساء غنى ما كان سببه الغفلة عن الدين، فمن أين جاءك الغنى؟؟ لأنك تركت الدعوة وتركت الجولة، وأربعة وعشرين ساعة شغال في الدنيا ولم تسأل عن الجنة والنار وذهبت ترابي إلى البنوك الربويّة وتأكّل الحرام فهذا شر حال.

(١) سورة يونس _ الآية ٥٨ .

(٢) سورة البقرة _ الآية ٢٧٣ .

فأحسن غنى ما كان سببه الدين فمن أين جاءت الغنائم للصحابة؟؟ بسبب جهادهم ودينهم.. فقرهم سببه الدين وغناهم سببه الدين لكن فقرنا سببه معصية الله وغنانا سببه معصية الله فبئس هذا الحال و بئس ذاك الحال.

فأجمل حال ليس جوع سببه المعصية بل جوع سببه الخروج في سبيل الله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) فما أحسن الجوع بسبب الدين، وما أسوء الجوع عندما يكون عقاباً على المعاصي ويجفف الأرض بسبب معاصينا ويجوعنا.

فأحسن حال ما كان سببه الدين ولما يأتي هذا الحال تملؤه بالدين وعندما ينتهي هذا الحال ينتشر الدين.. هذه أحسن الأحوال، فسبب فقر أهل الصفة، سببه الدين وملتوا الفقر ليس بالشكوى بل بالدين ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (٢) بسبب المحافظة على سماع كلام رسول الله ﷺ، وكيف ملتوه بالتعفف { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ } ليس الجاهل بربه بل الجاهل بأحوالهم يحسبهم { أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ }.

فأجمل حال ما كان سببه الدين، وملتوه بالدين، وكان بعد ذلك سبباً لنشر الدين في العالم، يا الله ما أجمل هذا الحال.

وأسوء حال ما كان سببه الغفلة عن الدين وتضييع الدين، يا الله ما أسوء هذا الحال.

فأجمل حال ما كان سببه الدين، بسبب الصحابة { الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } كم استفدنا !!!.. وهو جائع بسبب الدين لا يسأل الناس لا بالتلميح ولا بالتصريح { لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا } ونحن مثل النور عندما نعيش هذا الفقر فنسأل الناس يا

(١) سورة البقرة _ الآية ١٥٥.

(٢) سورة البقرة _ الآية ٢٧٣.

بالتصريح يا بالتلميح { لِلْفُقَرَاءِ } هذا أجمل فقر بالدنيا { الَّذِينَ أَحْصَرُوا } ليس من قلة الشغل بل أحصروا في سبيل الله وبسبب هذا الإحصار { لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } لكن الذي عنده فِرَاسَة يستطيع أن يستنتج { تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا } هذا أجمل فقر.

وأجمل غنى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (١) ليس الذين يُعَمَّرُونَ العمارات ويقهرون الفقراء ويتكبرون عن الخروج في سبيل الله. فلا هذا الفقر موجود ولا هذا الغنى موجود، فإذا قلت للفقير تعال واخرج يقول أنا فقير أشغله فقره وإذا قلت لأصحاب المحلات التجارية تعال واخرج يقول كيف أخرج أربعين يوم واترك عشرين محل يا رجل اتق الله، فَشُغِلَ الفقير بفقره والغني بغناه عن دين الله.

فأجمل حال ما كان سببه الدين وأثناء الحال ينشغل بالدين وهذا الحال عندما ينتهي يكون سبباً في نشر الدين مثل أحوال الصحابة أجمل أحوال أحوالهم وأجمل فقر فقرهم وأجمل مرض مرضهم ففي أيام عمر رضي الله عنه من أجمل العصور العبودية انتشرت في أيامه وما في مظلوم في الأرض ومع هذا ربنا ابتلاهم بالطاعون، طاعونهم، غير طاعوننا، طاعونهم تسبب لهم بالشهادة ، جاءهم وهم ممتثلين لأمر الله ليس وهم مخالفين لأمر الله فببركة الطاعون احتضنت الأردن قبر أبي عبيدة رضي الله عنه واحتضنت هذه البلاد قبر شريحيل رضي الله عنه.

ولو جاءنا الطاعون بحال الغفلة عن الدين فهذا ليس حال طيب بل مصيبة ليس لرفع الدرجات، فسيدينا يوسف دخل السجن والسارق يدخل السجن، فالسارق عندما يدخل السجن بئس هذا الحال لأن سبب سجنه انه إنسان مجرم غير طيب لكن سبب

سجن يوسف لماذا عفاً عن الزنا؟؟: ﴿وَلَنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لِيُسْجَنَ﴾ (١) فقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (٢) لأن السجن يسخطني والمعصية تسخطك يا رب، فقال يا الله سجن يسخطني ولا عمل يسخطك، لكنك تكذب سبعين كذبة حتى تخرج من السجن.

فإذا دخل السارق السجن بنس الحال لكن لو دخلت السجن بسبب أنك إنسان طيب وتدعو إلى الله نعم هذا الحال.

فالعامل الصالح الذي يرضي الله والحال الصالح الذي يرضي الله ولو مخالف نفسك، لأن أحوال الطاعة طاعة ولو مخالفة لنفسك، وأحوال المعصية معصية.

لهذا الجوع ليس عمل بل حال: ﴿وَلَنْبَلُوتَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مَنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) وهذه أحوال عطش وجوع وتعب ومخمصة، ومع هذه الأحوال الله يقول: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ

(١) سورة يوسف _ الآية ٣٢ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٣٣ .

(٣) سورة البقرة _ الآيات : ١٥٥: ١٥٧ .

(٤) سورة التوبة _ الآيتان ١٢٠، ١٢١ .

بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ { فتتحول الأحوال إلى أعمال..... فيوضع الجوع في سبيل الله في ميزان أعمالك، وهذه الأحوال في سبيل الله أثقل من الأعمال { إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ } وأعلى درجة { إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } ترفعه إلى مرتبة الإحسان.

فعندما تخرج في سبيل الله والناس يكرموك هذا حال طيب وتأجر عليه ولكن إذا خرجت في سبيل الله والناس يضربوك هذا حال أرقى عند الله.
النبي ﷺ يمر بكل الأحوال:

من خصائص نبينا ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء خصيصة عجيبة أنه مرَّ بكل الأحوال التي مرَّ بها الأنبياء ليس نصفها ولا ربعها بل كل حال يخطر على بالك، مرَّ بها جميعاً وملاًها وجملها عبوديةً لهذا قال العلماء أجمل الأعمال أعماله وأجمل أحوال أحواله ملاًها عبوديةً.

حال لا يستطيع أن يدخل الطائف، وبعد عودته لا يستطيع الدخول إلى مكة إلا في جوار رجل كافر، حال إلقاء سلى الجزور على رأسه، حال القوة وحال الضعف، حال القوة حامل سيفه وحال الضعف، حال المدينة تستقبله (طلع البدر علينا) وحال مدينة تغري السفهاء والمجانين ليضربوه في الطائف، حال رجل يقول له فداك أبي وأمي يا رسول الله وحال رجل يضع سلى الجزور على رأسه، حال يستطيع أن يظهر وحال يختبأ في الغار، حال الفقر الشديد وحال الغنى الشديد، وفي الفقر من شدة الجوع يربط على بطنه حجرتين من الجوع، وفي الغنى لما جاءت الغنائم الله من فوق عرشه جعل نصيبه منها خمس الخمس لو أمسك نصيبه لكان أغنى رجل في العالم : فعن عبد الله بن عمرو قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوم حنين] وجاءته وفود هوازن، فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة فمن علينا من الله عليك؛ فإنه [قد] نزل بنا من البلاء ما لم يخف

عَلَيْكَ ، فَقَالَ : " اخْتَارُوا بَيْنَ نِسَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَنْسَابِكُمْ . قَالُوا : خَيْرَتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَمْوَالِنَا ، نَخْتَارُ أَبْنَاءَنَا ، فَقَالَ : " مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَهُوَ لَكُمْ ، فَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ فَقُولُوا : إِنَّا [نَسْتَشْفَعُ] بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَهُوَ لَكُمْ " ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقَالَ عِيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ : أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي فِرَازَةَ فَلَا ، وَقَالَ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا ، وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا ، فَقَالَ الْحَيَّانُ : كَذَبْتَ ! ! بَلْ هُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، رُدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَمَنْ تَمَسَّكَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْفِيءِ فَلَهُ عَلَيْنَا سِتَّةَ فَرَائِضٍ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا . " ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَتَعَلَّقَ بِهِ النَّاسُ يَقُولُونَ : ائْتِمِرْ عَلَيْنَا فَيُنَا بَيْنَنَا حَتَّى الْجَنُوهُ إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ ، فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي ، فَوَ اللَّهُ لَوْ كَانَ بَعْدَ شَجَرِ تَهَامَةَ نَعَمَ لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَلْقُونِي بِخِيْلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذُوبًا . " ثُمَّ دَنَا مِنْ بَعِيرٍ فَأَخَذَ وَبِرَةً مِنْ سَنَامِهِ فَجَعَلَهَا بَيْنَ إصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوَسْطَى ثُمَّ رَفَعَهَا ، فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَيْسَ لِي مِنْ هَذَا الْفِيءِ وَلَا هَذِهِ ، إِنَّا الْخُمْسُ ، وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ ، فَرُدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمَخِيْطَ ، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَارًا وَنَارًا وَشَنَارًا " (١) .

وعن عمرو بن دينار ، سمع عمرو بن شعيب ، يُخبر عن أبيه ، عن جدّه رضي الله عنه ، قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ، فكان

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد « كتاب المغازي والسير » باب ما جاء في غنائم هوازن وسبيهم - رقم الحديث (١٠٢٩٤) .

هَمُّهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ ، فَأَحَاطَتْ بِهِ النَّاقَةُ ، فَخَطِفَتْ شَجَرَةً رِدَاءَهُ ، فَقَالَ : " رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ الْبُخْلَ لَوْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ نَعْمًا مِثْلَ تَمْرٍ تِهَامَةٌ لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخَيْلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذَابًا ، ثُمَّ أَخَذَ وَبَرَةً مِنْ ذُرْوَةِ سَنَامٍ بَعِيرِهِ ، فَقَالَ : مَا لِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا مِثْلُ هَذِهِ ، إِلَّا الْخُمْسُ ، وَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ رُدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ ، فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ وَشَنَارٌ " (١) .

وزاد سعيد بن منصور في سننه: ثُمَّ رَفَعَ وَبَرَةً مِنْ ظَهْرِ بَعِيرِهِ ، فَقَالَ : " مَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَلَا مِثْلُ هَذَا إِلَّا الْخُمْسُ ، وَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ " (٢) .
فَقَامَ رَجُلٌ مَعَهُ كُبَّةٌ مِنْ شَعْرِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَذْتُ هَذِهِ أُصْلِحُ بِهَا بَرْدَعَةَ بَعِيرٍ لِي دَبِيرٍ . فَقَالَ : " أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَهُوَ لَكَ " . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَا إِذَا بَلَغْتَ مَا أَرَى فَلَا أَرَبَ لِي بِهَا . وَنَبَذَهَا . (٣) حصتي مردودة عليكم وبقي نائم على الحصير، ما غير بسبب الغنى وقال فرصة حتى نترقى يا عائشة.

حال أعزب قبل النبوة ويعف عن الحرام وحال متزوج، حال يولد له ولد وحال يموت له ولد وهو صغير، حال زواج ابنته فاطمة، وحال طلاق ابنتيه زينب وأم كلثوم، لما بدأت رسالته ﷺ غضب أبو لهب وأمر ولديه أن يطلقوا بنات محمد ﷺ بالشدّة والغضب، حال بنت من بناته تمشي وتهاجر زينب رضي الله عنها من مكة إلى المدينة فواحد من المشركين يلحق بهذه الناقة ويغمزها فتقفز الناقة وكانت زينب حامل فتسقط وترمي حملها، والآن بناتنا عند الحمل والولادة في المستشفيات وعند

(١) السنن الكبرى للبيهقي « كتاب الوصايا » جماع أبواب تفريق الخمس « باب سهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وسلم ... رقم الحديث (١٢١٩١) .

(٢) سنن سعيد بن منصور بن منصور « كتاب الجهاد » باب : ما جاء في قسمة الغنائم - رقم الحديث (٢٥٩٥) .

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد « كتاب المغازي والسير » باب ما جاء في غنائم هوازن وسبيهم - رقم الحديث (١٠٢٩٤) .

الطبيبات، فمن أحسن حال بنت الرسول تسقط من أجل الدين ويصيبها هذا الحال ولا بناتنا عند الطبيبات؟.

فمرَّ بكل الأحوال وجملها وملاها عبودية، فالدين لا يحتاج إلى الأحوال حتى تجمَّه؛ لأن الدين جميل فهو كلام الله، لكن الأحوال تحتاج إلى الدين حتى يجمَّهها، فالدين لا يحتاج إلى غِنَاك أيها الغني لكن غِنَاك قبيح حتى تُدخل فيه الدين وتجمله بالدين بالإنفاق، فالدين يُجمِّل غِنَاك أيها الغني وغِنَاك لا يجمِّل الدين.. الدين لا يحتاج إلى قوتك لكن إذا استخدمت قوتك من أجل دين الله الدين يجمِّل قوتك، وقوتك من غير دين مثل قوة حمار ماشي، قوي لكن إلى أين ماشي؟؟ فقط حتى يأكل ويشرب.

فالدين لا يحتاج إلى أحوالنا ونحن في جميع الأحوال نحتاج إلى الدين، في جميع الأحوال يا الله اهدنا الدين المقبول والعبودية المقبولة عندك، ويا حسرة علينا إذا عملنا علاقة مع الأحوال وما عملنا علاقة مع رب الأحوال، لا تعمل علاقة مع المنعمة لأن النعمة لا تدوم بل اعمل علاقة مع المنعم، نعمل علاقة مع الرحمن الرحيم وليس مع الرحمة، لكن اليوم العلاقة مع النعمة مع المال إذا ذهب المال ماذا ستفعل وأين ستذهب.

لكن لو عملت علاقة مع المنعم ومع الرحيم في القبر تتجدد النعم وفي الحشر وعلى الصراط إلى الأبد، فخلقت النعمة لنحب المنعم وليس لنحب النعمة ونعبدها. فصفاته جل جلاله مع المؤمن في كل حال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) هذه الآية مكية في جهد الدعوة .

في جميع صفاته صفة الرحمة صفة القهر { لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } صفة القهر معك يقهر جميع شياطين الإنس والجن حتى ما يضروك، وبدون الدين صفة القهر تكون ضدك يقهرك أنت.

صفة الرحمة وأنت جائع وما في طعام ولكن الرحيم يرحمك بالجوع فالنبي ﷺ وهو يشد على بطنه حجرين من الجوع أكثر الناس حظاً من رحمة الله وهو في هذا الحال.. فيقبض الله عن معدتك ليزيد ثروة الإيمان في قلبك، ليعطي الروح، يقبض عن الجسد، فداء المؤمن وداء جسمه سبباً ودواءً لروحه فيبتليك ليعافيك، يأخذ منك القليل ليعطيك الكثير.

فالرحيم معك وأنت جائع لكن لو معك أموال الدنيا كلها وتعصي الله الرحيم ضدك: ﴿لَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١) هل يريد الله أن يرحمهم بها؟؟ لا ، إنما يريد الله أن يعذبهم بها.

لكن نحن قبل الأحوال قبل المرض وقبل الأحوال نسأل الله العافية، لا نسأله المرض حتى نصبر، لكن إذا قدر عليك المرض أو قدر عليك الجوع أو قدر عليك السجن إذا قدر عليك القضاء فأعظم عبودية بعد القضاء الرضا بالقضاء و القدر، ((اللهم إنا نسألك الرضا بعد القضاء)) ليس قبل القضاء، لكن قبل القضاء تسأل الله العافية في الدنيا والآخرة في الدارين لكن إذا قضا ووقعت مصيبة أحسن عبودية الآن لا صيام ولا حج الرضا بعد القضاء.

فكن راضياً عنه في كل وقت يكن راضياً عنك، فجزاء الرضا الرضا وأعظم شيء عند الله رضاه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢) من كل نعمة جزاء الرضا الرضا ، وجزاء الإحسان الإحسان.

(١) سورة التوبة _ الآية ٥٥.

(٢) سورة التوبة _ الآية ٧٢.

فإنه جل جلاله له الكمالات في تشريعه، في عطائه، في منعه، في كل أفعاله، فإذا ما رضينا عن كمالات قدره، فكيف سيرضى عن نقصان أعمالنا، صلاتنا فيها نقص دعوتنا فيها نقص، لهذا لا تنظر إلى مرارة الابتلاء وانظر إلى جمال المبتلي، كمال المبتلي، حكمة المبتلي.

فطبيبك معك إذا أعطاك الدواء الحلو معك وإذا أراد أن يعمل لك عملية جراحية وأخذ يقطع لحمك ويفتح بطنك تقول أعوذ بالله منه، الطبيب معك ورحيم بك وهو يعطيك الدواء رحيم بك وهو يعطيك الإبرة الموجهة رحيم بك وهو يعمل العملية الجراحية رحيم بك...

وهكذا ربنا معيته مع المؤمن دائماً يعامل المؤمن بالعطاء والقبض الصوري، يعطيه العطاء ويعطيه القبض وهذا القبض صوري ودائماً يعامل المعرضين عن دينه بالمنع والقهر ويمنعه المنع ويمنعه العطاء لهذا المال بيد الفاسق نعمة صورية فيوم القيامة لا تزولا قدما عبد حتى يؤنب ويحاسب من أين لك هذا المال من أين؟؟ فأيتها الأحبة:

لا خير في هذه الدنيا لأنها ملعونة ملعون من فيها إلا إذا دخلنا فيها دين الله أصبحت مرحومة مرحوم من فيها.

لهذا الرحمن الرحيم كيف نعمل علاقة مع الرحمن؟؟ هل نجمع المال؟ لا بل إياك نعبد.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَبْيٌ ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ تَدْيُهَا تَسْعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتُرُونَ هَذِهِ

طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ فَقُلْنَا : لَأ ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَأ تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا . "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (١)(٢) .

والله لا نرحم إلا عن طريق إحياء الدين في حياتنا وفي الناس، فما قال الله أرحم بخلقه، إبليس مخلوق لكن لا يرحمه الله ، وعباد الرحمن.. ما قال وعباد الجبار

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب أسماء الله تعالى _ باب رحمة الله _ رقم الحديث (٢٣٧٠) .
 (٢) قوله : (بعباده) كَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِبَادِ هُنَا مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ " : مَرَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَصَبِيٌّ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّهُ الْقَوْمَ خَشِيَتْ عَلَى وَلَدِهَا أَنْ يُوْطَأَ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَتَقُولُ : ابْنِي ابْنِي ، وَسَعَتْ فَأَخَذَتْهُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَتْ هَذِهِ لِنَتْلُقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ ، فَقَالَ : وَلَأَ اللَّهُ بِطَارِحِ حَبِيبِهِ فِي النَّارِ " فَالتَّعْبِيرُ بِحَبِيبِهِ يُخْرِجُ الْكَافِرَ . وَكَذَا مَنْ شَاءَ إِدْخَالَهُ مِمَّنْ لَمْ يَنْبَغِ مِنْ مُرْتَكِبِي الْكِبَائِرِ . وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ بِلَفْظِ الْعِبَادِ عَامًّا وَمَعْنَاهُ خَاصًّا بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : . وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ فِيهَا عَامَّةً مِنْ جِهَةِ الصَّالِحِينَ وَخَاصَّةً بِمَنْ كَتَبَتْ لَهُ قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ رَحْمَةَ اللَّهِ لَأَ يُشَبِّهُهَا شَيْءٌ لِمَنْ سَبَقَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ مِنْ أَيِّ الْعِبَادِ كَانَ حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ . وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْعَلَ تَعَلُّقَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، وَأَنْ كُلَّ مَنْ فَرَضَ أَنْ فِيهِ رَحْمَةٌ مَا حَتَّى يُفَصِّدَ لِأَجْلِهَا فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَرْحَمُ مِنْهُ ، فَلْيَقْصِدِ الْعَاقِلُ لِحَاجَتِهِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ لَهُ رَحْمَةً ، قَالَ : وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ نَظَرِ النِّسَاءِ الْمَسْئُوبَاتِ ، لِأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَنْهَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ مَا يَقْتَضِي إِذْنَهُ فِي النَّظَرِ إِلَيْهَا . وَفِيهِ ضَرْبُ الْمَثَلِ بِمَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ لِمَا لَأَ يُدْرِكُ بِهَا لِتَحْصِيلِ مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ لَأَ يَحَاطُ بِحَقِيقَتِهِ لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَأَ تَدْرِكُ بِالْعَقْلِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَرَّبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْسَّامِعِينَ بِحَالِ الْمَرْأَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَفِيهِ جَوَازُ ارْتِكَابِ أَخْفِ الضَّرَرَيْنِ ، لِأَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَنْهَ الْمَرْأَةَ عَنِ إِرْضَاعِ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ أَرْضَعْتَهُمْ مَعَ احْتِمَالِ أَنْ يَكْبُرَ بَعْضُهُمْ فَيَنْزَوِجَ بَعْضٌ مِنْ أَرْضَعَتِ الْمَرْأَةَ مَعَهُ ، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ حَالَةُ الْإِرْضَاعِ نَاجِزَةً ، وَمَا يُخْشَى مِنَ الْمُحْرَمِيَّةِ مُتَوَهِّمٌ اغْتَفَرَ . قُلْتُ : وَلَفْظُ الصَّبِيِّ بِالتَّذْكِيرِ فِي الْخَبَرِ يَنَازِعُ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : وَفِيهِ أَنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ ، وَقَدْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ ، فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَمِنْ جِهَةِ أَنَّ الْأَطْفَالَ لَوْ لَأَ أَنَّهُمْ كَانَ بِهِمْ ضَرُورَةٌ إِلَى الْإِرْضَاعِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَا تَرَكَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَرْضِعُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ أَفْوَى فَلِأَنَّهُ أَقْرَبُهَا عَلَى إِرْضَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَبَيَّنَ الضَّرُورَةُ . هـ . مُلْخَصًا ، وَلَأَ يَخْفَى مَا فِيهِ . (فتح الباري _ شرح صحيح البخاري)

فنسب الله صفة العبودية إلى صفة الرحمة: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) فخشية الرحمن رحمة، والخروج في سبيل الله رحمة، والغبار في سبيل الله رحمة. لهذا من فقه الداعية في سورة يس، لما أرادوا قتله واقتربت السيوف من عنقه تذكر صفة الرحمة فما قال إن يردن الجبار بضر، بل قال: ﴿إِنْ يَرِدْنا الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ﴾^(٢) فالله قادر أن يرحمك بالضر وقادر أن يشقيك بالملذات فرحمة الله بهذا الرجل أعظم رحمة وهو قطع عنقه بالسيف في سبيل الله ونال الشهادة وأصبح شهيداً فأدخله الله الجنة: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٣) فمن عظم الرحمة، ضر يذهب بك إلى الجنة أم أكل الكنافة وأنت غافل عن ذكر الله؟؟ نحن عرفنا الرحمة كما عرفتها البهائم أكل وشرب هذه رحمة عامة وإن لعن إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤) ومعنى اللعنة الطرد من رحمة الله، لكن ما منعت اللعنة إبليس من الأكل والشرب والضحك في الدنيا: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٥) لكن مقتضى اللعنة بعد الموت أن الملعون لا يستطيع أن يشرب شربة ماء: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(٦) أكرم الناس هم أهل الجنة كانوا يكرمون الناس وعندهم إبريق ماء صغير والآن عندهم أنهار ماء لا تنقص ويمكن الذي يناديه ابن عمه وجوع شديد وعطش شديد لا ينال ولا ذرة من الرحمة ربنا ينزع الرحمة من قلوب الخلق

(١) سورة ق - الآية ٣٣ .

(٢) سورة يس - الآية ٢٣ .

(٣) سورة يس - الآية ٢٦ .

(٤) سورة ص - الآية ٧٨ .

(٥) سورة الإسراء - الآية ٦٤ .

(٦) سورة الأعراف - الآية ٥٠ .

على أهل جهنم: ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) حرم الطعام والشراب عليكم يا كلاب.

فينادي أصحاب النار على ربهم يا ربنا يا ربنا ... فالرحيم الآن يقول ويرد عليهم: ﴿ قَالَ اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٢) وهو يقول اخسؤوا فيها صفة الرحمة تبقى لأنه رحيم، كيف رحيم ويعذب عباده؟؟ مثال رجل كريم وقال لك إن سألتني أعطيك، لكنك أعرضت عنه وتكبرت عليه وذهبت إلى اللئيم ترجوه المال، فالكريم إذا ما أعطاك يبقى كريم.

وهكذا الله الرحيم يبقى رحيم، ولو وضع أهل النار في النار، لكن سبب عذابهم أنهم أعرضوا عن ذكر الله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (٤).

فعلاقتنا مع الرحمن ومع الرحيم وليست مع الرحمة، مع المنعم وليس مع النعمة، لهذا الفقراء والأغنياء كلهم منهاج حياتهم واحد لا يوجد صلاة للغني وصلاة للفقير يا غني حتى تفوز وتفلاح اركع وسجد ويا فقير حتى تفوز وتفلاح اركع واسجد. هكذا جميع الأمة أمة واحدة لا يوجد طبقتين هذه لها دين والأخرى لها دين، فالكل يتعلق بالله فسريرة الفقير وسريرة الغني واحدة ما فيها إلا يا رب ارض عنا نفس السريرة.

(١) سورة الأعراف - الآية ٥٠ .

(٢) سورة المؤمنون - الآية ١٠٨ .

(٣) سورة طه - الآية ٢٤ .

(٤) سورة الزخرف - الآية ٣٦ .

وحتى نترقى بالأعمال لا بد نخرج في بيئة الأعمال، لأن بيوتنا ما فيها بيئة أعمال نتمازح ونضحك(الطماطم لها بيئة وهي السوق ولكن فإذا نريد أن نشترى طماطم لا بد أن نذهب إلى بيئة الطماطم في سوق الطماطم).

يا الله ما أسهل الأعمال في بيئتها وأنت خارج في سبيل الله ترفع رأسك بالليل حتى تصلي ركعتين، وكثير من الأحيان أرفع رأسي قلقاً وإذا هذا قائم ، وهذا قائم فيسهل علي القيام معهم، لكن ارفع رأسك في البيت تجد هذا قائم ، وهذا قائم فترجع وتنام معهم.

والله حمل الدين ونحن خارجين أسهل من حمل إبريق الوضوء وأنت خارج في سبيل الله ما أصعب الغيبة لكن مل أسهلها وأنت في البيت ((فبيئة الأعمال تجعلنا أثرياء بالأعمال)) فيا أيها الأحبة نحن بحاجة إلى الخروج في سبيل الله لكن ربنا غني لا يتقرب إليك حتى تتقرب إليه أولاً ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال : إن الله كتب الحسنات والسئيات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبتها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبتها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبتها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبتها الله سيئة واحدة . رواه البخاري ومسلم . (١)(٢).

من أكبر: الذراع أم الشبر؟؟ الذراع، لكن من أسهل؟؟ الشبر.

(١) رياض الصالحين _ باب الرجاء.

(٢) معنى الحديث: من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيت هرولة: أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود.. وقراب الأرض بضم القاف ويقال بكسرهما والضم أصح وأشهر ومعناه: ما يقارب ملأها، والله أعلم.

مع أن الشبر صغير لكن صعب لأن الشبر منك والذراع هو الذي يقربك مثل الأم تقول لابنها امشي، امشي، فيمشي مترين وبعدها تحمله بقيّة المسافة لأنه لا يستطيع أن يمشي كل هذه المسافة.

فأول خروج خرجنا ثلاث أيام أصعب الأيام لكن لما خرجنا أربعين يوم بعدها كانت أسهل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١) الزيادة من عنده، لكن المفتاح هو اليوم الأول، فقط اخرج من بيتك والباقي على الله ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢) يعني اتخذ قرارك وقل أريد الله وبعدها ربنا يتولاك.. الخطوة الأولى منك لأنه هو الغني.. الحكومة لا تترجك حتى تستخدمك، لا بد أنك تقدم طلب وربنا لا يترجك حتى يستخدمك.

كما قلنا من قبل في قصة موسى عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٣) فالمخلوق استخدم قوة موسى عليه السلام، واستخدم أمانته لمدة عشر سنين، حتى يزوجه ابنته ولما ربنا استخدم قوته وأمانته أصبح كليم الرحمن، فالمخلوق استخدم قوة موسى حتى يمشي وراء الغنم ويرعاهم واستخدم أمانته ليس حتى يحافظ على الدين وينشره بل حتى يحافظ على الغنم، لكن ربنا استخدم قوة موسى وقال له: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (٤) واستخدم أمانته ليأتمنه على نصيحة العباد ونشر الدين، تنصح من ينصحك وتنصح من يغشك، وهكذا

(١) سورة محمد _ الآية ١٧.

(٢) سورة النساء _ الآية ١٠٠.

(٣) سورة القصص _ الآية ٢٦.

(٤) سورة طه _ الآية ٢٤.

ربنا كما استخدم قوة موسى وقوة الأنبياء يريد أن يستخدم قوتنا في نفس المجال، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاعَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١).

من الذي يستخدمك ربنا، لكن لو استخدمك المخلوق شهر، تأخذ راتبك بيدك وآخر الشهر ينتهي (والله جهد الدنيا عند الموت لا يعطيك ذرة) وإذا الله استخدمك (والله جهد الدين عند الموت لا يضيع لك ذرة) .

والعمل عند المخلوق عمل شاق وأجر قليل ما في جلسة بسيطة وخذ مليون درهم .. والعمل عند الخالق عمل بسيط وأجر كثير فقط المحبة في الله تدخلك الجنة، وإبريق وضوء يفتح لك أبواب الجنة الثمانية، جلسة بسيطة، الله يقول يوم القيامة: **أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَنَّتِي الْيَوْمَ، أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي** "رواه مسلم" (٢).
وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجِبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ
وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ " (٣) .

عندما نخرج نقوم بأعمال بسيطة، نزور بعضنا ونبتسم في وجوه بعضنا وأبشر بجنة عرضها السماوات والأرض، والعمل في الدنيا عمل شاق وأجر قليل.

(١) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

(٢) صحيح مسلم « كتاب البرِّ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالْأَدَابِ » باب فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ _ رقم الحديث (٤٦٦١)

(٣) موطأ مالك « كتاب الجامع » باب الشعر « ما جاء في المتحابين في الله _ رقم الحديث (١٧٧٩) .

ما لنا غير الله، والله ما لك غير الله من أحد لا تفكر في غير الله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ
﴾ (١) تفر منها وتفر منك.

والله ما لك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله
يا صاحبَ الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ أبشر بخيرٍ فإن الفارجَ الله
الله ذو نخرٍ في كلِّ حالٍ (مصيبيّة) أقولُ في كلِّ حالٍ حسبي الله
إن الهمَّ منفرجٌ بالتعلُّقِ بالله فكيف نتعلَّقُ مع الله، الأشياء والأحوال لا تعلِّقنا بالله،
لا يعلِّقنا بالله إلا الأعمال، التسبيحة تعلِّقك بالله، الزيارة تعلِّقك بالله، كما في الحديث:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ عَادَ
مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طَبْتَ وَطَابَ مَمَّشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ
مَنْزِلًا " رواه الترمذي وقال حديثٌ حسنٌ. وفي بعض النسخ غريب (٢) الله يجعل
الملائكة تناديك (أَنْ طَبْتَ وَطَابَ مَمَّشَاكَ) أي أصبحت طيب عند ربك، وعندما تأتي
بالفلوس تصبح طيب عند زوجتك.



(١) سورة عبس _ الآيات من ٣٤ : ٣٧.

(٢) سنن الترمذي « كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في زيارة
الإخوان _ رقم الحديث (٢٠٠٨).

عبودية الأمة

الدعوة إلى الله عز وجل

○ قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).

○ وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَكُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (٢).

○ وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: قَالَ: حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَكُنْ تَزَالْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ " متفق عليه (٣).

○ فقه الدين من يعرف كيف يعيش العبودية أربعة وعشرين ساعة.

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة الأنعام - الآيات من ٨٣ : ٩٠ .

(٣) رياض الصالحين - باب العلم .

- قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (١). اذكر إبراهيم وهو يقول: (يا أبتى).
- وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٢).
- وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٣). وهو يقول: يا فرعون أسلم .. والمقصود بهذه الآيات التذكير بأعظم عبودية.
- قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٤) الله ﷻ يمجّد أعظم عبودية.
- كم من شاب عابد الله سبعين سنة وما ذكرت عبوديته.
- الذي يجتهد علي نفسه، ولم يجتهد علي غيره كالذي يأكل ولا يطعم.
- أعظم عبودية: هي محاسنة الخلق.
- ما أحسن أن تتكلم مع الحق بالليل وتقول يا رب عبادك.. اهد فلان وفلان، وتوجه المخلوق بالنهار، تقول: يا عباد ربكم.
- بالليل يا رب اهد أبو جهل، وبالنهار يدعو أبو جهل إلي الله.
- عبودية الداعي بالليل يتعلق بالله، وبالنهار يتملق إلي المخلوق بالبسمة بالإكرام بالهدية، حتى يقبل بقلبه علي الله.
- بالليل يا كريم، وبالنهار يتخلق بصفة الكرم ويكرم العباد.
- بالليل يا حلیم، وفي النهار يحلم علي العباد ويشفق عليهم.

(١) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم - الآية ٥٤ .

(٣) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٤) سورة يس - الآية ٢٠ .

- بالليل يا عفو اعفُ عني، وفي النهار يدعو فإذا جهل عليه يعفو ويصفح: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).
- أعظم عبودية في النهار ليس كلامك مع الحق: يا رب! بل كلامك مع الخلق: (أن تتكلم مع العاصي والجاهل، يا عباد ربكم).
- أعظم عبودية: هي عبودية الأنبياء، ليلهم غير نهارهم، بالليل يا كريم وبالنهار يتخلق بصفة الكرم والرحمة والشفقة.
- أهم وأعظم شخصية: هي شخصية الداعي.
- من أجل الإنسان الجاهل الله ﷻ أرسل الأنبياء.
- من أجل الإنسان الجاهل، الله ﷻ قال: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢)، ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (٣) ، ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (٤) ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥). وكل ذلك من أجل تكريم الجاهل، حتى يرجع ويقبل علي ربه.
- من أجل المريض وجد المستشفى، وفتحت كليات الطب، وتعلم الطبيب وأخذ درجته، وفتحت شركات الدواء والصيدليات وكليات ومعاهد التمريض وأجهزة الطب وجعل الدواء، وأجريت الأبحاث من أجل الدواء وكل ذلك لمصلحة المريض، وليس لتحقير المريض وكلما عالج الدكتور عدد أكبر كلما ترقى في الأجر والخبرة والمرتبة الاجتماعية.

(١) سورة النور - الآية ٢٢

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٩٩.

(٣) سورة الحجر - الآية ٨٥ .

(٤) سورة مريم - الآية ٨٧ .

(٥) سورة القلم - الآية ٤ .

○ كذلك كل علوم القرآن وتجويد وتحسين الصوت للقرآن والتفاسير والكتب والاسطوانات وشرح السنة والأحاديث والفقهاء وكلية التربية والمعاهد وغيرها لخدمة الضال الجاهل السفیه الظالم العاصي الكافر المشرك، والمؤمن التقي.

○ وهذا الجهد أعظم جهد وليس جهد مالا جهد له وعمل مالا عمل له قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (١) وليس لتخرج نفسك، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٢). وليس لعك تتذكر.

○ أعظم فقه، فقه الدعوة ، جهد الأساس ، جهد الروح للدين.

○ ختم النبوة نعمة كبرى، ولكن ختم جهد النبوة مصيبة كبرى (عدم جهد مصيبة كبرى علينا وعلى العالم).

○ الدعوة وسيلة والعبودية مقصد، والنبوة وسيلة ولكن العبودية مقصد:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة طه - الآية ٤٤ .

(٣) سورة الإسراء - الآية ١ .

(٤) سورة الكهف - الآية ١ .

(٥) سورة الفرقان - الآية ١ .

(٦) سورة الجن - الآية ١٩ .

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٢).

○ العبودية تعبيد مشيك، فكرك، كلامك، نظراتك، نفقاتك، آمالك، شعورك، ففي الشورى تعبيد فكرك، أثناء الجولة تعبيد كل جسمك علاوة على كلامك وأخلاقك.

○ فالله مجد عبودية المشي في الدعوة، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٣) رغم أنهم لم يصلوا ولم يصوموا ولم يحجوا .. فمخاطبة العاقل تعليم ، ومخاطبة الجاهل .. السفیه .. الظالم .. الكافر .. الكاذب .. دعوة .

○ يحتاج الداعي إلى سعة وانسراح الصدر حتى يستطيع التعامل مع هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله في كتابه:

قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلُ النَّالِةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١).

(١) سورة البقرة - الآية ٢٣ .

(٢) سورة الفجر - الآيات من ٢٧ ، ٣٠ .

(٣) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٥ .

(٤) سورة ص - الآيات ٤ ، ٥ .

(٥) سورة غافر - الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيًّا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكَ مَقْتَرَىٰ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٥).

○ جهد الدعوة اجتناب ولكن جهد العبادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦) هذا عام لكل الأمم .

○ أعظم عبودية بالليل يا رب .

○ أعظم عبودية بالنهار يا أبتى، يا قوم، يا بني آدم يا أيها الناس، يا أخي.

○ الدعوة تصنع الأتقى والمقابل الأشقى الذي يصد عن سبيل الله ، والقرآن تكلم عن الداعي للحق (الأتقى) والداعي للباطل (الأشقى).

○ فأعظم فقه في الدعوة جهد الدعوة، وأسهل جهد هو جهد الدعوة لا يحتاج لعبقري أو شهادات أو ذكاء غير عادي فالله ما ذكر قصة عابد في القرآن يظل (٧٠) سنة يعبد الله وما ذكره الله ، ولكن رجل بسيط يتحرك ساعة ، يتجول ساعة، في النصره

(١) سورة المطففين - الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٢) سورة الفرقان - الآية ٥ .

(٣) سورة الجاثية - الآية ٢٤ .

(٤) سورة سبأ - الآية ٤٣ .

(٥) سورة لقمان - الآية ٢١ .

(٦) سورة البقرة - الآية ١٨٣ .

ساعة، ذكره الله حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢) -

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٤) .

○ أعظم عبودية (الدعوة) : قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٧) .

ودعوة كل الأنبياء في القرآن (نوح ولوط وهود وشعيب ...) ولكن عند الرسول ﷺ ما قال واذكر في الكتاب محمد ﷺ ولكن قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سورة يسن - الآية ٢٠

(٢) سورة القصص - الآية ٢٠

(٣) سورة القصص - الآية ٢٠

(٤) سورة الكهف - الآيتان ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٦) سورة مريم - الآية ٥٤

(٧) سورة مريم - الآية ٥١ .

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾
 (١) - وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢) كل الأمة رجال ونساء .

- هذا جهد (١٢٤٠٠٠) نبي ورسول، ونحن نائبين عنهم.
- ولهذا حتى تكون نائبا عن شخص معين لا بد أن تعرف مقصوده وفكره وأخلاقه وأسلوبه ، فنائب الملك يفكر الملك وليس بفكر السائق للملك أو الوزير أو المزارع .
- في الدنيا لا يصح أن نعين مزارع نائب للوزير أو ميكانيكي نائب للدكتور ولا رجل أمي نائب لوزير التربية والتعليم، كذلك نائب الرسول الأعظم محمد ﷺ .. ولذا الإخوة تقول: هذا جهد ميسر من الكتاب والسنة ويستطيعه كل فرد في الأمة.
- فسيدنا نوح (٩٥٠) سنة يضحى بكل شيء من أجلهم وهذا صعب، ولكن الأصعب أن يضحى بهم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣). فكان هذا الأمر من أصعب الأمور علي نوح، فدعا عليهم نوح خشية أن يخرج من أصلابهم الكفار والفجار، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٤).

(١) سورة الفتح _ الآية ٢٩ .

(٢) سورة غافر _ الآية ٢٨ .

(٣) سورة هود _ الآية ٣٦ .

(٤) سورة نوح _ الآية ٢٦ .

○ في الدعوة يضحى الإنسان بنفسه وبما يملك من أجلهم، وفي القتال يضحى الإنسان بنفسه من أجل الله قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (١) أن تكون مثل الرسول ﷺ والصحابة اقتداء أحوالهما وتضحياتهما ومشاعرهما .

○ سيدنا نوح لم يقل إني أنذرت قومي، ولكن ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (٢). فالشكوى ليس من إيدائهم ولكن لرفضهم الدعوة قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ﴾ (٣). وما قال إنهم سيظلوا على إيدائهم لي ، ولذا الآيات مثل ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤) هي أوضح للداعي من قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥) .

○ وقوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ عَلَىٰ مَن تَسْتَكْبِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (٦) للعموم وليس ذكر قومك، ولذا دعا الناس يا بني آدم - يا أيها الناس .

فالرسول ﷺ رحمة للعالمين وهذا مقصود الرسول ﷺ وكذلك مقصود أمته من بعده ، ولذا دعاء أهل الإيمان قال تعالى: ﴿ حَبِّبْ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

(١) سورة الكهف - الآية ٦ .

(٢) سورة نوح - الآية ٥ .

(٣) سورة نوح - الآية ٢٧ .

(٤) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٥) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٦) سورة المدثر - الآيات من ٢ : ٧ .

الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» (١) وليس كره إينا الكفرة والفاسقين والعصاة ،
والمطلوب تكره الأفعال القبيحة وليس تكره الذي يفعل القبيح ، مثل: رجل عنده ولد
مريض ، فهو يكره المرض ولا يكره ابنه ، ولذا يسعى لعلاجه وليس لموته وهلاكه.

○ وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٢) وكأننا لا نعرف مقصد
ولا جهد وترتيب رسولنا الكريم ﷺ .

○ لا يستطيع الداعي عامة أن ينجح في دعوته إلا إذا كان به صفات مثل كظم الغيظ
والصبر الجميل والصفح الجميل والإحسان.
وكظم الغيظ: عدم رد الفعل السيئ.

الصبر الجميل: الذي لا شكوى فيه ولكن محفوظ في الذاكرة.

أما الصفح الجميل: عدم الشكوى ومسح الفعل من الذاكرة ولا يفكر في أخذ حقه،
أي مسح الفعل من الذاكرة.

والإحسان: أن تحسن إلى من أساء إليك:

قال تعالى: ﴿ أَوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أَوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١).

(١) سورة الحجرات - الآية ٧.

(٢) سورة المؤمنون - الآية ٦٩.

(٣) سورة القصص - الآية ٥٤ .

(٤) سورة الرعد - الآية ٢٢ .

ولا يفعل ذلك إلا من كان قلبه مملوء بالشفقة والرحمة والرأفة والعفو ، مثل الرسول ﷺ ما عاتب خالد بن الوليد – ولا عكرمة بن أبي جهل – ولا عمير بن وهب ولا عمر بن الخطاب ، مثل يوسف ما عاتب إخوته ونسب فعلهم للشيطان، ولا يعقوب عاتب أولاده بما فعلوا بأخيهم رغم علمه بما فعلوا وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين الأسوة والقذوة لنا .

○ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٢) حتى يصدر منك أحسن عبودية وأرقى عبودية ، وهو المقصود من خلق البشرية، ولذا الله يرسل الأنبياء عليهم السلام ليعلموا البشرية كيف يصدر منهم أحسن عبودية ، ومثل رسولنا ﷺ صدر منه أعلى وأعظم عبودية قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ، ولذا الله سلمك جسدك تستخدمه كما تشاء قال تعالى: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٤).

○ ومن خلال الدين يعرفك ربك قيمة نعم الله في جسدك ، فبتسيبحة واحدة باللسان في لحظة يأخذ شجرة في الجنة ، يسير في ظلها الجواد المضر مائة سنة ما يقطعها – ولا حول ولا قوة إلا بالله : كنز من كنوز الجنة ، أما في الدعوة فأجور لا يعلمها إلا الله ، فالنجاشي قال كلمات لسيدنا عمرو بن العاص في حوالي دقيقة واحدة كانت سببا في هدايته، أخرج ابن إسحاق عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون – والله – إنني أرى أمر محمد يعلو

(١) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

(٢) سورة التين _ الآية ٤ .

(٣) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

(٤) سورة الكهف _ الآية ٢٩ .

الأمور علواً منكراً، وإنِّي لقد رأيتُ أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيتُ أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا لرأي. قلت: فأجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحبَّ ما يهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فو الله إننا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً. قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك، إنِّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا؛ فأعطنيهِ لأقتله فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره؛ فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً. ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟ قال قلت: أيها الملك، أذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه فإنه - والله - لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده. قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام. ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، ذلك قبيل

الفتح وهو مقبل من مكة. فقلت: أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله، لقد استقام الميسم، وإنَّ الرجل لنبي، أذهب - والله - أسلم فحتى متى؟ قال: قلت: والله جئت إلا وسلم. قال: فقدمنا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدّم، خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إنني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدّم من ذنبي ولا أذكر ما تأخّر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عمرو، بايع فإنَّ الإسلام يجبُ ما كان قبله، وإنَّ الهجرة تجبُ ما كان قبله ». قال: فبايعته ثم انصرفت. كذا في البداية . وأخرجه أيضاً أحمد، والطبراني عن عمرو نحوه - مطوّلاً. قال الهيثمي: رجالها ثقات. انتهى(١).

ومعروف بسبب هدايته كم هو جاهد في نشر الإسلام ، وانتقل بإمكانياته من معسكر الشيطان إلى معسكر الرحمن، وكان قائد فتح مصر، ولذا قالوا: أن أهل مصر في صحيفة عمرو بن العاص ومن معه من الجنود، وأهل مصر وعمرو بن العاص في صحيفة النجاشي رضي الله عنه.

وكذلك تعرف أهمية طاقات الفكر، القلب، الأذن، الرجلين، النظر.

ففي الدعوة تعبيد كل الجوارح للدين بخلاف العابد تماماً ، مثل الذي يسبح في الماء بخلاف الذي يسير على الأرض ، ولذا الآية قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٢) .

○ هذا الجهد اجتناب من الله لخير خلقه الأنبياء، ولو كان هناك أفضل منه لأعطاه لخير خلقه، ولهذا لا يستخدم الله أي إنسان فيه إلا بصدق القلب، قال تعالى: ﴿ إِلَّا

(١) حياة الصحابة - قصصه عليه السلام في الأخلاق - إسلام عمرو بن العاص ١٣٥/١ .

(٢) سورة الشوري - الآية ١٣ .

تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» (١) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢) فالله لا يحتاج لنا لنصره دينه ، ولكن نحن فقراء إلى الله نطلب ونلح بالصدق أن الله يستخدمنا في هذا الجهد .

○ الذي يجتهد للدنيا ويجمع منها الكثير عند الموت يصير مورث كبير ويحاسب عليه، أما الذي يجتهد للدين عند الموت يصير وارث كبير، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) نظام الدنيا نظام ائتمان [نحاسب عليه] وفي الجنة نظام تمليك .

يحيا الدين بـ تخرج ، وتُخرج ويموت الدين بـ : تجلس وتُجلس غيرك.



(١) سورة التوبة _ الآية ٤٠ .

(٢) سورة فاطر _ الآية ١٥ .

(٣) سورة المؤمنون _ الآيتان ١٠ ، ١١ .

جهد الدعوة إلى الله

بمزاج التقوى

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَأَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا تُكْثِرْ الضَّحْكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ " رواه أحمد والترمذي وقال أبو عيسى هذا حديث غريب (٤).

أيها الأحبة: أيها الأخوة هذا الجهد المبارك ثمرته تحصيل التقوى، فعندما يدخل أهل الجنة الجنة، ربنا لا يصفهم بكلمة جهد ((إن المجاهدين)) بل { إِنَّ الْمُتَّقِينَ }،

(١) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

(٢) سورة المؤمنون _ الآية ٦٠ .

(٣) سورة المرسلات _ الآية ٤١ .

(٤) مشكاة المصابيح _ كتاب الرقاق ٣ / ١٤٣٠ .

وهل قال: (وَسِيقَ الَّذِينَ جَاهَدُوا...؟) لا، بل قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (١).

ما معنى التقوى؟؟

أن تضع سخط الله أمامك، تتقي أن يسخطك، تتقي أن تعمل عمل يدخلك النار، تتقي الغيبة وتتقي النميمة، تتقي إيذاء أخيك المسلم، تتقي الله في أخيك الطيب وتتقي الله في أخيك الجاهل.. ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢)... اصبر عليه، لا تشمت به لما يعص الله؟؟ اتق الله فيه، اتق الله في نفسك، اتق الله في أسرتك...

والله سبحانه وتعالى مدح الجهد ليس بمزاج التعاضم (نحن)، بل بمزاج التقوى... قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٣). يومياً يمشون... ويومياً يتقوا الله في الجاهل { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } يومياً يقوموا الليل { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا } هذا جهد الليل بعد جهد النهار... { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } جهد بمزاج التقوى.

هذا المزاج إذا أرتة ربنا يمكنك منه، فقد أذن لأصحاب هذا الجهد أن يرفعوا أيديهم ويقولون : ربنا ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٤)، أول مدرسة للتقوى ليست

(١) سورة الزمر _ الآية ٧٣.

(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩ .

(٣) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٤) سورة الفرقان _ الآية ٧٤ .

مدرسة الصيام و هي تُعَلِّمُ التَّقْوَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) ، لكن هذه المدرسة تأخرت بعد أربعة عشرة سنة من بعثته فتحت هذه المدرسة ولمدة شهر ولمرة واحدة كل سنة، ويداوم فيها فقط بشهر رمضان.. لكن مدرسة الجهد يوميا مفتوحة تخرج المتقين.

فأعظم مدرسة للتقوى، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٢).

كل يوم أتق الله في هذا الجاهل وأمشي إليه، وأصبر عليه، ولا أذكر عيوبه، و الأطفه... ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣) تتقي الله بالجاهل ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٤) اتقاء الله في الجاهل .

هكذا أحيانا نتقي الله في الجاهل الذي يعصى الله ولا نتقي الله في أخينا المسلم الخارج معنا.. الشيطان خبيث... يجتهد عليك.

يومياً يمشون، ويومياً يبيتون يدعون لهذا الجاهل، بالنهار يلاطفوه، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ

(١) سورة البقرة _ الآية ١٨٣ .

(٢) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٤) سورة فصلت _ الآية ٣٤ .

رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
﴿١﴾.

إلى أين ماشي؟؟ وما هو مقصده؟؟ يتق الله في هذا الجاهل... ومن هو الجاهل
في القرآن الكريم؟؟... من الجاهل عند ربنا؟؟

ليس الجاهل من جهل دنياه إنما الجاهل من يعصى الله عز وجل وكفا بالمرء علماً
أن يطيع الله.

مع كل طاعة علم بالله وبصفاته، ومع كل معصية جهل بالله وصفاته، ولو معك
ألف دكتوراه بالشرعية.

ربنا ما جعلك طائع و جعله عاص لله حتى تحقر الجاهل.. فليس رسالة المعلم
في المدرسة تحقير الجاهل، أنت لا تفهم اطلع من المدرسة!! هو لو أن يفهم ما
جاءك.. هو لا يفهم، وجاءك حتى تعلمه.

وليست رسالة الطبيب تحقير المريض، لماذا تأكل من هذا الطعام الفاسد؟؟ ولماذا
عرضت نفسك للمرض؟؟ و إنما رسالة الطبيب أن يأخذ بيد المريض ويلطفه حتى
يصل به إلى الشفاء.. فإذا ربنا أخرجك في سبيله، وأعطاك هذا الجهد المبارك،
وأعطاك الصفات الطيبة، ليس من أجل أن تحقر إنسان لا يعرف ربه ويعص الله عز
وجل.. بل يجب أن تمشي له.. تكرمه بالمشي إليه.. وبعد أن تكرمه بالمشي إليه
تكرمه بالكلام الطيب، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢) مع أنه يُذبح
الأبناء، سفاك دماء ومجرم كبير لكن يا موسى اتق الله فيه، واجعل مقصدك من

(١) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٢) سورة طه _ الآية ٤٤.

المشي اليومي والسفر اليومي ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ (١) وكل يوم فرعون يقول: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ (٢) أسوء طمع إنسان يطمع في قتلك، وأحسن طمع إنسان يطمع في هديتك... فيقابل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أسوء طمع ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ (٣) بأحسن طمع، يا الله اجعلني سبب لهدايته، اجعلني سبب حتى يقول لا إله إلا الله وتغفر له كل الذنوب ويصبح عريس في الجنة ومن أهل الجنة.

فالذي يتق الله في فرعون، فكيف لا يتق الله في بني إسرائيل؟؟.

إذا مدرسة الجهد تعلمك التقوى بشرار الخلق، فكيف لا تتق الله في أخيك المسلم الذي يشاركك في الدعوة؟؟.

فإذا خرجنا وما تعلمنا أن نتق الله في كل إنسان، أخذنا جهد لكن الثمرة ضعيفة.. صحيح أن ربنا لا يضيع لك تعب، لكن الجهد الذي ينور قلبك بالإيمان وينور العالم كله هو الجهد بمزاج التقوى.. ربنا لا يضيع لك ذرة عمل لكن ما كل أجر يأتيك منه النور.. لكن ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (٤) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به: إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون

(١) سورة النازعات _ الآية ١٨ .

(٢) سورة غافر _ الآية ٢٦ .

(٣) سورة غافر _ الآية ٢٦ .

(٤) سورة الحديد _ الآية ١٩ .

له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" رواه مسلم^(١).

إنسان ينام مع زوجته ليعف نفسه وينبسط لها، له أجر عند الله، لكن النومه هذه لا تنور العالم.. ما في أحد يقول عندي أربع نساء كل يوم آتيهم والحمد لله الدين سوف ينتشر في العالم.. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (٢).

فالجهد بمزاج التواضع وليس بمزاج التعاضم .. فما نزلت ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣) لنتفاخر بها ولنتباهى بها على الناس.. وإنما نزلت لتتواضع بها للناس.. لنمشي بها إلى الناس.. لنخدم بها الناس.

فبنوا إسرائيل كانوا أفضل أمة في أيامهم، لاختيار ربنا لهم، ربنا يختار على علم وليس على جهل.. أنهم خير أمة في ذلك الزمان ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) وبعد ذلك نظروا إلى أنفسهم أن الأنبياء منا، ليس نبي ولا مئة بل ألوف الأنبياء منهم، وقالوا : (نحن شعب الله المختار) اختارنا وغيرنا شعب تافه.. فلما تعالوا على الناس صاروا أرذل الناس.

فما جاءت ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥) حتى تتعالى على الناس.

(١) رياض الصالحين _ باب بيان كثرة طرق الخير .

(٢) سورة الحديد _ الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٤) سورة الدخان - الآية ٣٢ .

(٥) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

فعندما نذكر فضائل الدعوة، نذكر فضائلها ولا نَعْنِي أنفسنا لأننا لسنا دعاة ..
لكن تَذَكُر فضائل الدعوة وتَعْنِي نفسك؟؟ مَنْ أَنْتَ؟؟ ومتى صرت داعية؟؟ وهل صار
عندك هَمٌّ للدين؟؟ مَنْ مَنَّا بات ليلة واحدة وأصابه القَلَقُ في منامه لأن الدين ناقص
عند جيرانه أو في بيته .. (كلام الهَمِّ شيء والهَمُّ شيء آخر).

فنذكر الدعوة وفضائلها ونُبْرهن على أَنَّ أهلها هُمُ الصَّحابة رضي الله عنهم
﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (١) ونتواضع ونقول يا ليتنا من خُدَّام
أهلها... فهذا التواضع ربنا ينورك وينور قلبك.. فما أحسن القديم عندما يخرج
بنفسية الجديد.. لأن الجديد يخرج بنفسية الخوف وهو يتَذَكُر ذنوبه، لكن القديم وهو
يتَذَكُر الأشهر التي خرجها.

فيا إخواننا الداعية هو الذي يَعِدُّ سيئاته وينسى حسناته، لأن الحسنات ليست من
عندنا (وأبواً بنعمتك عليَّ) أي أن الحسنات نعمة الله (وأبواً بذنبي فاغفر لي) أي
أن السيئات من عندي... فالحسنات نعمة الله ويسلبها إن شاء فاشكر ربنا حتى يثبت
هذه النعمة وينسبها إليك.

لهذا يقول مشايخنا الكرام في النهار نجتهد جهد متعب، وبعد أكمل جهد تقوم في
الليل حتى تنفي جهدك ... فما أحسن النفي بعد الإثبات... فبعد أكمل جهد، الصحابة
بعد ما رموا في بدر أحسن رمى، وقتلوا أحسن قتل نزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٢) لكن لو واحد قاعد في البيت وقال : الله الذي رمى .. ماذا
نفي هذا؟؟ نفى كسله.. بعد ما سيوفهم قتل المشركين في بدر نزلت آية ﴿فَلَمْ
تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ (٣).

(١) سورة الفتح _ الآية ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال _ الآية ١٧ .

(٣) سورة الأنفال _ الآية ١٧ .

فعندما نخرج جهد كامل بإذن الله وبعدها تأدب مع الله وقل هذه نعمة الله، وإن الله وفَّقني لهذا الجهد، وتتواضع واذكر سيئاتك فالجهد بمزاج التواضع وبمزاج التقوى ينشر الدين وليس بمزاج التعاطف.. فنجدد الخروج مرة أخرى حتى نخرج بمزاج التقوى.. لا نرى أنفسنا أفضل من الذي ما خرج، لأن الخروج أفضل من القعود.. لكن ليس أنا أفضل منه، نفاضل بين الأعمال ولا نفاضل بين العمال.. لأننا لا نعرف ممن يتقبل لله.. ممن ربنا يتقبل؟؟ إنما يتقبل الله من الدعاة؟؟ من المجاهدين؟؟ صحح آيتك وقرأها ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

يخرج الإنسان لأربع شهور فيتغير جسده ويتعب حتى يرضي ربه... وبعدها يسهل عليه أن يسخط ربه بالغيبة أو النسيمة.. يا رجل أربع شهور تغيرت حتى ترضيه وهان عليك سخطه؟ فإما أن تغتاب صاحبك، أو تأكل من حرام أو من شبهة، أين تعبك، أين تعبك؟؟.

نظام الدنيا عندنا أول شيء ليس كيف أرضي سلطان بلدي، بل كيف لا أغضبه حتى لا يضعني في السجن... أول هدف كيف ما أسخط السلطان.. فترك كل المحذورات لأني أخاف من سجنه.

لهذا دعوة نبينا والثبات عليه بمزاج الخوف قل يا محمد لماذا أثبت على الدعوة؟؟ ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) ربنا يعلم نبيه الثبات على الجهد بمزاج الخوف من عذابه بمزاج التقوى، حتى يسهل علينا ماذا؟؟ لما يكون الجهد والتعب أربع شهور بمزاج الخوف.. يسهل علينا ترك الغيبة بمزاج الخوف.. يسهل علينا ترك أكل الحرام بمزاج الخوف ﴿ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً

(١) سورة المائدة _ الآية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام _ الآية ١٥.

قَلِيلًا ﴿١﴾ ربنا يخوفه بمزاج الخوف، قال تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (٣) هذه آيات مكية كلها التحذير من التهاون بالدعوة { وَلَا تَرْكَنُوا } إلى بيئة القاعدين، بيئة أهل الدنيا وتتركوا الدعوة ساعة من الزمن { فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ }.

الجهد بمزاج التقوى وبعدها يسهل عليك ترك الغيبة وترك النميمة وترك أكل الحرام.

جهد بمزاج التقوى تكون من أهل الفردوس الأعلى، رفع رجل يديه أمام الحسن البصري وقال: اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى.. فقال له الإمام الحسن البصري: إلى جانبك رجل أقصى غاياته أن ربنا يرحمه عن نار جهنم يقصد به نفسه.. يعني لا أستطيع أن أسأل الله الفردوس الأعلى.. يستحي لأنه ما عنده أعمال تمكنه من الفردوس الأعلى.

سيدنا إبراهيم عليه السلام جهده بأي مزاج؟؟

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٤).

هذا إبراهيم عليه السلام.. جهد بمزاج لعل هذا الجهد بسببه ربنا يغفر لي خطيئتي.. وأي خطيئة؟؟ خطيئته أحسن من حسناتنا.

سحرة فرعون بأي مزاج ضحوا بأنفسهم؟

(١) سورة الإسراء _ الآية ٧٤.

(٢) سورة الإسراء _ الآية ٧٥.

(٣) سورة هود _ الآية ١١٣.

(٤) سورة الشعراء _ الآية ٨٢.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَنَّا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُقْتُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَنَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

لما جاء السحرة وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم، وكان السحرة جمعاً كثيراً وجمّاً غفيراً، قيل: كانوا اثني عشر ألفاً، وقيل: خمسة عشر ألفاً، وقيل: غير ذلك، والله أعلم بعدتهم.

واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم، وقال قائلهم: { لَعَنَّا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } ، ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى، بل الرعية على دين ملكهم { فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ } أي إلى مجلس فرعون، وقد جمع خدمه وحشمه، ووزراءه ورؤساء دولته، وجنود مملكته، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم أن غلبوا فقالوا: { أَئِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } أي وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي، فعداوا إلى مقام المناظرة { قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ

الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا { وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى: { أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ } وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئاً هذا بثواب فلان، { فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ } أي تخطفه وتجمعه من كل بقعة وتتبلعه فلم تدع منه شيئاً. قال الله تعالى { فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } فكان هذا أمراً عظيماً، وبرهاناً قاطعاً للعذر، وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا، وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله، وكان وقحاً جريئاً عليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل، فشرع يتهدهم ويتوعدهم، ويقول: { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } تهدهم فلم ينفذ ذلك فيهم، وتوعدهم فما زادهم إلا إيماناً وتسليماً، وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده به وجعله له حجة، ودلالة على صدق ما جاء به من ربه، ولهذا لما قال لهم فرعون { آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ }؟ أي كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ولا تفتاتوا عليّ في ذلك، فإن أذنت لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ } وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل، ثم توعدهم فرعون { لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَنَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } أي لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به، { إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } أي المرجع إلى الله عزّ وجلّ، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء، ولهذا قالوا: { إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا } أي

ما فارقنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر، { أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ } أي بسبب
أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان، فقتلهم كلهم (١).

فالسحرة الذين جمعهم فرعون ليكونوا من جنده فجعلهم الله من جند الحق، بأي
مزاج استحقوا الشهادة وهانت عليهم أنفسهم، قالوا: { إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا
خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ } يعني افعل يا فرعون ما تفعل لعل هذا السيف يكون
سببا لمغفرة الله لنا، جهد بمزاج التقوى.

اليوم المجاهد نفخ حاله وحقر القاعد والداعي حقر الجالس، جهد بمزاج التعاضم

ربنا مدح الجهد بمزاج التقوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
(٢) ﴾.

أعظم جهد: جهد الأنبياء وأصحاب الأنبياء، جهد كامل متواصل، قال تعالى:
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ ﴾ (٣) .

ما دخل الوهن في قلوبهم ونحن كل يوم وكل ساعة يدخل الوهن في عظامنا..
جهد كامل متواصل.. وما هو دعائهم؟؟.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا
(٤) ﴾ وهم في هذا الجهد متذكرين إسرافهم وهم الأنبياء وأصحابهم.. ونحن نسينا
إسرافنا ونحن نقوم بهذا الجهد.

(١) مختصر تفسير ابن كثير _ تفسير سورة الشعراء.

(٢) سورة الحجر _ الآية ٤٥ .

(٣) سورة آل عمران _ الآية ١٤٦ .

(٤) سورة آل عمران _ الآية ١٤٧ .

هذا الجهد عظيم كيف ننتفع منه أحسن انتفاع؟؟

كما قلنا أن الله لا يضيع لنا ذرة في هذا الجهد ولكن كيف ننتفع منه أحسن انتفاع؟؟ لا بد من جهد بمزاج التقوى... شهوور يخرج وضحي المسكين بعدها عندما تأتي فرصة أكل الحرام لا يبالي... وهو يغتاب أخوه الطيب أي قديم يغتاب قديم.. شيخ يغتاب شيخ.. ما هو الرأي؟؟ ليس بأن تتركوا الجهد.

أعظم مدرسة التي تخرج التقوى هي الجهد، لما قال تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (١) ما كان عندهم حتى الآن لا صوم ولا حج.

ربنا ذكر الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل أعطانا فرصة الليل والنهار للجهد.. لكن نهار الآخرة ووقت الآخرة لا يصلح، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (٢).

يا رب من أحسن ممن استغل ظرف النهار؟؟ فالنهار ظرف، وأحسن مظروف أن تمشي إلى الجاهل.. فبدأ بجهد النهار، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٣).

والله لو علم ربنا أن هناك مظروف أحسن لهذا الظرف في النهار لوضعه.. أحسن نهار لموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ (٤) أحسن الليل

(١) سورة الفرقان _ الآية ٧٤.

(٢) سورة الفرقان _ الآية ٦٢.

(٣) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٤) سورة طه _ الآية ٢٤.

قول يا كريم وأحسن نهار تخلق بكرمه.. هذه التقوى.. بالليل تعلق قال تعالى: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (١) تعلق بكرمه حتى يكرمك بالجنة ويكرمك بالتقوى... وفي النهار إكرام أخوك.

في الليل يا حلیم وفي النهار اتق الله بحلمك واحلم على أخوك، النهار تخلق بهذا الحلم.. في الليل تدعو يا رحيم وفي النهار ارحم الخلق.

في الليل تدعو يا ودود وفي النهار تودد إلى أخوك اتق الله بالتودد إليه ليس بل عبس في وجهه والغضب عليه. (البر شيء هين وجه طليق وقول لين)، فقط معك الوجه الطليق والكلمة الطيبة وامشي وحافظ على هذا الوجه الطليق... هذا معنى قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

في الليل يا ودود، وعندما ربنا يتودد إليك لا يتودد لك بكوب شاي.. بل يتودد لك بجنة عرضها السماوات والأرض وأنهار اللبن ويقول لك يا عبي هل رضيت؟؟ راضي عني.. يعطيك ويسترضيك.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٣) حتى الله يتودد لك بجنة عرضها السماوات والأرض تود أخوك تودد، تودد لأخوك ببسمة صغيرة بالبسمة وتقول: يا رب أعطني جنة.

بالليل تدعو يا ودود وبالنهار تودد للخلق، بالليل تدعو يا غفور وبالنهار اغفر للناس.. (بالليل تعلق و في النهار تخلق).

هذه مدرسة التقوى... هذه مدرسة مفتوحة ليس فقط بشهر رمضان.. بل رمضان وشعبان... أربعة وعشرين ساعة فتحت المدرسة ومنذ أن بعث النبي صلى الله عليه

(١) سورة المزمل - الآية ٨.

(٢) سورة الأنعام - الآية ١٢٢.

(٣) سورة مريم - الآية ٩٦.

وسلم ولا تغلق حتى قيام الساعة... لا تنتظر حتى يأتي رمضان لتتعلم التقوى... إذا جاء رمضان زادهم تقوى ليس علمهم.

درجة الإمامة في التقوى ما كانت تعطى إلا للأنبياء، منزلة تليق بالنبى فقط، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (١) لكن لما شرف الله هذه الأمة أعطاها هذه المرتبة إذا قامت بهذا الجهد بحب التقوى وبمزاج التقوى.

فأذن لهم بالدعاء حتى يستجيب لهم قال لهم ادعوا: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٢) لكن يمشون بعد ما يبيتون.. لكن عندما لا نمشي إلى الناس في النهار ولا نصبر على الجاهل ندعوه إلى الله، ونكون بالنهار مع أولادنا نضحك وبالليل نتمازح. ونرفع أيدينا ربنا ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٣) أنت الآن إمام للغافلين ليس إمام للمتقين.. فقدم السبب على الدعاء.. أعظم سبب للتقوى يمشون إلى الجاهل.. يتق الله في الجهل.. وأنت اتق الله في العاقل.

واحد كله شر وسترت عيوبه من أجل هدايته كيف لا أسر عيوب أخي المسلم؟؟
الوقوع في سخطه سهل وكسب مرضاته صعب أربع شهور جاهدوا.. لكن الغيبة والنميمة وأكل الحرام توقعك في سخطه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ (٤) اتقوا الظن السيئ الآية حذرت من ثلاث أمور وقالت اتقوها.. أولها اتقوا الظن السيئ.. ما ظننت بإخواني والحمد لله طيبين... لكن واحد قال لي: أنت لا

(١) سورة البقرة _ الآية ١٤٢.

(٢) سورة الفرقان _ الآية ٦٥.

(٣) سورة الفرقان _ الآية ٧٤.

(٤) سورة الحجرات _ الآية ١٢.

تعرفهم تعال معي أبين لك أحوالهم.. هذا اسمه تجسس.. لا تبحث عن عيوب
إخوانك.. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (١) .

حسنت الظن وما تجسست وأنت قاعد أنك الخبر اليقيني بدون سوء ظن و بدون
تجسس... أخبرك عشرون واحد أن فلان فعل كذا كذا... وجاءك الخبر اليقيني
بعيوبه... بعدها ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (٢) بعد مجيء الخبر اليقيني، بدون تجسس
وبدون سوء ظن.. استر عليه عيوبه.

الغيبة: معناها جاءك الخبر اليقيني بعيوبه .. استر: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٣) ماذا بعدها: (وَأَتَّقُوا اللَّهَ) يا خارجين أربع شهور، اتق الله..
وحسن الظن، اتق الله ولا تتجسس.. اتق الله ولا تغتاب.

هذا الأمر بتقوى الله كان موجه إلى أكبر مجاهدين إلى أكبر دعاة في العالم..
وربنا من فوق عرشه يطرق أذن سيد الخلق بالأمر بالتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ
اللَّهَ﴾ (٤) أشرف منزلة ربنا جعلها منبع لكل خير.. فالتقوى تنبع من مرتبة الإحسان
لن تكون محسن في جهدك وأنت ما عندك تقوى لأكل الحرام ولا الغيبة ولا النميمة.

ومن التقوى ينبع بعد ذلك مرتبة الصبر، لخص سيدنا يوسف عليه السلام
معاملته لربه، بالرق وفي السجن وهو على خزائن مصر بكلمتين: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ
وَيَصْبِرْ﴾ (٥) وضعوني في الحب واتقيت الله وما وضعت في قلبي الحقد عليهم، أي
اتقى الله في إخوانه واتقى الله في الذين سجنوه، وما دعا عليهم، ودبر لهم خطة
اقتصادية تنقذ ميزانية مصر من إفلاس سبع سنين ما قال: هؤلاء يستحقوا ذلك لأنهم

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٢ .

(٢) سورة الحجرات _ الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجرات _ الآية ١٢ .

(٤) سورة الأحزاب _ الآية ١ .

(٥) سورة يوسف _ الآية ٩٠ .

طواغيت.. واتقى الله في التي فتنته وما حَوَّلَ القضية على امرأة العزيز، اسألوا امرأة العزيز.. بل قال: ﴿ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (١) ستر عليها: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ (٢) هذه خلاصة جهد سيدنا يوسف (تقوى وصبر).

المنافقين يكيدوا للمسلمين، لكن لا نستطيع أن نحمل سيوفنا ضد المنافقين لأنهم يقولوا لا اله إلا الله... فلو أحدهم قال: افرض أن هذا المسلم عنده عيوب، نقول له: لكن لا تصل عيوبه إلى عيوب المنافقين.

فكيف المسلمين يتقوا شر المنافقين؟؟ نتقي شر الكفار بالسيف؟، لكن لا يستطيع الرسول أن يشهر سيفه ويقطع رأس عبد الله بن أبي، فقد حدث بعد غزوة المريسيع سنة ست من الهجرة ورد الناس الماء، وفيهم عمر، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وير الجهني - حليف بني عوف بن الخزرج - على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قريش، فقال: ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لنرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم؛ أحللتموهم بلادكم، وقاسمتوهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عبادة بن بشر فليقتله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ نا ولكن أذن بالرحيل». وذلك في ساعة لم

(١) سورة يوسف - الآية ٥٠.

(٢) سورة يوسف - الآية ٩٠.

يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ . وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ
 بِنُ أَبِي ابْنِ سُلُوقٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ
 بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قُلْتَ مَا قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتَ بِهِ . - وَكَانَ فِي قَوْمِهِ
 شَرِيفًا عَظِيمًا - ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ
 أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغَنَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ
 الرَّجُلُ . فَلَمَّا اسْتَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ لِقِيَاهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ،
 فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ النَّبِيِّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ رَحُتَ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ
 مَا كُنْتُ تَرَوْحُ فِي مِثْلِهَا؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا
 قَالَ صَاحِبُكُمْ؟» ؟ قَالَ : وَأَيَّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي» . قَالَ :
 وَمَا قَالَ؟ قَالَ : «زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَّ» . قَالَ :
 فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ تَخْرِجُهُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ ، هُوَ وَاللَّهِ الذَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ . ثُمَّ
 قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْفُقْ بِهِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظُمُونَ لَهُ
 الْخَرَزَ ؛ لِيَتَوَجَّوهُ ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلَبْتَهُ مُكَا. وجاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ ،
 فَإِنْ كُنْتُ لَأَبْدُ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَرَزُ مَا
 كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرَ بَوَالِدِهِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلُهُ فَلَا تَدْعَنِي
 نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ فَأَقْتُلُهُ ، فَأَقْتُلُ رَجُلًا مُؤْمِنًا
 بِكَافِرٍ ، فَأَدْخُلُ النَّارَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ،
 وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا » وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ الْأَحْدَثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الَّذِينَ
 يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيَعْنَفُونَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
 حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ : «كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي أَقْتُلُهُ

لَأُرْعِدَتْ لَهُ أَنْفٌ لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ « ؛ فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي (١).

وصدق الله: ﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ (٢).

فأعظم فتنة سلط الله عليهم الأمر بالتقوى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾ فتنة الاختلاف سلط عليها الضوء وأفردها بسورة الأنفال.. وكل الفتن نتقيها لكن شر فتنة، ولو ملأت الأرض جهد وعملت مشكلة وأوقعت الخلاف بين الناس.. يا ليتك ما اجتهدت، فالقاعد والمسلمين سالمون من شرها أحسن من الخارج وشره على الناس، فأول مرتبة في الإسلام ، أن يسلم المسلمون من لسانك ويديك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ " متفق عليه (٣).. أول مرتبة لم تحققها!! فكيف ستحقق المراتب العليا في الإسلام؟؟

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)(٦).

(١) سيرة ابن هشام (٢٩١-٢٩٣) بتصرف يسير..

(٢) سو آل عمران _ الآية ١٢٠.

(٣) رياض الصالحين _ باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم.

(٤) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

(٥) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

(٦) وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ مُوسَى ، عَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ : سَأَلْتُ عَبَادَةَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، فَقَالَ : فِينَا - أَصْحَابُ بَدْرٍ نَزَلَتْ ، حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ ، وَسَاعَتْ فِيهِ أَخْلَافُنَا ، فَانْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا ، وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ

اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَمَهُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ بَوَاءٍ - يَقُولُ : عَنْ سَوَاءٍ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا : حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ ، عَنْ عَبْدِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا ، فَالْتَقَى النَّاسُ ، فَهَرَمَ اللَّهُ [تَعَالَى] الْعَدُوَّ ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزُمُونَ وَيَقْتُلُونَ ، وَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهِ وَيَجْمَعُونَهُ . وَأُحْدِثَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يُصِيبُ الْعَدُوَّ مِنْهُ غَرَّةٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ، وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ : نَحْنُ حَوِينَاهَا ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ . وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ : لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا ، نَحْنُ مَنَعْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَرَمْنَاهُمْ . وَقَالَ الَّذِينَ أُحْدِقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَسْتُمْ بِأَحَقَّ مِنَّا ، نَحْنُ أُحْدِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَخَفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوَّ مِنْهُ غَرَّةٌ ، فَاشْتَغَلْنَا بِهِ ، فَنَزَلَتْ : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا غَارَ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ نَفَلَ الرَّبِيعَ ، فَإِذَا أَقْبَلَ وَكَلَّ النَّاسَ رَاجِعًا ، نَفَلَ الثَّلْثَ ، وَكَانَ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ وَيَقُولُ : لِيَرِدَ قَوِيَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرُقٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَنْ صَنَعَ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ، فَتَسَارَعَ فِي ذَلِكَ شَبَّانٌ = الرَّجَالِ ، وَبَقِيَ الشُّيُوخُ تَحْتَ الرِّايَاتِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْمَغَانِمُ ، جَاءُوا يَطْلُبُونَ الَّذِي جُعِلَ لَهُمْ ، فَقَالَ الشُّيُوخُ : لِمَا تَسْتَأْتِرُوا عَلَيْنَا ، فَإِنَّا كُنَّا رِدَاءً لَكُمْ ، لَوْ انْكَشَفْتُمْ لَفَتْنَمُ إِلَيْنَا . فَتَنَازَعُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ إِلَى قَوْلِهِ : وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (وَقَالَ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَمَنْ أَتَى بِأَسِيرٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا . فَجَاءَ أَبُو الْيَسْرِ بِأَسِيرَيْنِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَعَدْتَنَا ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أُعْطِيتَ هَوْلَاءِ لَمْ يَبْقَ لِأَصْحَابِكَ شَيْءٌ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ هَذَا زَهَادَةً فِي الْأَجْرِ ، وَلَا جُبْنَ عَنِ الْعَدُوِّ ، وَإِنَّمَا قُمْنَا هَذَا الْمَقَامَ مُحَافِظَةً عَلَيْكَ ، نَخَافُ أَنْ يَأْتُوكَ مِنْ وَرَائِكَ ، فَتَسَاجِرُوا ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ) : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ (قَالَ : وَنَزَلَ الْقُرْآنُ : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ (لِلرَّسُولِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الْأَنْفَالِ : ٤١ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْأَنْفَالُ : الْغَنَائِمُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرِ .
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ ، كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ خَالِصَةً ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهَا شَيْءٌ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أَي: اتَّقُوا اللَّهَ فِي أُمُورِكُمْ ،
وَأَصْلِحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَلَا تَظَالَمُوا وَلَا تَخَاصَمُوا وَلَا تَشَاجِرُوا ؛ فَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنَ
الْهُدَى وَالْعِلْمِ خَيْرٌ مِمَّا تَخْتَصِمُونَ بِسَبَبِهِ ، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أَي: فِي قَسْمِهِ
بَيْنَكُمْ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ قَسَمَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا تَحْرِيجٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّقُوا [اللَّهُ] وَيُصْلِحُوا
ذَاتَ بَيْنِهِمْ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، إِذْ
رَأَيْنَاهُ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَائِيَاهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
؟ فَقَالَ: رَجُلَانِ جَثِيًّا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّ الْعِزَّةِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا
رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، لَمْ
يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ. قَالَ: رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي، قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لِيَوْمٌ عَظِيمٌ، يَوْمٌ يَحْتَاجُ
النَّاسُ إِلَى مَنْ يَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصْرَكَ فَانظُرْ
فِي الْجِنَانِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَانِينَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِ " الْأَمْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ وَبَيَانِ جِهَاتِهَا
وَمَصَارِفِهَا " : أَمَّا الْأَنْفَالُ : فَهِيَ الْغَنَائِمُ ، وَكُلُّ نَيْلٍ نَالَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الْحَرْبِ ، فَكَانَتْ
الْأَنْفَالُ الْأُولَى إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) فَفَسَمَهَا يَوْمَ بَدْرِ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي حَدِيثِ
سَعْدٍ ، ثُمَّ نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ آيَةُ الْخُمْسِ ، فَنَسَخَتْ الْأُولَى (تفسير ابن كثير).

بِاللُّؤْلُؤِ ، لَأَيِّ نَبِيِّ هَذَا ؟ لَأَيِّ صَدِيقٍ هَذَا ؟ لَأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا لِمَنْ أُعْطِيَ
 التَّمَنُّ . قَالَ : يَا رَبِّ ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ تَمْلِكُهُ . قَالَ : مَاذَا يَا رَبِّ ؟ قَالَ : تَعْفُو
 عَنْ أَخِيكَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ
 الْجَنَّةَ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، فَإِنَّ
 اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فتنة الاختلاف؛ لو اثنين اختلفوا لا يقولوا اثنين بل يقولوا أهل الدعوة اختلفوا...
 المسلم مرآة للإسلام... مرآة لدينه كله... مرآة للمجتمع الإسلامي فالكفار عندما
 تكلموا على الإسلام وذموه لم يقرئوا كتب بل عندما رأوا أهله... يقولوا : أهل الدين
 تقاتلوا.

وما نزلت هذه الآية في الصحابة، استمر الخلاف بينهم شهرين.. فقط تسألوا
 خمس دقائق نحن أحق بالأنفال الشباب يقولوا نحن أحق بالأنفال والأنصار يقولوا
 نحن أحق بالأنفال وبعدها أحالوا القضية على الرسول ﷺ، وبعدها نزل قرآن يجيب
 على الأسئلة التي حولها على الشرع.. وهي كيف نعمل بالأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ
 الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } فالسؤال رقم واحد و ربنا جعل الجواب في آية رقم أربعين... أولاً
 هياهم (التقوى قبل الفتوى)... فأول آية في سورة الأنفال، لكن يا معشر الصحابة
 يا معشر أهل بدر وهم سادة الخلق قبل الجواب {اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} ولا
 تختلفوا (ما في تقوى وما في جواب) (بدون تقوى ما في فتوى)... لو كل الناس
 قالوا : هذا حرام وأنت نفسك تحب فعله... تتجاوز كل الفتوى.

ونحن خلفنا يستمر سنين وما في تقوى.. ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١). من هؤلاء؟؟
أهل بدر أن مرة ثانية لا تختلفوا.. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا
يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾
(٣).

جهد مع (وحدة الصف) جهد مع (وحدة الكفر).. هذا الجهد الذي يحيى ليس جهد
مع الخلاف، رأيك غير رأي، فطريق التقوى هو الجهد حسب الأصول، كما قال الشيخ
جمشيد: (جهد الرسول بإتباع الأصول، حسب الأصول طريق الوصول)، ليس طريق
التقوى الجهد على كيفك! ليس فاستقم كما أحببت بل ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ
مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤) هذا التقوى... لكن كما أحببت سهل تخرج
إلى مكان تحبه وتختاره الجماعة التي بدك إيها هم ويا الله شمة هوى.. وآخر شيء
تشاور الأمير، نريد أن نذهب إلى البلد الفلاني، فالمسكين ماذا سيقول الله في هذا
الجهد؟؟ ما قال وأمتك. وما قال من آمن.. وقال: { وَمَنْ تَابَ مَعَكَ }.

فأول عبودية تقول لا إله إلا الله، والتوبة من عبادة الأصنام، فأول عبودية
التوبة، وبعد التوبة الدعوة، فالدعوة ورثتهم التقوى، ومع استمرار التضحية هناك
منزلة خصوصية في التقوى هي الإمامة خواص الأتقياء... (التوبة فالدعوة فالتقوى
فالإمامة وآخر مرحلة الخلافة).

(١) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنفال _ الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

(٤) سورة هود _ الآية ١١٢.

الآن لا يوجد استخلاف ولا إمامة ولا تقوى ولا دعوة ولا توبة إلا من رحم ربي..
وإنشاء الله تكونوا ممن رحمهم ربي.

أول عبودية: أن عابد الصنم تاب وقال لا إله إلا الله وانتهى الشرك.. وبعد هذه التوبة ربنا فرض الصيام أم الحج ؟؟ فرض الدعوة.

أول عبادة مفروضة في السنة العاشرة للبعثة وصيام كصيامه بعد أربعة عشر سنة من البعثة.. وحج كحجه بعد عشرين سنة من البعثة.. ولكن من أول يوم دعوة كدعوته.

التوبة فالدعوة فالتقوى فالإمامة ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (١) حتى الآن ما في صيام ولا حج.. لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢). ربنا يمدح من فوق عرشه أعظم عبودية نشأت على الأرض.. فالمقصد الذي خلقنا الله من أجله ما سماه دعوة بل سماه عبادة.. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) .

خلق الأنبياء حتى يعبدوه، وخلق موسى عليه السلام حتى يعبد.. والدعوة وسيلة لتحقيق أكمل عبودية وأعظم عبودية ولحفظ العبودية ولتقوية العبودية ولنشر العبودية.

وبدون الدعوة العبودية ضعيفة، سرعان ما يفتن صاحبها، لهذا ربنا لا يقول والدعاة ، بل قال: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } لأنهم حققوا أعظم عبودية عن طريق

(١) سورة الفرقان - الآية ٧٤.

(٢) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٣) سورة الذاريات - الآية ٥٦.

الدعوة...بالنهار يمشي إلى الكافر ويدعوه إلى الله، و في الليل كانوا يتعبدون بالسجود والركوع تعبدا و في النهار يمشون تعبدا والمقصد واحد.

أيهما أعلى مستوى زمن أعظم عبادته صلى الله عليه وسلم بالليل ساجدا، أم في النهار ماشياً إلى أبو جهل؟؟ نفس المستوى.. نفس المقصد.. ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١) في بعض التفاسير ليس معناها ابق ساجداً ولا ترفع رأسك بل هو مقام أربعة وعشرين ساعة، تسجد أخلاقك، سجد جهدك، سجد مقصدك، امشي إلى الناس.. فجسمك يمشي وروحك ساجدة.. فكرك ساجد لله، تعلق بالله بالسجود وتعلق بالله وأنت تمشي إلى الجهال { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } يعني يعبدوني وهم يمشون، ويسترحموني وهم يمشون.

فلو صفة العبادة إلى هذا الاسم المبارك { الرَّحْمَنِ } فعندما تقول { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } في الفاتحة كيف تعمل علاقة مع الرحمن؟؟ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فلا يوجد نسب بين البشر وبين الله فلا يوجد أعمام للرحمن ولا أخول!! ماذا لديه؟؟ عباد، (الله أرحم بخلقه؟ ولا بعبدته؟) إبليس مخلوق لكن لا ينال ذرة من رحمة، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَبِيٌّ ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ تَدْيِهَا تَسْعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُرْوُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَكِدَهَا فِي النَّارِ ؟ فَقُلْنَا : لَآ ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا . "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (٢).

فهذا الجلسة تسترهم رحمة ربنا فهو رحمن لا تستطيع أن تتصور قدرها.. إذا ربنا يقول في المشهد { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ }.

(١) سورة الحجر - الآية ٩٨ .

(٢) مشكاة المصابيح - كتاب أسماء الله تعالى - باب رحمة الله - رقم الحديث (٢٣٧٠).

صنفان:

- (١) صنف يشتري لهو الحديث: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١)
- (٢) والصنف الآخر: يحقق أعظم عبودية ألا وهي التضحية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢).
ما هو حظه من التضحية في سبيل الله؟؟ رأفة الله.
منك التضحية ومن الله الرأفة { وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } فتستحق الصحابة رأفة ربنا.
فخلاصة جهد سيدنا يوسف: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

بماذا حقق الصبر والتقوى؟؟ بجهد الدعوي.. (حب الخير للغير).

فلخص معاملته لربه: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
(٤).

ولخص معاملته ربه له: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ (٥) وقع في الجب ولكن وقع للطف.. الرق لطف.. متى تعرف صفة اللطف؟؟ عندما تأتي نازلة وأحوال مثل سيارة انقلبت عشر قلبات وكان من المفروض عظامك تتكسر، لكن الله لطف الحمد الله (يا لطيف لم تزل أطف بنا في منزل).. فلما تأتي النازلة وعندك صبر وتقوى ربنا سيظن بك.. وأعظم نازلة مصيبة الموت وإذا تجد الحوريات تضحك في وجهك وتهون عليك الموت.

(١) سورة لقمان- الآية ٦.

(٢) سورة البقرة- الآية ٢٠٧.

(٣) سورة يوسف- الآية ٩٠.

(٤) سورة يوسف- الآية ٩٠.

(٥) سورة يوسف- الآية ١٠٠.

فالدعوة فالتقوى.. لكن الدعوة بمزاج التقوى، أطلبها من ربنا.. إما أن تزني يا يوسف وإما نضعك في السجن: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ (١) فالذي يتقي الله ماذا سيقول؟؟ والله لا أرتكب حرام ولو ذبحوني، فعندما خير بين السجن وارتكاب الحرام، فوراً ما تردد: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (٢) . فلما يعرض عليك حرام وتختار السجن هذه هي التقوى، لا تقول أن لي رخصة لارتكاب الحرام لأني سأسجن، أو لي رخصة لأن الأحوال لا تساعد على التقوى فترتكب الحرام، وكم خارج أربع شهور؟ أربع شهور تعبان حتى ترضي ربك: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (٣) لهذا قال: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤).

متى جاء الإحسان، بعدها يأتي التقوى.. ما في تقوى فكيف تريد أن تحسن؟؟ (إذا أحب الله عبداً جمع له بين الإحسان والخوف) يتقي خائف على نفسه ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٥). من الخير وجهد { قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }.. (إذا أحب الله عبداً جمع له بين الإحسان والإشفاق).. (وإذا مقت الله عبداً جمع له بين الإساءة والأمن)...لم يعمل شيء من الأعمال الصالحة، ويرى نفسه شيخ المتقين... (بين الإساءة والأمن) ... ونريد أن نكون مع من؟؟ مع الجماعة { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } أربع أشهر خارج، أو سنة خارج وخائف على حالك... فمن مستعد جهد بمزاج التقوى؟؟... ونجتهد أن نخرج مرة ثانية بمزاج التقوى.

(١) سورة يوسف - الآية ٣٢.

(٢) سورة يوسف - الآية ٣٣.

(٣) سورة يوسف - الآية ٣٣.

(٤) سورة يوسف - الآية ٩٠.

(٥) سورة المؤمنون - الآية ٦٠.

الختام

نحمد الله ﷻ علي توفيقه أن من علينا وأصدرنا هذا الكتاب الطيب الممتع في مادته، الممتع في بيانه، القوي في برهانه.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لحمل الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، وأن يجعلنا أهلاً لما أهلكنا الله ﷻ له، ولما وصفنا به فقال عنا: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وأسأله سبحانه وتعالى أن يُحركنا في العالم لنشر دينه ، كما حرك أصحاب نبيه ﷺ وأن يجعل الدعوة إلي الله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا .. اللهم ! آمين.



المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) مختصر تفسير القرآن العظيم لأبن كثير - الصابوني - طبعة دار التراث العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- (٣) زاد المسير في علم التفسير _ لابن الجوزي.
- (٤) رياض الصالحين للنووي - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .
- (٥) مشكاة المصابيح - للخطيب التبريزي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ .
- (٦) صحيح البخاري - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- (٧) صحيح مسلم شرح النووي - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة.
- (٨) سنن النسائي - طبعة دار الحديث بالقاهرة.
- (٩) سنن الترمذي - طبعة دار ابن الهيثم بالقاهرة .
- (١٠) مستدرک الحاكم - طبعة بيروت - لبنان.
- (١١) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطي - مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة
- (١٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحى الدمشقي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٣) البداية والنهاية لابن كثير - طبعة دار ابن رجب.
- (١٤) تاريخ الإسلام للذهبي - طبعة دار الغد العربي بالقاهرة.
- (١٥) حياة الصحابة للكاندهلوي - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان .

الفهرس

الصفحة	الموضوع	م
٨	المقدمة	(١)
١١	مقارنة بين فقه الدعوة وفقه القتال	(٢)
٤٦	مقارنة بين جهد الدعوة وجهد العبادة	(٢)
٩٨	مقارنة بين فقه الدعوة وفقه التعليم	(٣)
١١٤	مقارنة بين جهد الحق وجهد الباطل	(٤)
١٣٦	مقارنة بين الحاجة والمقصد	(٥)
١٥٣	مقارنة بين جهد الداعي وجهد السياسي.....	(٦)
١٥٨	فقه الدعوة	(٧)
١٦٧	من صفات اليهود	(٨)
١٨٩	اليقين علي أنه لا إله إلا الله	(٩)
٢١٤	الفرق بين جهد التعليم وجهد الدعوة.....	١٠
٢٢٣	تعظيم الخالق.....	١١

٢٣٥	الله خالق الأشياء والأحوال.....	١٢
٢٦٦	عبودية الأمة (الدعوة إلى الله عز وجل).....	١٣
٢٨٠	جهد الدعوة إلى الله بمزاج التقوى.....	١٤
٣٠٧	وختاما.....	١٥
٣٠٨	المراجع.....	١٦
٣٠٩	الفهرس.....	١٧

بريد الكتروني: Emam203@gmail.com

تليفون محمول: ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦_٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨

تليفون منزل: ٠٥٠٦٨٢٤٥٣٦

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

بسم الله

انتظروا قريبا الجزء الثاني من كتاب الأنوار النعمانية